ISSN 2415-5500



مجلة علمية نصف سنوية محكمة

المجلد الأول - العدد الأول، يناير - يونيو ٢٠١٦

RGS
RESEARCH GATEWAY SOCIETY

مؤسسة بوابة البحث والتحقيق، حيدرآباد، السند

بسم الله الرحمن الرحيم

وفقًا لمعايير لجنة التعليم العالي (HEC) لباكستان

# الديبل

## مجلة علمية نصف سنوية محكمة




**مؤسسة بوابة البحث والتحقيق ،حيدرآباد ،السند**

المكتب: رقم البيت ٥٨٨ الطبقة :٣ مقابل : النور هائتس خوخر محله حيدرآباد ، السند ، باكستان

# الديبـــل

مجلة علمية نصف سنوية محكمة

ISSN 2415-5500

مدير التحرير: بشير أحمد درس

العدد: الأول يناير–يونيو ٢٠١٦م

المجلد: الأول



العنوان: المكتب: رقم البيت ٥٨٨ الطبقة :٣ مقابل : النور هائتس خوخر محله حيدرآباد ، السند ، باكستان

البريد الإلكتروني : editoraldebil@gmail.com

الموقع على الإنترنت: www.siarj.com/aldebal



الفهرس:

المكتبة الإسلامية الاسترالية http://www.australianislamiclibrary.org/research.html

أرشيف الإنترنت :المكتبة الرقمية https://archive.org/details/@al-debil_research_journal

**قواعد النشر:**

- لغة المجلة هي العربية.
- يقبل للنشر في المجلة البحوث والنصوص المحققة ومراجعات الكتب المتعلقة باللغة العربية وآدابها، والدراسات الإسلامية.
- يشترط فيما يقدم للمجلة أن يكون أصيلًا ولم يسبق تقديمه لمجلة أو أية جهة ناشرة أو أكاديمية.
- أن يكون البحث المقدم خاضعًا لأسس البحث العلمي وشرائطه.
- يتولى تحكيم البحث محكمان أو أكثر حسب تقدير هيئة التحرير.
- يقدم الباحث بحثه باستخدام البرنامج الحاسوبي (MS Word) بمسافات مزدوجة بين الأسطر وهوامش ٢.٥سم، وعلى وجه واحد من الورقة (A٤)، بحيث لا يزيد عدد صفحات البحث على (٢٠) صفحة.
- يذكر الباحث على الصفحة الأولى من البحث اسمه ورتبته الأكاديمية والمؤسسة التي يعمل فيها والعنوان البريدي والإلكتروني.
- تحتفظ الهيئة بحقها في عدم نشر أي بحث وتُعد قراراتها نهائية.
- لا ترد الأبحاث التي لم تقبل لأصحابها.
- يلتزم الباحث إجراء التعديلات التي يقترحها المحكمون خلال شهر من تاريخ تسلمه القرار.
- يخضع ترتيب الأبحاث في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.
- الأبحاث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير.
- أن يكتب ملخص للبحث باللغة العربية وآخر باللغة الإنجليزية بما لا يزيد على (٢٠٠) كلمة لكل منهما، وعلى ورقتين منفصلتين.

# هيئة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

## الافتتاحية

إن من تمام فضل الله عز وجل أنه وفّق مؤسسة بوابة البحث والتحقيق (Research Gateway Society) لإصدار مجلة الديبل. إن هذه المؤسسة تؤمن بأن البحث العلمي له أثر كبير في تطور الأمم وتقدمها وتأمل أن تكون هذه المجلة إضافة علمية تحقق الأهداف السامية للتعليم العالي. وهذا عددها الأول وشارك فيه عدد من الباحثين والمفكرين من العالم الإسلامي.

إن مؤسسة بوابة البحث والتحقيق، حيدرآباد، السند قد حملت على عاتقها مسؤولية نشر مجلات محكمة لأهداف عالية ومنها:

- حث الباحثين على دراسة مستجدات العصر.
- عرض التراث الإسلامي والعربي بصيغة عصرية حديثة.
- مساعدة أساتذة الجامعات للرقي العلمي بتيسير وسرعة الإجراءات دون الإخلال بضوابط وقواعد التحكيم والنشر، وأصول البحث العلمي.
- تشجيع طلبة الدراسات العليا على كتابة الأبحاث المتخصصة.

ولا يفوتني أن أوجّه أجزل شكري لكل من كان أعانني، بعد الله تعالى، في إخراج هذه المجلة لاسيما أخي الفاضل والمشرف على هذه المجلة الدكتور أورنك زيب الأعظمي، ومديرة التحرير المساعدة الدكتورة هيفاء شاكري فقد بذلا جهودهما المذنية لإخراج هذه المجلة إلى النور.

أتمنى أن تحقق هذه المجلة أهدافها ومبتغاها وتكون ميدانًا لسباق الباحثين العلمي والأدبي، ورافدًا حقيقيًا للتطوير العلمي والتنمية الثقافية- والله هو الموفق وعليه التكلان.

بشير أحمد درس

مدير التحرير : الديبل

# دور الكتب السماوية الأخرى في شرح وتفسير القرآن

## (ترجمات القرآن الإنجليزية نموذجًا)

## THE ROLE OF OTHER HEAVENLY BOOKS TO EXPLAIN AND INTERPRET THE QURAN

**(English translations of the Quran as model)**

د.أورنك زيب الأعظمي *

**ABSTRACT:**

*The Qur'an is a heavenly book which was revealed to the Prophet Muhammad (PBUH). It is in the language of the Arabs of Quraish and deals with the basics for all spheres of life and field. Apart from this aspect of the Book, the Qur'an has discussed the other heavenly books which were revealed to other prophets and messengers of Allah-Moses, Jesus and others. These old heavenly books contained information regarding teachings of their holders beside information which was not revealed and added to it in later periods. The Qur'an has indicated to both the sides of these books where these books prove to be remnants of the heavenly teachings and also to be additions of their followers and later generations for reasons do not need to be mentioned here.*

*This article tries to shed light on the contents of the Qur'an, its being a heavenly book, its sources of explanations and finally proves that these heavenly books have some roles in explaining the Qur'an because these were revealed by Allah and still these have information remained out of the original text to prove the authenticity of the final revelation of Allah-the Qur'an, and to explain some of its difficult places and contents. The author has given ten examples wherein he proved that these heavenly books are not destroyed totally but these contain some real and original texts of the heavenly revelations to which the Qur'an itself pointed out.*

**KEYWORDS:** Qur'an, revelation Quraish, Heavenly Books, Authenticity

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي، الهند

**الكلمات المفتاحية: القرآن ، الوحى ، قريش ، الكتب المنزله ، أصالة**

**ملخص البحث**

لقد لعبت كافة المصادر المتواجدة لشرح وتفسير القرآن دورًا هامًّا في تفسير وتأويل آياته وسوره فلكلام العرب الجاهلي دور في تفسيره كما لأحاديث النبي الكريم دور كما لآثار الصحابة الأجلة دور، وفوق هذه كلها القرآن يفسّر بعضه بعضًا، أصل أوّل معترف به لدى كافة المفسّرين والمبيّنين لمعاني ومفاهيم القرآن الكريم. ومن بين هذه الأدوار ما قامت به الصحف السماوية الأولى من التوراة والإنجيل والكتب المقدّسة فقد أشار القرآن في غير ما آية إلى أنه مصدّق لما ذكر في الكتب السماوية الأولى التي لها دلائل وبراهين على صدق هذا الكتاب الرباني النهائي.

وليس هذا فحسب بل حثّ الرسول الكريم ﷺ أصحابه على أن يدرسوا الصحف السماوية الأولى كي يتعرفوا على ما فيها ويستدلوا بها على صدق كتابهم الإلهي الجليل. ونظرًا لهذا الأصل المهمّ فقد استفاد الصحابة الكرام ومن جاءوا بعدهم من التابعين ومن تبعهم حتى لم يأل المفسّرون جهدًا في الاستفادة منها وعلى رأسهم الإمام عبد الحميد الفراهي الذي كان ماهرًا في اللغة العربية مع تضلعه من العربية وعلومها وفنونها، وانقطاعه إلى تدبر القرآن وسبر غوره.

والمقالة القادمة شرح هذه الفكرة بدلائل من آيات للقرآن وشرحها وتفسيرها في ضوء الكتب السماوية الأولى ثم دراسة ترجماتها الإنجليزية دراسة نقدية.

**مدخل في الموضوع:** المصادر التي فسّر في ضوءها العلماءُ القرآنَ الكريم هي القرآن ذاته ثم كلام العرب القحّ ثم أحاديث النبي العربي ﷺ ثم الصحف السماوية الأولى وزد عليها آثار الصحابة وآراء التابعين الذين نقلوا ما أخذوا عن صحابة الرسول العربي صلّى الله عليه وسلّم. فصّل هذه الأصول كلٌّ من المفّكرين في القرآن الكريم وعلى رأسهم العلامة ابن كثير في الوطن العربي والعلامة عبد الحميد الفراهي في شبه القارة الهندية. ولا يخفى على من له أدنى إلمام بالقرآن الكريم ما قاموا به من الخدمات الجليلة في هذا المجال المبارك.

وفيما يلي دراسة وجيزة لهذا الأصل القديم في ضوء دلائل وأمثلة من القرآن الكريم ثم شرحها وتفسيرها في ضوء الكتب السماوية الأولى ولاسيما ترجماتها الإنجليزية التي قد وهم فيها الكثيرون.

**دور الصحف السماوية الأولى في تفسير القرآن ودراسة ترجماتها الإنجليزية**

أسلفنا الحديث عن دور الكتب السماوية الأخرى في تعيين معاني مفردات القرآن وتوضيح آياته وتفهيم محتوياته فقد استفاد منها الرسول الكريم كما اعتبرها الصحابة الكرام وسيلة ناجحة لفهم القرآن حتى أن

التابعين قد غالوا فيها فحشوا تفاسير القرآن من خرافات أهل الكتاب ورواياتهم المضلّة. وفيما يلي عشرة أمثلة من القرآن وتفسيرها في ضوء الصحف السماوية وترجماتها الإنجليزية:

١. **قال تعالى**: "قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ"[١]

هذا هو تقرير الاثني عشر نقيبًا الذين بعثهم موسى للبحث عن وضع أهالي فلسطين فما وصفوهم من صورتهم وقوتهم ومعاملتهم مذكورة في التوراة فجاء فيها:

"الأرض التي مررنا فيها لنتجسسها هي أرض تأكل سكانها. وجميع الشعب الذي رأينا فيها أناس طوال القامة. وقد رأينا هناك الجبابرة بني عناق من الجبابرة. فكنّا في أعيننا كالجراد وهكذا كنّا في أعينهم".[٢]

فيبدو من هذا التقرير أن أهالي فلسطين كان بعضهم ظالما على بعض وكانوا ذوي جسد طويل ومرير ولهذه كلها استخدم الله تعالى كلمة "جبار" فالآن لننظر في ترجمتها عندهم هل هي تفي المعنى أم لا؟ فترجمها م. شاكر بـ"strong" بينما ترجمها عبد الله يوسف وتقي الدين وصاحبه بـ "of exceeding strength" و"of great strength" فكل هؤلاء لم يروا فيها إلا جانب القوة وهي تكون في القصير كما هي تكون في الطويل ولا يجب على كل قوي أن يكون ظالما فاقرأ ترجمتهم:

"… surely there is a strong race in it…" (م. شاكر)

"… in this land are a people of exceeding strength…" (عبد الله يوسف)

"in it are a people of great strength…" (تقي الدين وصاحبه)

ويرى عبد الماجد الدريا بادي أنها استخدام القوة بدون الوعي برأي الآخرين فهو يترجم هكذا:

"… verily therein are a people high-handed…"

يزيدها إرونغ معنى الظلم فهو يترجم:

"…there is a heavy-handed folk in it…"

ويرى السير ظفر الله خان أنها القوة فهو يترجم فيما يلي:

"… there is in that land a powerful people…"

يزيدها شير علي معنى سوء المعاملة فهو يترجم:

"…there is in that land a haughty and powerful people…"

وتشبه ترجمته ترجمة آربيري إلا أن فيها كبرياء وظلمًا على الآخرين فهو يترجم:

".. there are people in it very arrogant…"

وأما بيكثال فهو أصاب الهدف فترجمها بكلمة تفي كافة المعاني؛ القوة والطول والظلم والسيطرة. هذه الكلمة هي "giant"[٣] فهو يترجم هكذا:

"… a giant people (dwell) therein…"

**٢. وقال تعالى:** "فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ"[٤]

هذه الآية تدل على بشرى إبراهيم بولده وجداله في عذاب قوم لوط. كان إبراهيم عليه السلام رحيمًا على البشر قانتًا لله فإن حدث أمر أو ظن حدوث أمر بدأ يدعو الله فيه بتضرع طويل وبأسلوب طفل يسأل أباه شيئًا فكان يلحّ في دعائه ويصرّ على رأيه. هذا هو الجدال بينه وبين ربه، لا الجدال بين عدوين أو بين اثنين يخالف بعضهما بعضًا ولمزيد توضيح وتفهيم هذه المجادلة ننقل فيما يلي ذكره في التوراة وهي خير توضيح لهذه الحقيقة فجاء فيها:

"فتقدم إبراهيم وقال: أفتهلك البار مع الأثيم عسى أن يكون خمسون بارًّا في المدينة. أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين بارًّا الذين فيه. حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر أن تميت البارّ مع الاثيم فيكون البار كالأثيم. حاشا لك. أ ديّان كل الأرض لا يصنع عدلًا فقال الرب إن وجدت في سدوم خمسين بارًا في المدينة فإني أصفح عن المكان كله من أجلهم فأجاب إبراهيم وقال إني قد شرعت أكلم المولى وأنا تراب ورماد. ربما نقص الخمسين بارًا خمسة. أتهلك كل المدينة بالخمسة فقال لا أهلك إن وجدت هناك خمسة وأربعين. فعاد يكلمه أيضًا وقال عسى أن يوجد هناك أربعون، فقال لا أفعل من أجل الأربعين. فقال لا يسخط المولى فأتكلم. عسى أن يوجد هناك ثلاثون. فقال لا أفعل إن وجدت هناك ثلاثين فقال إن قد شرعت أكلم المولى. عسى أن يوجد هناك عشرون. فقال لا أهلك من أجل العشرين."[٥]

فيبدو من هذه الصورة أن معنى المجادلة هو "plead" أو "argue" لا "dispute" فإنها تعني في بعض الأحيان الجدال لشيء سُلِب.

وأما المترجمون فتحزبوا في حزبين؛ حزب يترجمها بـ"plead" وهو يشمل إرونغ وبيكثال وعبد الله يوسف علي والسير ظفر الله خان وم. شاكر وتقي الدين الهلالي وصاحبه فيقول إرونغ مثلًا:

"so when his dismay left Abraham and the news came (home) to him, he pleaded with Us about Lot's folk…"

وأما من فضّل "disputes" هم آربيري وشير علي وعبد الماجد الدريابادي فيترجم آربيري مثلًا:

"So, when the awa departed from Abraham and the good tidings came to him, he was disputing with Us concerning the people of

Lot…"

وهناك شيء آخر يجدر بالنظر فيه وهو أسلوب حذف الماضي المركب بالمضارع ف"يجادلنا" هو "صار يجادلنا" كما ذكرنا في فصل الأساليب.

يؤيدني في هذا عبد الله يوسف علي والسير ظفر الله خان والمولوي شير علي وم. شاكر وعبد الماجد الدريابادي وتقي الدين وصاحبه في ترجماتهم.

٣. **وقال تعالى**: "اضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى".[٦]

من عادة القرآن أنه يصحّح أخطاء الكتب السماوية الأخرى في غير موضع منه ولكنه لا يشير إليها إلا قليلًا ولا يمكن لأحد أن يعرف هذه الإصلاحات وتلك الأخطاء إلا أن يكون دارسًا لها وناظرًا فيها ومن مثل هذه المواضع الآية الثانية والعشرون من سورة طه:

فقد أشار فيها القرآن إلى أن موسى لم تكن يده البيضاء لأجل مرض مثل البرص بل كانت هي آية والدليل على هذا كونها بيضاء عند دخولها في الجيب لا في كافة الأوقات والمناسبات ولكن جعلها أهل الكتاب مرضًا فذكروها في التوراة أن يده البيضاء كانت هكذا لأجل مرض البرص. أجاب القرآن على هذا في هذه السورة كما ردّ عليه في سورة القصص حيث قال: "اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ".[٧]

فكلمة "من غير سوء" جواب لأهل الكتاب الذي اعتبروها مرضًا ولا يعلم هذا إلا عن دراسة التوراة فقد جاء فيها:

"ثم قال الرب أيضًا أدخل يدك في عبِّك. فأدخل يده في عبِّه. ثم أخرجها وإذا يده برصاء مثل الثلج. ثم قال له ردّ يدك في عبِّك. فردّ يده إلى عبِّه. ثم أخرجها من عبّه وإذا قد عادت مثل جسده".[٨]

هذا ويبدو من السياق أن كلمة "سوء" هنا جاءت في معنى "المرض" أي مرض البرص كما هو المذكور في التوراة فترجمته تكون "blemish" لا ذلك السوء الذي يعني سوء الخلق وهو "evil".

أما ترجمتها في كلا الموضعين فاقرءها في هذا الجدول:

| اسم المترجم | سورة طه | سورة القصص |
|---|---|---|
| ١ – إرونغ | Blemish | being harmed |
| ٢ – آربيري | Evil | evil |
| ٣ – بيكثال | hurt | hurt |
| ٤ – عبد الله يوسف علي | harm (or stain) | stain (or harm) |
| ٥ – ظفر الله خان | blemish | blemish |

| ٦- شير علي | disease | disease |
|---|---|---|
| ٧- م. شاكر | evil | evil |
| ٨- عبد الماجد | hurt | hurt |
| ٩- تقي الدين وصاحبه | disease | disease |

فلو وضعنا أصل عمل آخر العمر أمام أعيننا لفضّلنا ترجمة سورة القصص على ترجمة سورة طه فإنها مؤخرة ترجمة ونقلًا فالمترجم، كما هو المفهوم، أولًا نقل معاني سورة طه ثم توجه إلى سورة القصص فما كتب في سورة القصص أحكم عنده مما كتب في ترجمة سورة طه.

وطبق هذا الأصل فالترجمة المفضلة لدى إرونغ هي being harmed أو بعبارة أخرى "harm" ويقرب منها "hurt" الذي اختاره بيكثال وعبد الماجد وكلتا الترجمتين لا تعطي المعنى الذي ذكر في التوراة والذي أراه القرآن بالإشارة إليه.

يترجمها آربيري بـ"evil" ويتبعه م. شاكر وشير علي إلا أن الأخير زاد كلمة "effect" فحاول أن يقرب من المفهوم وياله لو اختار ترجمته الأولى: disease التي اختارها تقي الدين وصاحبه فقربا من المعنى ولو لم يصيبا الهدف. ترجمة آربيري وأتباعه خاطئة بما أنها في معنى سوء الخلق أكثر مما هي في معنى المرض.

ويترجمها عبد الله يوسف علي بـ"stain" الكلمة التي تختص بسوء لون الشيء مثل الشأي أو سوء ذكر عادة أحد أي سوء الخلق.

وأما السير ظفر الله خان فهو يفضّل كلمة "blemish" التي تدل على المعنى خير دلالة. اختارها إرونغ في ترجمته الأولى والواقع أنها: blemish caused by leprosy فالترجمة الأقرب من ذكر التوراة والقرآن هي:

"… now clasp thy hand to thy arm-pit, it shall come forth blazing white, without any blemish of leprosy…"

٤. **وقال تعالى**: "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ".[٩]

تفكر في هذه الآية ثم عيِّن المراد من "الأرض" و"الذكر" لا يتضح هذا إلا بعد الرجوع إلى الزبور الذي أحال إليه القرآن فجاء فيه:

"لا تغر من الأشرار ولا تحسد عمال الإثم فانهم مثل الحشيش سريعًا يقطعون ومثل العشب الأخضر يذبلون. الكل على الرب وافعل الخير. اسكن الأرض وارع الأمانة. وتلذذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك. سلّم للرب طريقك واتكل عليه وهو يجري. ويخرج مثل النور برك وحقك مثل الظهيرة. انتظر الرب

واصبر له ولا تغر من الذي ينجح في طريقه من الرجال المجري مكايده. كفّ عن الغضب واترك السخط ولا تغر لفعل الشر. لأن عاملي الشر يقطعون والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض. بعد قليل لا يكون الشرير. تطلع في مكانه فلا يكون. أما الودعاء فيرثون الأرض ويتلذذون في كثرة السلامة. الشرير يتفكر ضد الصديق ويحرّق عليه أسنانه. الرب يضحك به لأنه رأيا أن يومه آتٍ. الأشرار قد سلّوا السيف ومدّوا قومهم لرمي المسكين والفقير لقتل المستقيم طريقهم. أسيفهم يدخل في قلبهم وقسيهم تنكسر.

القليل الاذيا للصديق خير من ثروة أشرارًا كثيرين. لأن سواعد الأشرار تنكسرُ عاضد الصديقين الرب. الرب عارف أيام الكملة وميراثهم إلى الأبد يكون. لا يخزون في زمن السوء وفي أيام الجوع يشبعون. لأن الأشرار وأعداء الرب كبهاء المراعي. فنوا كالدخان فنوا. الشرير يستعرض ولا يفي أما الصديق فيتراف ويعطى لأن المباركين منه يرثون الأرض والمعلونين منه يقطعون.

حدّ عن الشر وافعل الخير واسكن إلى الأبد. لأن الرب يحب الحق ولا يتخلى عن أتقيائه. إلى الأبد يحفظون. أما نسل الأشرار فينقطع الصديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد. فم الصديق يلهج بالحكمة لسانه ينطق بالحق. شريعة إلهه في قلبه. لا تتقلقل خطواته. الشرير يراقب الصديق محاولًا أن يمينه. الرب لا يتركه في يده ولا يحكم عليه عند محاكمته. انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك لترث الأرض".[١٠]

والآن تفكر في كل موضع جاء فيه ذكر الأرض وما سبقها من الوعظ والنصح يتضح لك بادئ ذي بدء أن الأرض ليست الأرض التي نحيى فيها وستفنى يومًا بل هي الأرض الخالدة وهي الجنة وما حواها من العالم وأما الذكر فهو ذكر هذه الأمور قبل ذكر الأرض وهو يشبه الوعظ والنصح.

تفكر في هذا الأسلوب مرة أخرى تم راجع إلى سورة الرحمن تجد بينهما شبهًا كبيرًا.

نفس الشيء ذكره القرآن في سورة إبراهيم:

"فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ".[١١]

والأرض المبدَّلة والسماوت المبدَّلة هي التي جاء ذكرها في الآية القادمة.

والآن لنر ترجمتها عند هؤلاء.

فيرى إرونغ وآربيري وبيكثال وعبد الله يوسف وتقي الدين وصاحبه شيئًا خاصًا إلا أن عبد الله يوسف ظنه ذكرًا أعطى موسى بينما اعتبره تقي الدين وصاحبه اللوح المحفوظ وكلهم أخطأوا.

ويرى السير ظفر الله خان وشير علي وعبد الماجد الدريابادي أنه تهديد فقربوا من المفهوم ولو أنهم لم يصيبوا فالذي أصاب الهدف هو م. شاكر الذي يراه ذكرًا.

وأما الأرض فزعم كافة المترجمين إلا السير ظفر الله خان وتقي الدين وصاحبه أنها الأرض التي نحيى والتي ستفنى يومًا من الأيام فهم لم يحاولوا النظر في الزبور وأما السير ظفر الله خان وتقي الدين وصاحبه فقهم يرون أرضاً خاصة (The Land) فكأنه أراد الأرض المبدلة ويدل على هذا تجلية حرف اللام (L) كما أوضح الدكتور تقي الدين وصاحبه بذكر الجنة.

إقرأ ترجمات بعضهم كمثال:

"We have written in the Psalms following the Reminder, "My honorable servants shall inherit the earth..." (إرونغ)

"Before this We wrote in the Psalms, after the message (Given to Moses): "My servants the righteous, shall inherit the earth..." (عبد الله يوسف)

"And certainly We wrote in the Book of David, after the reminder, that My righteous servants shall inherit the land..." (م. شاكر)

"And indeed We have written in Az-Zabur (all revealed Holy Books) after al-Lauh al-Mahfuz that my righteous slaves shall inherit the land (Paradise)..." (تقي الدين وصاحبه)

"We have recorded in the Book of David, after extortation, that My righteous servants shall inherit the Land..."(السير ظفر الله خان)

فالترجمة الأولى هي:

"And We have written in the Psalms after reminder that My righteous slaves will inherit the Earth (Paradise).

٥. **وقال تعالى**: "وَلَمَّا وَرَدَ مَاء مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ".[١٢]

إقرأ هذه الآية ثم حاول أن تعيّن المراد من "ماء مدين" و"أمة" ولا تعينك في هذا إلا الصحف السماوية التي جاء فيها ذكره فتقول التوراة فيها:

"فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض مديان وجلس عند البئر وكان لكاهن مديان سبع بنات. فأتين واستقين وملأن الأجران ليسقين غنم أبيهن. فأتى الرعاة وطردوهن. فنهض موسى وانجدهن وسقى غنمهن".[١٣]

فيبدو من هذا الحديث أن المراد من "ماء" هو البئر ويمكن أن نريد منه الينبوع الذي لا يكون مختلفًا عن البئر في الجبل وكلاهما يكون السبيل إليه ضيقًا فلا يمكن للضعيف أن يصل إليه إلا في النهاية وأما "أمة" فتدل عليها كلمة "الرعاء" أي ازدحام من الرعاة ولا يدخل فيه كونهم من قبيلة واحد بل يغلب الظن أن يكونوا من قبائل مختلفة ذات قوى مختلفة فيورد الأقوى ثم الأضعف منه ثم الأضعف منه وهلم جرًا وهذا يبدو من قول ابنة شعيب عليه السلام.

هذا ولننظر الآن في ترجمتهم لهما في صورة جدول:

| اسم المترجم | سورة طه | سورة القصص |
|---|---|---|
| ١ – إرونغ | water of Midian | a company of people |
| ٢ – آربيري | waters of Midian | a company of the people |
| ٣ – بيكثال | water of Midian | a whole tribe of men |
| ٤ – عبد الله يوسف علي | the watering (place) (a deep well في الهامش) | a group of men |
| ٥ – ظفر الله خان | the spring of Midian | a crowd of people |
| ٦ – شير علي | water of Midian | a party of men |
| ٧ – م. شاكر | water of Madyan | a group of men |
| ٨ – عبد الماجد | waters of Madyan | a community of people |
| ٩ – تقي الدين وصاحبه | the water (a well) of Madyan | a group of men |

فيرى إرونغ وآربيري وبيكثال وشير علي وم. شاكر وعبد الماجد الدريا بادي ماء البحر والنهر والغدير فإن "water" أو "waters" لا يدخل فيه ماء البئر كما يوضحه معجم أوكسفورد حتى أن ماء

الينبوع أيضًا خارج عنه فإنه أيضًا يكون في نطاق ضيق و"water" أو "waters" يوجب نطاقًا واسعًا في سطح الأرض.

يخالفهم عبد الله يوسف والسير ظفر الله خان وتقي الدين وصاحبه فيرى الأول والأخير البئر (well) بينما الوسط يعني به "الينبوع" (spring) فهما أصابا الهدف إلا أن الأول والأخير وافقا وإشارات التوراة.

خذ الكلمة الأخرى أي "أمة" يذهب معظم المترجمين إلى جماعة خاصة ذات أفراد خاصة فكلمات "company" و"group" و"party" و"community" و"a whole tribe" تدل على جماعة رجال ذوي مذهب واحد أو نسل واحد أو فكرة واحدة فلا بدَّ لها من أن يكونوا متحدين فيما بينهم لهدف أو غرض وهذا لم يرد به القرآن كما يدل عليه كلمة "الرعاء".

يخالفهم السير ظفر الله خان بحيث انه يترجمها بـ"crowd" فمن يكون قويًا من بين الازدحام يورد أولًا وثم وثم وهلم جرًا. وهذا هو المراد والمفهوم من السياق والعقل كذلك.

فالترجمة الأولى عندي هي:

"And when he arrived at the well of Madian, he found there a crowd of people…"

٦. **وقال تعالى**: "فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا".[١٤]

هاتان الآيتان تخبران بوصول أبوي يوسف وإخوته إلى مصر وسجودهم له ولكن يثور هناك سؤال: هل السجود ذلك السجود الذي نعرفه اليوم أم كان سجودًا آخر. يكشف عنه الستار التوراة فقد جاء فيها:

"فدخلت بتشيع إلى الملك إلى المخدع. وكان الملك قد شاخ جدًا وكانت أيشج الشوغية تخدم الملك. فخرّت بتشيع وسجدت للملك. فقال الملك مالك؟...".[١٥]

فيبدو من هذا أن السجود في ذلك العهد كان عامًا لتعظيم الكبار وما كان يجب فيه وضع الناصية على الأرض ولو كان ذلك لما ضرّ بتعظيم الله الواحد القهار فإن ذلك حرّمه الله فيما بعد وأشار إليه النبي صلّى الله عليه وسلّم.[١٦]

وإذا نظرنا في ضوء هذا الحديث في هذه الكلمة وترجمتها بقلم المترجمين وجدنا أنهم يتحزبون في حزبين، حزب يترجمها بـ"to fall down prostrate" وما شابهه من الأساليب ويعتبر المسجود له يوسف عليه السلام والحزب الآخر يذهب إلى سجودهم لله للهروب من كلمة "السجود" ظانًا أنه

خاص بالله ولو نظروا في الكتب السماوية ودرسوا تاريخهم لما وقعوا في هذا الخطأ واقرأ ترجمتهم لها على سبيل المثال:

"… and the others fell down prostrate before him…" (آربيري)

"… and they fell down in prostration before him…" (م. شاكر)

"… and they fell down on their knees before him…" (إرونغ)

ويترجمها الحزب الآخر وهو يشمل السير ظفر الله خان والمولوي شير علي:

"… and they fell down prostrate before Allah in gratitude…" (السير ظفر الله خان)

"… and they fell down prostrate before God for him…" (شير علي)

والترجمة الأولى عندي والأقرب من مشتملات التوراة هي التي قام بها إرونغ.

٧. **وقال تعالى**: "فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ".[١٧]

إقرأ هذه الآية التي جاء فيها ذكر تدمير آل فرعون الذي كان يظن نفسه مالكًا للكون ولكنه لما تم تدميره لم يبك عليه أحد أي مات في مكان لم يكن فيه أحد أتباعه فمات غير مبكي عليه[١٨] فبكاء السماء والأرض على أحد تعبير عن حزن كافة المخلوقات فيه لسبب كونه عزيزًا لديهم رحيمًا عليهم. استخدم هذا التعبير في التوراة فجاء فيها:

"صوت دم أخيك صارخ إلي من الأرض فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك. متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها. تائهًا هاربًا تكون في الأرض".[١٩]

ومثل هذا التعبير متوفر في كافة اللغات حتى نقرأه في لغتنا الأردوية.

ترجمها كافة المترجمين ترجمة صحيحة فننقل ترجمة بعضهم كمثال.

يقول آربيري:

"… neither heaven nor earth wept for them…"

ويقول عبد الله يوسف علي:

"And neither heaven nor earth shed a tear over them…"

ويترجمها م. شاكر:

"… so the heaven and the earth did not weep for them..."

٨. **وقال تعالى**: "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ".[٢٠]

هذه الآية من سورة العنكبوت التي تنطق عن مسؤوليات الرسل وأقوامهم والعراقل والملمّات في سبيل الدعوة إلى التوحيد فذكر نوح أيضًا لإثبات هذا الواقع فذكر الله تعالى أن نوحًا بقي داعيًا لأكثر من تسعمئة سنة ولم يؤمن به إلا قليل.

من يقرأ عن هذا القدر من طول عمر نوح في زماننا هذا يقعد حيران ومتعجبًا ولكنه ليس بمستبعد فقد كان الناس يحييون لهذا القدر من العمر في ذلك الزمان ويدل على هذا مشتملات التوراة فقد جاء فيها:

"وعاش نوح بعد الطوفان ثلثمئة وخمسين سنة فكانت كل أيام نوح تسعمئة وخمسين سنة". [٢١]

ترجمه كل منهم ترجمة صائبة إلا أن ترجمة آربيري أفصح كما أن ترجمة السير ظفر الله خان أقل فصاحة من الآخرين. فلنقرء ترجمة كليهما. قال آربيري:

"Indeed, We sent Noah to his people, and he tarried among them a thousand years, all but fifty: so the Flood seized them, while they were evildoers"

ويترجم السير ظفر الله خان:

"We sent Noah to his people and he remained with them fifty years short of one thousand"

وذلك فإن القرآن يؤكد على الألف لطول مدته ولا يريد تعيين المدة.

٩. **محمد رسول الله:** قال تعالى: "مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا". [٢٢]

هنا فقط نبحث عن اشتراك النبي وصحابته في صفة الشدة على الكفار والرحمة بينهم ونرى كيف تعين الصحف السماوية الأخرى في تعيين المراد الصحيح من القرآن فقد أشار القرآن، كما في هذه الآية، إلى أن مثل النبي وصحابته مذكور في التوراة والإنجيل فقد جاء في الاستثناء:

"جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم". [٢٣]

وجاء في إنجيل متى:

"إن الحجر الذي رذله البنّاءون هو صار رأسًا للزاوية من عند الرب كان ذلك وهو عجيب في أعيننا لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تصنع ثمره ومن سقط على هذا الحجر يتهشم ومن سقط هو عليه يطحنه".[٢٤]

فالفقرة الأخيرة نفس ما قاله القرآن بـ"أشداء على الكفار".

وجاء في الإستثناء كذلك: "فأحب الشعب جميع قديسيه في يدك".[٢٥]

فثبت من هذا أن النبي صلّى الله عليه وسلّم مشترك في صفة الشدة على الكفار والرحمة على الصحابة ومن ثم يقع "رسول الله" بدلًا من محمد صلّى الله عليه وسلّم.

ولكن المترجمين كلهم فصلوا محمدًا صلّى الله عليه وسلّم من هاتين الصفتين وجعلوا "محمد رسول الله" جملة مستقلة وبهذا فقدوا تلك البلاغة التي كانت مختفية في جعل "رسول الله" بدلًا. إقرء ترجمة بعضهم على سبيل المثال:

"Muhammad is the Messenger of God, and those who are with him are hard against the unbelievers, merciful one to another" (آربيري)

"Muhammad is the Messeger of Allah; and those who are with him are strong against unbelievers, (but) compassionate amongst each other" (عبد الله يوسف علي)

"Muhammad is the Messenger of Allah. And those who are with him are hard against the disbelievers, tender among themselves" (شير علي)

والترجمة الأولى عندي هي:

"Muhammad the Messenger of Allah and those who are with him are hard against the pagans, compassionate amongst themselves."

١٠. **وقال تعالى**: "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ".[٢٦]

إقرأ هذه الآيات ثم تفكر في لعنة المسيح وداؤد على بني إسرائيل هل تدري ماذا قال هذان الرسولان؟ لا ولا أدري من عند نفسي. إنما هي الصحف السماوية التي تخبرنا بها فقد جاء في الزبور:
"والشرير قال الله ما لك تحدث بفرائضي وتحمل عهدي على فمك. وأنت قد أبغضت التأديب والقيت كلامي خلفك إذا رأيت سارقًا وافقته ومع الزناة نصيبك. اطلقت فمك بالشر ولسانك يخترع غشًا. تجلس تتكلم على أخيك. لابن أمك تضع معثرة هذه صنعت وسكت. ظنن إلي مثلك. أوبخك واصف خطاياك أمام عينيك. افهموا هذا يا أيها الناسون الله لئلا افترسكم ولا منفذ".[٢٧]
وكذا جاء في الإنجيل:
"الويل لكم أيها الكتبة والفريسون المراءون فإنكم تغلقون السماوات في وجوه الناس فلا أنتم تدخلون ولا الداخلين تتركونهم يدخلون. الويل لكم أيها الكتبة والفرسيون المراءون فإنكم تأكلون بيوت الأرامل بعلة تطويل صلواتكم ومن أجل هذا ستنالكم دينونة أعظم. الويل لكم أيها الكتبة والفريسون المرءاون فإنكم تطوفون البرّ والبحر لتجلبوا دخيلًا واحدًا فإذا حصل صيّرتموه ابن جهنم ضعف ما أنتم عليه. الويل لكم أيها القادة العميان القاتلون من حلف بالهيكل بشيء ومن حلف بذهب الهيكل يطالب، أيها الجهال والعميان ما الأعظم الذهب أم الهيكل الذي يقدِّس الذهب. ومن حلف بالمذبح فليس بشيء ومن حلف بالقربان الذي فوقه يطالب. أيها العميان ما الأعظم القربان أم المذبح الذي يقدِّس القربان. فمن حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه. ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه. ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه. الويل لكم أيها الكتبة والفريسون المراءون فإنكم تعشرن النعنع والشبث والكمون وتتركون أثقل ما في الناموس وهو العدل والرحمة والإيمان. وكان ينبغي أن تعلموا هذه ولا تتركوا تلك. أيها القادة العميان الذين يصفّون من البعوضة ويبلعون الجمل. الويل لكم أيها الكتبة والفريسون المراءون فإنكم تنقّون خارج الكأس والجام وداخلها مملوء خطفًا ودعارة. أيها الفريسي الأعمى نقّ أولًا داخلًا لكأس والجام حتى يتطهر خارجهما أيضًا. الويل لكم أيها الكتبة والفريسون المراءون فإنكم تشبهون القبور المحصصة التي ترى للناس من خارجها حسنة وهي من داخلها مملوءة عظامَ أموات وكل نجاسة. كذلك أنتم يرى الناس ظاهركم مثل الصديقين وأنتم من داخل ممتلوءون رئاءً وإثمًا. الويل لكم أيها الكتبة والفريسون المراءون فإنكم تشيدون قبور الأنبياء وتزينون مدامن الصديقين وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما كنا شاركناهم في دم الأنبياء. فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم بنو قتلة الأنبياء.فجمّعوا أنتم مكيال آبائكم. أيها الحيّات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جنهم. من أجل ذلك أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم من تقتلون وتصلبون ومنهم من تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة لكي يأتي عليكم كل دم زكي

سُفِك على الأرض من دمِ هابيل الصديق إلى دم زكريا من بركيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح. الحق أقول لكم إن هذا كله سيأتي هذا الجيل. يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم من مرة أردت أن أجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فلم تريدوا هوذا بينكم يترك لكم خرابًا. فإني أقول لكم إنكم من الآن لا ترونني حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب".[٢٨]

والآن قد تجلى لي ولكم ماذا لعنه الرسولان على بني إسرائيل فاقرأ الآيات مرة أخرى تجد لذة أخرى قبل دراسة هذه الصفحات من الزبور والإنجيل.

فالصحف السماوية القديمة توضِّح مشتملات القرآن كما هي تحدِّد معانيه ومفاهيمه وهي خير وسيلة لفهم القرآن. الآن إقرأ ترجمتها وكلٌ أصاب، قال إرونغ:

"Those children of Israel who disbelieved were cursed by the tongue of David and Jesus, the sun of Mary. That was because they disobeyed and had acted defiantly. They did not refrain from the debauchery they were indulging in; how awful is what they had been doing! You will see many of them making friends with those who disbelieve. How wretched is what their souls have sent on ahead for them, since God is exasperated with them and they will live in torment for ever. If they had believed in God and the Prophet, and what was sent down to him, they would not have adopted them as patrons; but so many of them are perverse."

ويترجمها عبد الله يوسف علي هكذا:

"Curse were pronounced on those among the Children of Israel who rejected Faith, by the tongue of David and of Jesus the son of Mary: because they disobeyed and persisted in Excesses. Nor did they forbid one another the iniquities which they committed: evil indeed were the deeds which they did. Thou seest many of them turning in friendship to the Unbelievers. Evil indeed are (the works) which their souls have sent forward before them

(with the result), that Allah's wrath is on them, and in torment will they abide. If only they had believed in Allah, in the Prophet, and in what hath been revealed to him, never would they have taken them for friends and protectors, but most of them are rebellious wrong-doers."

ويترجمها السير ظفر الله خان:

"Those of the children of Israel who disbelieved were cursed by David, and by Jesus son of Mary. That was because they disobeyed and were given to transgression. They did not try to restrain one another from the iniquity which they committed. Evil indeed was that which they used to do. Thou shall see many of them taking the disbelievers as their helpers. Evil indeed is that which they have chosen to send on ahead for themselves, which is that Allah is displeased with them and in this torment shall they abide. Had they believed in Allah and this Prophet, and in that which has been sent down to him, they would not have taken the disbeliveers as their helpers, but most of them are disobedient."

**خاتمة البحث**

بدا مما كتبنا آنفًا أن الصحف السماوية الأولى من التوراة والإنجيل وغيرهما قد أعانت في فهم وتفهيم مفردات القرآن ومصطلحاته وأساليبه ومحتوياته، ولو أن القرآن واضح في ذاته وبيّن بنفسه ويفسّر بعضه بعضًا إلا أنه لو درس الواحد هذه الصحف السماوية التي نزلت من الله تعالى والتي يصدّقها القرآن الكريم والتي توجد فيها معلومات يمكن بها تأويل آيات القرآن وتفسير محتوياته لاتضح عليه معنى القرآن أكثر من ذي قبل ولاشتدّ إيمانه ولقوي يقينه بالقرآن الكريم الذي يدّعي بكونه صادقًا ويستدلّ على قوله هذا بالصحف السماوية الأولى.

ولقد حاول المترجمون للقرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية، ومنهم آربيري وبيكثال وعبد الله يوسف وآخرون، حاولوا أن ينقلوا معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية فأصابوا الهدف في مواضع كما زلّت أقدامهم في مواضع أخرى فبهذه المناسبة انتهزنا الفرصة فقمنا بدراستها النقدية كي نصيد بحجرة

عصفورين فنقوم بدراسة هذه الترجمات كما نشير إلى أهمية الصحف السماوية الأولى في فهم وتفهيم معاني القرآن الكريم.

## المراجع والحواشي

[١] سورة المائدة: ٢٢

[٢] العدد: ١٣/٣٢–٣٣

[٣] يقول عنها صاحب معجم أوكسفور (Giant):

"Giant: a very large strong person who is often cruel and stupid, an unusually large person, animal or plant, a very large and powerful organization, a person who is very good at something"

[٤] سورة هود: ٧٤

[٥] التكوين: ١٨/٢٣–٣٣

[٦] سورة طه: ٢٢

[٧] سورة القصص: ٣٢

[٨] الخروج: ٤/٦–٧

[٩] سورة الأنبياء: ١٠٥

[١٠] المزامير: ٣٧/١–٣٤

[١١] سورة إبراهيم: ٤٧–٤٨

[١٢] سورة القصص: ٢٣

[١٣] الخروج: ٢/١٥/١٧

[١٤] سورة يوسف: ٩٩–١٠٠

[١٥] الملوك الأول: ١/١٥–١٦

[١٦] سورة العنكبوت: ٨، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

"لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضًا" حجة الله البالغة ١٩٨/٢

"... لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها"، المصدر نفسه، ٨٧/٢

"لا تجعلوا زيارة قبري عيدًا"، المصدرنفسه، ٧٢/٢

[١٧] سورة الدخان: ٢٩

[١٨] فيقول عبد الله يوسف علي في حاشيته على هذه الترجمة:

"They died, "unwept, unhonoured, and unsung". They were too inordinate to given another chance. pharaoh had claimed to be their supreme god; and they had followed him!" ص١٥٢٤

[١٩] التكوين: ٤/١٠–١٢

[٢٠] سورة العنكبوت: ١٤

[٢١] التكوين: ٩/٢٨–٢٩

[٢٢] سورة الفتح: ٢٩

[٢٣] التثنية: ٣٣/

[٢٤] إنجيل متى: ٤٣–٤٥

[٢٥] التثنية: ٣٣/١

[٢٦] سورة المائدة: ٧٨–٨١

[٢٧] المزامير: ٥٠/١٦–٢٢

[٢٨] إنجيل متى: ٢٣/١٤–٣٩

# قراءة في التراث المطبوع والمخطوط للعلامة عبد الحميد الفراهي

# A SURVEY OF FARAHI'S PUBLISHED AND UNPUBLISHED WORKS

محمد عمير بن أبي سفيان الإصلاحي *


## ABSTRACT:

*Abdul Hameed Farahi was a great scholar of twentieth century. He focused his study on Qur'anic studies, and derived some results which were regarded as a mile stone in the field of Qur'anic Studies.*

*His study begins from the language of Qur'an, which means to explore the exact meaning of the words used in Qur'an by finding out there roots and usages in the classical Arabic literature, to avoid, the mistakes which can occur by using the dictionaries available now. Because they do not differentiate between the meaning of a word in different ages, so if someone takes a meaning of the word used in Qur'an it does not mean that it would be the meaning of the period in which Qur,an was revealed. but it might be the meaning of latter periods,*

*Our many Mufassirs and scholars do not mind this important thing so they indulged in serious contradictions. Frahi wrote "Mufrada-tul-Qurán in this regard.*

*From the language of Qura,n Frahi's study expands to the rhetoric of the Qur'an and its lingual beauties.*

*He wrote "Jamhara-tul-Balaghah and "Äsalib-ul-Qur'an to describe that "Qur,nic language is above from the ordinary Arabic language, that is why it is a lingual miracle of God, so the ordinary rules of Arabic language some time do not apply on Qur'an but it cross the boundary of the language , so the language of Qur'an needs a special study,*

*From the rhetoric of Qur'an Frahi's study goes to the coherence of Qur'an. Frahi describes that coherence is the key to understand the Qur'an.*

*Farahi is the first person who began his" Tafsir" in the light of coherence and proved that Qur'an is a complete book of God. To prove it he wrote Dalail-al-Nizam" and "Al-Takmeel –fi- Usuluttawil"*


* باحث، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي، الهند

*Apart from these books Farahi called for recompilation of Islamic sciences because they are not compiled in Qur'anic view of point, In this regard he wrote Hujaj-ul-Qur'an and Hikma-tul-Qur'an.*

*There are many other books in this project which are still in manuscript forme, they are also very important, and need to some who publish it.*

**KEYWORDS:** *Hikma-tul*-Qur'an., Farahi's, Tafsir, Hujaj, Lingual

**الكلمات المفتاحية:حكمة القرآن ، الفراهي ، تفسير، حجة ، لساني**

**الملخص**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وبعد:

يتألف بحثي من ثمانية مطالب: **المطلب الأول: خلفية تراث الفراهي (مقدمة)**

يعد القرن الرابع عشر الهجري من أخصب عصور التاريخ لكثرة رجال العلم والفكر والأدب ومن أظلم أدوارها من ناحية جور الاستعمار على المنكوبين من أبناء الدول الصغيرة وقد أحدث هذا الجور صراعًا فكريًا وأدبيًا وعلميًا عنيفًا بين أبناء الدول الصغيرة وأفراد الاستعمار الغاشم فأنجبت كل أمة رجالًا في كل مجال من مجالات الحياة.

وكانت الامة الاسلامية أكثر الامم مواجهة لشدائد هذا الاستعمار لأنها خسرت في المعركة أضعف مما خسر بها الآخرون فحاول الاستعمار أن يقضي عليها إلى آخر ما تملكها من كنوز دينية وفكرية وعلمية وأدبية بعد أن قضى على ثروتها المادية.

في هذه الفترة الحرجة قيض الله لها رجالًا غيورين التفتوا إلى إصلاح ما فسد في الأمة الاسلامية وكان من بين هذه الرجال أحد من علماء الهند يسمّى عبد الحميد الفراهي، لم يكن الفراهي من مثقفي العلوم الإسلامية فقط بل درس العلوم الحديثة ورأى عن كثب مكائد الاستعمار في نشر الافكار الفاسدة وما يبثها من بذور الافتراق والانتشار وما يحاولها من أبعاد الأمة الإسلامية عن مصادرها الأصيلة من القرآن والسنة وخلق الشكوك والشبهات في صدق الديانة الاسلامية.

**المطلب الثاني: محاور أساسية في تراث الفراهي (تمهيد)**

لقد قام كثير من علماء هذه الأمة مثل العلامة محمد عبده والعلامة رشيد رضا والعلامة جمال الدين الأفغاني والعلامة شبلي النعماني بالدفاع عن الدين الاسلامي وتقديم شريعته المطهرة أمام الناس في

أسلوب جديد وإصلاح ما طرأ على العلوم الاسلامية والعربية من الأفكار الاجنبية وقد تأثر المعلم عبد الحميد الفراهي بهذه الحركة الاصلاحية وبدأ يدرس العلوم الاسلامية وبعد طول دراسته وصل إلى هذه النتيجة أن سر نجاح هذه الأمة تكمن في تعليمات القرآن الكريم الخالصة وما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث النبوية ولكن الأمة الإسلامية في عصر من عصورها بعدت عن القرآن الكريم بسبب كثرة اشتغالها بعلوم المنطق والفلسفة ونشوء الفرق الباطلة في البلاد الاسلامية ولذلك لم يبق أي علم من العلوم الاسلامية والعربية إلا وقد تأثر بعقلية اليونان وطرق استدلالها دون التذوق بطبيعة القرآن الكريم والأحاديث النبوية ليكونوا على بصيرة منهما فنشأت الطوائف والفرق الكثيرة التي كانت تستغل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لتحقيق طموحاتهم الفاسدة ولم يكن هناك أي علم يحول دون هذه الاستدلالات الفاسدة فلما فكر الفراهي في هذه الناحية رأى أن القرآن الكريم بريء من جميع المفاهيم الخاطئة التي تنسب إليه الفرق الباطلة لأن القرآن الكريم يحمل في طياته نظاما معينا من أوله إلى آخره ولا يمكن لأحد أن يقطع أي آية من آياته من النظام الذي يربطه وهو الذي يعين مفهومه والقرآن الكريم يفسر آياته بنفسه فإذا أراد أحد أن يعرف النظام الالهي للإنسان في هذا العالم فلا بد أن يرجع إلى النظام الموجود في داخل القرآن الكريم وهذا النظام يهديه إلى منطق جديد دون منطق اليونان ليعرف به الانسان السنن الالهية في الكون والقرآن الكريم هو الشمس التي تستنير به كوكبة حياة الانسان فلا بد أن تدون جميع علومه في ضوء منطق القرآن الكريم ومبادئه وأما العلوم التي توجد اليوم فقد وضعتها الحضارات في غياب الكتاب الالهي فليس لها أساس متين وأما العلوم التي وضعت بعد نزول القرآن الكريم فلا شك أنها استلهمت بتعليمات القرآن الكريم ولكن بسوء الحظ قد استفادت في تدوينها بأسس منطق اليونان وهي أسس يأباها المنطق القرآني حتى أن العلوم العربية والقرآنية التي وضعت لخدمة القرآن الكريم قد تأثرت كثيرا بعلوم اليونان وهذا هو سبب انتشار الأمة وضعفها ولذلك استعرض أولا العلوم التي وضعت لفهم القرآن الكريم وحاول أن يرسم خطة لوضعها من جديد.

### المطلب الثالث: التعريف بتراث الفراهي (المطبوع والمخطوط) (نقطة رئيسية)

إن الفراهي قد وضع خطة لتأليف الكتب حول القرآن الكريم في اثني عشر مجلدًا خمسة كتب في ظاهر القرآن الكريم وهي تاريخ القرآن الكريم (المخطوط) مفردات القرآن الكريم وأساليب القرآن الكريم والتكميل في أصول التأويل ودلائل النظام وسبعة في باطن القرآن الكريم وهي حكمة القرآن، وحجج القرآن، والقائد إلى عيون العقائد، والرائع في أصول الشرائع، وأحكام الأصول بأحكام الرسول، وأسباب

النزول، والرسوخ في معرفة الناسخ والمنسوخ. وقد ألف تفسيرًا يسمى نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان غيرها من الكتب لا نريد الإحصاء.

**المطلب الرابع: قيمة تراث الفراهي (نقطة رئيسية)**

الكتب التي ألفها الفراهي هي معالم في طريق تدوين العلوم الاسلامية والدراسات القرآنية من جديد، لأن الحاجة ماسة ملحة أن نستعرض التراث الاسلامي وندونها من جديد في ضوء القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

**المطلب الخامس: قراءة لأهم جوانب التراث المطبوع للفراهي. (نقطة رئيسية)**

عندما نستعرض التراث المطبوع للفراهي نجد أنه محاولة لفهم ظاهر القرآن الكريم وباطنه والمراد بالظاهر لغة القرآن الكريم وأساليبه ونظمه وأما باطنه فالمراد منه فهم معاني القرآن الكريم وما يستنبط منه من الأسس والبراهين وفي هذا الصدد قد تحدث عن كلام العرب واللغة العربية وعلومها والبلاغة وغيرها من الآداب العربية.

**المطلب السادس: قراءة لأهم جوانب التراث المخطوط للفراهي. (نقطة رئيسية)**

استعرضت فيه التراث المخطوط للفراهي، وذكرت فيه سبب تأليفه وأهم عناوينه وسبب عدم طباعته ومكان وجوده مع ذكر قيمته في تراث الفراهي.

**المطلب السابع: تقييم التراث المطبوع والمخطوط للفراهي. (نقطة رئيسية)**

بعد دراسة تراث الفراهي نجد أن الفراهي كان إنسانًا والإنسان يخطئ كما يصيب فالكتب التي ألفها الفراهي والنظريات التي قدمها ترشد إلى جانب مهم من البحث والتحقيق ولو أن البعض يحتاج إلى مزيد من الدقة لأن الفراهي لم يستطع أن يكمل كثيرا من أعماله ولم تتوفر له المصادر التي طبعت فيما بعد.

**المطلب الثامن: خاتمة البحث**

**المطلب الأول: خلفية تراث العلامة عبد الحميد الفراهي (مقدمة)**

يعد القرن الرابع عشر الهجري من أخصب عصور التاريخ، فإنه قد أنجب رجالًا كثيرًا في مختلف مجالات الحياة، والسبب يرجع في ذلك إلى الظروف والأوضاع التي سادت في العالم كله وفي بلاد آسيا والشرق الأوسط خاصة.

فالخلافة العثمانية كانت تلفظ آخر أنفاسها والاستعمار البريطاني كان يحاول أن يستقر في المناطق الإسلامية وينشر حضارته وثقافته ونظرياته في العالم الإسلامي، ليقطع صلة المسلمين عن ماضيهم المجيد ومنابعهم الاصيلة من القرآن والأحاديث النبوية والثقافة الاسلامية التي تستطيع أن تنفخ روحًا جديدة في جسد الأمة المريض.

وعلى جانب آخر كانت الأمة الإسلامية تمر بأحط أدوارها في التاريخ، لأن العلوم الأجنبية التي دخلت في الدولة الإسلامية في العصر العباسي، قد أثرت كثيرًا في طريقة الفكر والنظر وأسلوب الكتابة والبحث وطريقة التأليف والتصنيف وتفاقم الأمر إلى حد أن العلوم قد أصيب بجمود علمي وعقلي وأثير الجدل الذي لا جدوى له بين العلماء المسلمين والفلاسفة والمتكلمين وظهر كثير من القضايا التي أصبحت سببا لنشوء الفرق الباطلة والعلوم الفاسدة.

ولكن في تلك العصور قد واجهها العلماء المسلمون بسلاح من الايمان والعقيدة الخالصة وبنور من القرآن والسنة ولكن عندما انهارت الدولة العباسية وانقسمت الدولة الاسلامية إلى دويلات كثيرة وثارت الحروب بينها وحدثت تلك الفتنة العظيمة التي كادت أن تقضى على كثير من التراث الاسلامي اتجه العلماء المسلمون إلى حفظ ذلك التراث من الضياع ولم يجدوا فرصة لتنقيحه من الاضافات والمؤثرات التي طرأ عليه لكثرة اشتغال الناس بعلوم المنطق والفلسفة.

فلما أراد الاستعمار أن ينبت بذور الافتراق في الأمة الاسلامية استخدم لتحقيق مصالحه في المناطق الاسلامية الروايات والأفكار والآراء التي لم تكن اسلامية خالصة بل جاءت من العلوم الأجنبية ودخلت في مؤلفات المسلمين.

لأن محاولة تدوين العلوم الاسلامية التي بدأت في العصور الإسلامية الاولى قد واجهت في سبيلها عقبات أثرت في مسيرتها وأهدافها ومناهجها فلم يتم التدوين لكثير من العلوم على المستوى الذي أراد به الأولون مثلًا القرآن الكريم الذي كان في حياة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين مصدر جميع جهودهم ومركز هدايتهم لجميع أعمالهم ولكن في العصور المتأخرة عندما دخلت الأعاجم في البلاد الاسلامية وترجمت العلوم الأجنبية إلى العربية نفقت سوقها إلى حد أنه لم يبق للقرآن الكريم الصدارة التي حظي بها في عهد الصحابة رضي الله عنهم.[١]

وكذلك العلوم العربية التي دونت لفهم القرآن الكريم أصبحت بعيدة عن الهدف بسبب اشتغال أصحابهم بالمسائل الفرعية ومخاصماتهم في تدوين المسائل فكثير من الشواهد انتحلوها لإثبات قواعدهم والأمر الذي هو أشد منه أنهم لم يدرسوا القرآن الكريم بإمعان النظر لذلك هم يقولون في كثير من

القواعد أنها لا يوجد في القرآن وهو موجود فيه ومن يريد قراءة هذين الأمرين فليقرأ كتاب دراسات لأساليب القرآن الكريم لعبد الخالق عضيمة[٢] وتدليس ابن مالك في شواهد النحو.[٣]

وبسبب هذه الاشياء وجد الاستعمار سبيلًا لبث الشكوك والشبهات في صحة الديانة الاسلامية ونشر التعليمات المضادة لدين الإسلام فلما اشتد هجوم الاستعمار على الدين الاسلامي اضطربت الأمة الإسلامية وبدأ علماء المسلمين في مختلف أقطار العالم يفكرون في الدفاع عن الدين الإسلامي فلم يجدوا سبيلًا لإنقاذ الأمة من هذه الورطة إلا أن يقوموا بدراسة العلوم الاسلامية من جديد ليردوا على الشكوك والشبهات التي أثارها الغرب ضد الدين الاسلامي وبأثر ذلك بدأت حركة إصلاح العلوم والفنون وكان على رأسها العالم الكبير محمد عبده والعلامة جمال الدين الافغاني والأستاذ رشيد رضا المصري وفي الهند بدأت هذه الحركة عند السير سيد أحمد خان والعلامة شبلي النعماني والعلامة اقبال والأستاذ أبو الأعلى المودودي كلهم دعوا إلى عملين مهمين:

الأول: رد شبهات المستشرقين في ضوء التعليمات الإسلامية من القرآن والسنة وتقديمها في أسلوب عصري جديد.

الثاني: دراسة العلوم العربية والاسلامية من جديد ليخلصوها من البحوث والاضافات التي دخلت في مؤلفات المسلمين ولا جدوى لها.

نشأ الفراهي في هذا الجو وتأثر بهذه الحركة الإصلاحية خلال دراسته عند أخيه العلامة شبلي النعماني ولما التحق بعلي كره شاهد عن كثب مكائد الاستعمار في تمويه الحق بالباطل وبدأ يفكر في ضعف المسلمين وتخاذلهم وانسحابهم عن ميدان الحياة مع أن القرآن الكريم الذي يضمن لهم السعادة والعلو في الدنيا والآخرة كان في أيديهم ولكنهم كانوا أحط الأمم في ذلك الوقت وكانوا مصابين بكثير من الضلال الفكري والانحراف الاجتماعي فلما فكر الفراهي في هذه الأوضاع بدا له أن القرآن الكريم صادق في وعده ولكن الأمة الاسلامية لم يجعل القرآن الكريم بعد صدر الاسلام شمسًا يستضاء بها في جميع مجالات الحياة ولم يدون جميع العلوم والمعارف في ضوء الفكر القرآني الخالص لأن القرآن الكريم يغير وجهة نظر الإنسان تجاه كل شيء تغيرًا جذريًا لا جزئيًا ويقدم منطقًا وفلسفة جديدة تشكل أسسًا جديدة لكل حقل معرفي وفكر إنساني.

ولذلك اذا لم يستعن الانسان في تشكيل أي علم من العلوم أو تطوير أي معرفة من المعارف بمنطق القرآن ووجهة نظره لم تكن قبلته صحيحة ولا صلاته مقبولة. فأعد الفراهي مشروعًا علميًا لدعم حركة الرجوع إلى القرآن الكريم التي بدأها الامام شاه ولي الله الدهلوي في الهند وإصلاح ما فسد في العلوم

الدينية والآداب العربية بسبب تدخل العناصر الأجنبية فيها والنهوض بنظام تعليمي جديد يقوم على أساس الأصالة في الفكر الإسلامي، والبعد عن الخلافات والنزاعات، والتحرك في البحث عن المفاهيم الدينية والشرعية في المصادر الإسلامية دون التقليد بمفهوم بينه العلماء في عصر من العصور الإسلامية.

**المطلب الثاني: محاور أساسية في تراث الفراهي**

كما ذكرنا آنفًا أن الفراهي قد تأثر بأوضاع المسلين في كل العالم والحركات الإصلاحية والتجديدية للأمة الإسلامية التي كانت تستمر في مختلف أقطار العالم فساهم فيها بتحقيقاته ونظراته.

وكان الفراهي يحتج بأن الأمة الإسلامية التي تمر بأحط أدوارها لا يمكن لها أن تبوأ بمكانة عظيمة بين الأمم إلا أن يجعل القرآن الكريم محورًا لجميع جهودها ومصدرًا يرجع إليها في جميع أمورها.

وهذا لا يمكن للأمة أن تحصل عليها إلا إذا كانت تفهم القرآن الكريم فهمًا صحيحًا، والفهم الصحيح يحتاج إلى المعرفة الصحيحة للسان العربي المبين، الذي أنزل فيه القرآن الكريم، والعربي المبين لا يوجد إلا في كلام الجاهليين والإسلاميين دون كلام العصور التي تداخلت فيها اللغات وتكاثرت ثقافات الأمم، فلا يفرق فيها بين العربي القح والعربي المولد.

ولمعرفة العربي القح يجب التذوق التام بخطب العرب ودواوين شعرهم لأنها تزخر بالمفردات وأساليب العرب وطرق بيانهم وسننهم في معالجة الكلام من النثر والشعر.

ولكن بسوء الحظ الكتب التي ألفت في العلوم العربية من النحو والصرف والبلاغة والمعاجم لم تعتن إلى هذا الجانب المهم بوجه خاص لذلك نجد أنها لا تفرق في الاستشهاد بين عصر وعصر بل يستشهد كثيرًا بأبيات المتنبي والبشار وأبي نواس اللهم إلا كتب الأوليين فهي تحذر في الاستشهاد بهم ولكن لم تشتهر ولم تتداول كما تداولت كتب المتأخرين.

والأمر الذي فات من الأولين أيضًا هو الدراسة المستقلة للسان القرآن الكريم وأساليبه لأن لغة القرآن الكريم في كثير من الأحيان تفوق في مفرداته وأساليبه وبلاغته على المفردات والأساليب والبلاغة التي تتداول في كلام العرب وهذا هو سر إعجاز القرآن الكريم.

فمثلا كلمة الصيام والصلاة والحج والتقوى كلمات عربية ولكن هي مفردات قرآنية خاصة. فإذا لم يتذوق أحد بهذه المفردات القرآنية في ضوء نظائرها في القرآن الكريم لا يعرف مفهومها الصحيح ولو كان ماهرًا في العربية.

وكذلك "الحذف" أسلوب عربي معروف ولكن الحذف في القرآن الكريم يحتاج إلى دراسة مستقلة في ضوء نظائرها في آيات القرآن الكريم لأنها أبلغ وأجود مما هو معروف في العربية. وكذلك الأمر في القواعد النحوية والصرفية فإن القواعد النحوية والصرفية في القرآن الكريم تحتاج إلى دراسة مستقلة لأن عربية القرآن الكريم أرفع بكثير من العربية العامة فتختلف قواعدها في بعض الأحيان عما هو معروف في العربية والذي لم يعرف هذه القواعد الخاصة للقرآن ولا يجدها في كتب النحو لا يفهمها فهما صحيحا أو يقول كما قال المستشرقون إن في القرآن أخطاء نحوية وصرفية ( نعوذ بالله)

ولعدم مراعاة هذه الأسس فتحت أبواب الاستنباطات الخطيرة من القرآن الكريم وكثرت المفاهيم وازداد سوء التأويل وضعف حبل الله المتين.

والأمر الذي كان أشد منها خطرًا هو فهم القرآن الكريم كمجموعة من الأفكار المنتشرة لا يربطها شيء ولو أن العلماء عرفوا التناسب الموجود في آيات القرآن الكريم ولكن لم يعتنوا بهذا الجانب اعتناء خاصًا ولو اعتنوا به لما فتحت أبواب سوء التأويل.

وعلاوة على ذلك لم يرجع علماء هذه الأمة في تدوين أصول التفسير والتأويل وأصول الفقه وطريقة الاستدلال إلى الأسس الخاصة التي يهدي بها القرآن الكريم وقد تحدث بها الفراهي في كتبه "التكميل في أصول التأويل" و"القائد إلى عيون العقائد" و"حجج القرآن" و"حكمة القرآن".

وكذلك أشار الفراهي إلى أن منطق اليونان قاصر عن الكشف بسنن الله في الكون ونظامه طريقته مع الناس فلا بد أن نعرف الشريعة المطهرة وحكمتها على الطريقة الفطرية التي بينها الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه وكذلك جميع أمور الحياة لا بد أن تدون أصولها في ضوء القرآن الكريم من الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتاريخ والفلسفة.

## المطلب الثالث: التعريف بتراث الفراهي (المطبوع والمخطوط)

نقسم تراثه العلمي والأدبي إلى قسمين:

**الأول**: التراث المطبوع.

**الثاني**: التراث المخطوط.

الأول: **التراث المطبوع**: وهو يشتمل على الكتب والرسائل والدواوين التي طبعت في حياة الفراهي أو بعد وفاته من الدائرة الحميدية ودار المصنفين أو من المطابع خارج الهند.

**١. نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان:** صدرت طبعته الأولى من دار الغرب الاسلامي ببيروت في مجلدين ٢٠١٢م (١٤٣٣هـ) وهو تفسير الفراهي يشتمل على تفسير القرآن الكريم بدأ من آية بسم الله وسورة الفاتحة إلى ستين آية من سورة البقرة وآيات من سورة آل عمران وقصار السور من آخر القرآن الكريم.

**٢. رسائل الامام الفراهي: (المجموعة الأولى)** وهو يشتمل على ثلاثة كتب:

**دلائل النظام:** وهو كتاب قيم جدًا أفرده الفراهي لبيان حججه على وجود النظام في القرآن الكريم، نشرته الدائرة الحميدية في ١٩٦٨م ثم طبعت في هذه المجموعة.

**أساليب القرآن:** وهو كتاب قيم للفراهي ألفه لبيان وجوه الاساليب في القرآن الكريم لأنه يرى أن عدم معرفة أساليب القرآن يؤدي إلى سوء التأويل، طبعته الدائرة الحميدية سنة ١٩٦٩م ثم صدرت طبعته الثاني في هذه المجموعة.

**التكميل في أصول التأويل:** وهو من الكتب الثلاثة التي ألفها كمقدمة لتفسيره وهو كتاب مهم في أصول التأويل، طبعته الدائرة الحميدية عام ١٩٦٨م.

**٣. رسائل الإمام الفراهي: (المجموعة الثانية)** نشرته الدائرة الحميدية.

**٤. حجج القرآن:** وهو كتاب نادر انتقد فيه المؤلف منطق اليونان وأثبت أن المنطق اليوناني يخطئ في معظم الأوقات في الوصول إلى نتيجة صحيحة وللقرآن الكريم منطق خاص لبيان القضايا لما بعد الطبيعيات، ولكن لم يدون المسلمون هذا المنطق القرآني واختاروا منطق اليونان فوقعوا في الفتن العظيمة وهذا الكتاب محاولة تدوينه

**٥. حكمة القرآن:** طبعته الدائرة الحميدية. وهو شرح "تعليم الحكمة" التي بينها الله سبحانه وتعالى من مسؤولية بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم.

**٦. إمعان في أقسام القرآن:** وهو من أروع ما كتب الفراهي في بيان أسباب القسم في القرآن الكريم وحكمة وروده فيه. وقد طبع هذا الكتاب مرتين في حياة المؤلف، في المرة الأولى طبع الكتاب باسم "أقسام القرآن" من مطبعة "أصح المطابع بلكناؤ" في عام ١٩٠٦م وقد لخصه العلامة شبلي النعماني في مجلة "الندوة" في شهر أبريل عام ١٩٠٦م وكانت ضجته كثيرة في الأوساط العلمية وقال السيد سليمان الندوي في التعريف بهذا الكتاب:

"الإمام الرازي هو أول من عالج القسم في القرآن الكريم في عدة مواضع من تفسيره ثم ألف ابن القيم رحمه الله كتابه "التبيان في أقسام القرآن" ولكن الفراهي شق طريقًا جديدًا في هذا المجال وفي الحقيقة لم يؤلف أحد مثله في التاريخ الإسلامي كله".

ثم زاد الفراهي في بحوث هذا الكتاب وبرهنه بمزيد من الدلائل ورتبه على نحو جديد حتى أصبح كتابًا جديدًا وسماه "إمعان في أقسام القرآن" وطبع الكتاب من المطبعة الأحمدية في علي كره سنة ١٣٢٩ﻫ ثم صدرت طبعته الثانية من المطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٤٩ﻫ ثم طبعت منها دار القرآن الكريم بالكويت عام ١٤٠١ﻫ ثم صدرت الطبعة الرابعة الطبعة المحققة بتقديم سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي من مطبعة دار القلم بدمشق عام ١٤١٥ﻫ وهي أجود طبعاته.

٧. **مفردات القرآن**. و هو أول كتاب من سلسلة الكتب التي ألفها الفراهي كمقدمة لتفسيره "نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان" لأن الخطة التي رسمها الفراهي لتفسير القرآن الكريم تبدأ بشرح مفردات القرآن الكريم،

لم يقصد المؤلف شرح جميع مفردات القرآن كالإمام الراغب الأصبهاني رحمه الله بل أخذ المفردات التي احتاج إلى شرحها، ففسرها في ضوء اشتقاقاتها الواردة في مواضع مختلفة من القرآن الكريم وشواهدها في كلام العرب كما رجع في تحقيق أصول بعض الكلمات إلى اشتقاقاتها في العبرانية.

صدر الكتاب أول مرة من مطبعة "اصلاح" سرائ مير أعظم كره باعتناء الأستاذ "عبد الأحد الإصلاحي" عام ١٣٥٨ﻫ ثم نشرته دار الغرب الإسلامي بتحقيق وشرح الدكتور أجمل أيوب الإصلاحي عام ٢٠٠٢م وصدرت منه طبعتان من الدائرة الحميدية بتصوير نسخة دار الغرب الإسلامي.

٨. **الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح**: تصدى الفراهي في هذا الكتاب لإبطال ظن اليهود أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام وأقام الحجة عليهم من نصوص التوراة وأثبت أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام وكشف عن كثير من تحريفات اليهود في كتابهم وفي أثناء هذا البحث تحدث عن حقيقة الذبح وأهميته في الاسلام.

وقد صنف الفراهي هذا الكتاب في عام ١٣٣١ﻫ واسم الكتاب تاريخي يشير إلى السنة المذكورة وطبع الكتاب في حياة المؤلف من مطبعة معارف عام ١٣٣٨ﻫ الموافق عام ١٩٢٠ﻫ ثم صدرت الطبعة

الثانية منه من الدائرة الحميدية عام ١٤١٤هـ وصدرت الطبعة الثالثة من دار القلم بدمشق عام ١٤٢٠هـ.

**٩.جمهرة البلاغة**: ألفه الفراهي سنة ١٣٢٢هـ الموافق سنة ١٩٠٤م أو ١٩٠٥م لأن اسم الكتاب تاريخي يشير إلى العام المذكور آنفًا.

وقد أرسل الفراهي بعض فصوله إلى العلامة شبلي النعماني فأعجب به إعجابًا شديدًا وكتب إلى الفراهي أنه سوف يلخصه في مجلة "الندوة" الصادرة من ندوة العلماء بلكنؤ ثم نشر تلخيصه في مجلة الندوة في شهر ديسمبر عام ١٩٠٥م ثم بدأت تنشر مجلة البيان الصادرة من لكناؤ ترجمته مع نص الكتاب إلى الأردية وتوجد ترجمة عشرين صفحة من الكتاب ولكن لم أطلع على الصفحات الباقية من الكتاب.

وقد طبعته الدائرة الحميدية أول مرة في مطبعة معارف عام ١٣٦٠هـ الموافق ١٩٤١م.

وجمهرة البلاغة من أهم الكتب للفراهي حول موضوع بلاغة القرآن الكريم وبيان إعجازه وفيه ترتيب جديد للفن ونقد على البلاغة القديمة ومحاولة لتأسيس البلاغة العربية في ضوء القرآن الكريم وكلام العرب الخالص.

**١٠. التعليقات**. هو ما علق الفراهي في مصحفه من تفسير آية أو شرح كلمة أو بيان أسلوب أو عمود سورة، أو نظام الآيات. طبعت من الدائرة الحميدية في مجلدين.

**١١. أمثال آصف الحكيم**: مجموعة حكايات آصف الحكيم نقلها الفراهي من الإنجليزية إلى العربية صدرت منه عدة طبعات.

**١٢. القائد إلى عيون العقائد**: طبعته الدائرة الحميدية، وهو يتحدث عن قضايا الاعتقاد في ضوء آيات القرآن الكريم.

**١٣. في ملكوت الله**: ذكر فيه المؤلف أسباب رقي الأمم وانحطاطهم في ضوء سنن الله المذكورة في القرآن الكريم وتحدث أيضًا عن النظام السياسي في الإسلام. نشرته الدائرة الحميدية من مطبعة الكوثر عام ١٩٧١م

**١٤. أسباق النحو**: وهو كتاب في جزئين ألفه الفراهي باللغة الأردية للمبتدئين من طلاب اللغة العربية لتبسيط مباحث النحو والصرف على طريق جديد.

**١٥. تحفة الاعراب:** قصيدة رائية في النحو، طبعت لها في حياة المؤلف عدة طبعات.

**الثاني: التراث المخطوط:** وهو يشتمل على الكتب التي أراد الفراهي تأليفها وكتب بعض فصولها وأبوابها ولكن لم يستطع أن يكمله ككتبه الأخرى بل بقي في مسوداته منتشرة.

١. **تاريخ القرآن:** كان الفراهي يريد أن يكتب خمسة كتب في ظاهر القرآن الكريم وهو الرابع في هذا الترتيب وهو مخطوط في ٨ صفحات[٤].

٢. **النظام في الديانة الإسلامية:** وهو كتاب ألفه الفراهي لبيان التوافق في نظام الكون ونظام الشريعة المطهرة التي أنزلها الله سبحانه وتعالى.

٣. **أوصاف القرآن:** وهو مخطوط في عشرة أوراق.

٤. **فقه القرآن:** أراد المؤلف في هذا الكتاب أن يحيط بأحكام الفقه التي وردت في آيات القرآن الكريم ومخطوط هذا الكتاب في ستة أوراق.

٥. **الإكليل في شرح الإنجيل:** المسودة في ١٠ أوراق.

٦. **الأزمان والأديان:** وقد أراد المؤلف في هذا الكتاب أن يبين سر الأوقات والتواريخ والأشهر التي وردت في القرآن الكريم وله مسودتان في المسودة الأولى في ثلاثة أوراق والمسودة الثانية تشتمل على ١٢ ورقة

٧. **الإشراق في الحكمة الأولى من حقائق الأمور ومكارم الأخلاق:** وهو في ستة أوراق.

٨. **القسطاس لوزن الأعمال واختيار ما هو الراجح في المقياس:** هذه المسودة تشتمل على ثمانية أوراق.

٩. **النظر الفكري حسب الطريق الفطري:** وهو مخطوط في ٦ أوراق.

١٠. **العقل وما فوق العقل:** وهو يشتمل على أربعة أوراق.

١١. **المنطق الجديد:** وهو يشتمل على ١٨ ورقة.

١٢. **الدر النضيد في النحو الجديد،** بدأ الفراهي تأليفه **سنة ١٣١٥هـ** والمقصود من الكتاب بين من عنوان الكتاب وهو مخطوط في مسودتين ومجموع أوراقهما ٤٤ ورقة.

١٣. **مسائل النحو:** وهو بعض أوراق مذكراته في النحو.

١٤. **فلسفة البلاغة**: وقد أراد الفراهي تأليف هذا الكتاب لشرح كتابه جمهرة البلاغة ولكن لم يستطع إكماله وهو مخطوط في مسوداته.

**المطلب الرابع: قيمة تراث الفراهي**

قيمة تراث الفراهي تكمن في كونه حافزا للدراسات الجديدة في العلوم القرآنية و العلوم العربية وإحياء الحركات الجديدة في تطهير العلوم والفنون من العناصر الأجنبية البعيدة من منطق القرآن الكريم وفلسفته وحكمته وهو يدعو إلى إجماع الأمة الإسلامية على أساس متين من القرآن والسنة ويشرح أسباب نشوء الخلافات الفقهية والدينية والنزاعات المنطقية والفلسفية في الأمة الاسلامية ويقدم حلولًا لها وأشكالًا لرفعها وصور التقريب بين المذاهب الفقهية وهو يدعو إلى الأصالة في البحث والتحقيق ويرفض الجمود والتقليد بل يحث على دراسة العلوم الاسلامية من جديد وتوثيقها بمصادرها الأصيلة بعيدًا من جميع القيود الذهنية والفكرية لتخرج الأمة الإسلامية من الجمود العلمي والفكري الذي أصابه بعد انهيار الدولة الإسلامية وتتجدد مرة أخرى سوق الاجتهاد في قضايا الحياة كما يحاول الفراهي في كتبه أن يدعو الأمة الإسلامية إلى أن تدخل في الإسلام بأجمعها فلا تبقى ناحية من نواحي حياتها إلا أن تكون مستنيرة بوحي من القرآن الكريم فلا بد أن تعرف منطق القرآن الكريم وطرق استدلاله في معرفة الشريعة الإسلامية والحكمة الإلهية لكي تستخدمه في معرفة مرضات ربها في مختلف شؤون الحياة من الاقتصاد والسياسة والعدالة والاجتماع ويدون العلوم الانسانية في ضوء القرآن الكريم حتى تصبح أمة قرآنية.

**المطلب الخامس: قراءة في أهم جوانب التراث المطبوع للفراهي**

لقد مر بنا في الفصول السابقة أن التراث المطبوع للفراهي يتسم بثلاث جوانب مهمة وهو الجانب العلمي والجانب الفكري والجانب الاصلاحي.

لقد أعد الفراهي بعد طول دراسته مشروعًا علميًا ضخمًا لدراسة القرآن الكريم وعلومه لأنه كان يرى ـــ كما مر ــ أن فوز هذه الأمة ونجاحها في معترك الحياة يتعلق بعملها الصحيح على القرآن الكريم والعمل لا يصح مالم يكن فهمه صحيحًا. والفهم الصحيح يحتاج إلى التذوق بلغته وأساليبه وبيانه وطرق استدلاله والمعرفة بحكمه ولطائف معانيه والكلام لا يكون قويًا مؤثرًا ما لم يكن قوي التأليف مترابط الكلمات والجمل، منظم الأطراف يدور حول موضوع محدد ويخفى كثير من معاني الكلام إذا لم يتضح التركيب والنظام ولكن بسوء الحظ لم يعتن العلماء بهذا الجانب المهم بل لا يزال يدرس القرآن

الكريم كمجموعة أفكار منتشرة ولم يدرسه ككتاب منظم مربوط يتحدث حول مواضيع محددة وله فصول وأبواب ولذلك نشأت الخلافات في الأمة لأن كل فرد من أفرادها يفرح بما لديه من مفهوم الآية.

**نظرية النظام**: وقد أحس الفراهي هذا الجانب المهم و لما تدبر في آيات القرآن الكريم وسوره بدا له أنه لا توجد المناسبة في آيات القرآن الكريم فقط بل إنه كتاب منظم ومربوط من أوله إلى آخره فأراد أن يوضح دلائله فألف كتابه **دلائل النظام** وقال:"القرآن الكريم كلام منظم ومرتب من أوله إلى آخره على غاية حسن النظم والترتيب، و ليس فيه شيء من الاقتضاب لا في آياته ولا في سوره بل آياته مرتبة في كل سورة كالفصوص في الخواتم وسوره منظمة في سلك واحد كالدر في القلائد، حتى لو قدم ما أخر أو أخر ما قدم لبطل النظام وفسدت بلاغة الكلام بل ربما يعود إلى قريب من الهذيان."[٥] وادعى بأن الاختلاف الشديد الذي نشأ بين صفوف المسلمين وفرق بين قلوبهم إنما يرجع سببها إلى عدم مراعاة نظام الآيات والسور في تأويلاتها فلما وقع الخلاف في التأويل وقع الخلاف في العقائد وفتحت أبواب التأويلات البعيدة فوقعت الفتنة بين المسلمين لأن كل جماعة تستدل بآيات القرآن الكريم وتفرح بما لديها وقد طبق نظرية نظامه في قصار السور أولًا فقام بتفسير **سورة الفاتحة وسورة العصر وسورة الاخلاص وسورة التين وسورة الشمس وسورة القيامة وسورة ذاريات وسورة التحريم وسورة المرسلات وسورة عبس وسورة الكوثر وسوة الكافرون وسورة الفيل وسورة الكافرون وسورة العلق والناس وسورة لهب**، ثم أراد أن يؤلف تفسير القرآن الكريم من بدايته فقرر أولًا أن يوضح أصوله ومبادئه في فهم الآية الكريمة لكيلا يصعب على القارئ فهم طريقته في التفسير. فألف عدة كتب في مفردات القرآن، وأساليب القرن، وبلاغة القرآن، وأصول التأويل في آيات القرآن، والعقائد.

**عدم الاعتماد في شرح المفردات القرآنية على المعاجم العربية فقط**: ألف الفراهي كتابه "**مفردات القرآن**" لبيان طريقته في شرح المفردات القرآنية وهو لا يتبع طريقة عامة العلماء في تفسير جميع المفردات القرآنية من أولها إلى آخرها بل أخذ المفردات التي احتاج إلى شرحها، ففسرها في ضوء اشتقاقاتها الواردة في مواضع مختلفة من القرآن الكريم وشواهدها في كلام العرب كما رجع في تحقيق أصول بعض الكلمات إلى اشتقاقاتها في العبرانية. كان الفراهي يعتقد أن كثيرا من المفردات العربية قد تغير روحها أو قيمها مع مر العصور واختلاط الألسنة لذلك إنها تستخدم اليوم في معنى يختلف بمعناها الذي كان مستخدمًا عند نزول القرآن الكريم، ومن سوء الحظ لا تعطي كتب اللغة في كثير من الأحيان حدًا تامًا للكلمة ولا تفرق بين العربي القح والمولد ولا تؤدي إلى جرثومة المعنى فلا يكون الفرق بين الحقيقة والمجاز ولا الأصل والفرع " فمن لم يمارس كلام العرب واقتصر على كتب اللغة ربما لم يهتد

لفهم بعض المعاني من كتاب الله."[٦] فإن الخطأ في شرح كلمة واحدة يؤدي إلى سوء فهم الكلام كله وكما نرى "أن الخطأ في حد كلمة واحدة أنشأ مذهبًا باطلًا وأضل به قومًا عظيمًا وجعل الملة بددًا".[٧]

**الاعتماد في فهم أساليب القرآن على كلام العرب الخالص ونظائر القرآن:** كان في مشروع الفراهي أن يبين طريقه في فهم أساليب القرآن في كتاب على حدة قبل تأليف تفسيره فبدأ كتابه "أساليب القرآن" ولكن لم يستطع أن يكمله ولكن في بدايته بين طريقته في معرفة أساليب القرآن.

**الدعوة إلى تأسيس البلاغة القرآنية لمعرفة اعجاز القرآن الكريم:** كما رأينا فيما سبق أن الفراهي يحاول أن يدون علوم القرآن عن طريق التذوق بالقرآن الكريم وكلام العرب الذي هو خالص من شوائب المؤثرات الأجنبية لذلك لما رأى البلاغة العربية وجد أنها تقدم أصولًا للبلاغة العادية وأما بلاغة القرآن فلها أسس أخرى تحتاج إلى تدوينها بعد طول التدبر في آيات القرآن الكريم كما يقول الفراهي: "وأما البلاغة فاستخرجوها من أشعار العرب والأشعار لضيق مجالها كانت مقتصرة على جودة السبك ورشاقة اللفظ والبديع أما حسن الاستدلال ورباط المعاني وضرب الأمثال والاعتبار من القصص وجر الكلام ثم العود إلى عموده والوعد والزجر والتأكيد بشدة يقين المتكلم والاعراض إعراض الترفع والحسرة حسرة المعلم الناصح وغير ذلك مما يوجد في خطبات البلغاء ووحي الأنبياء فما ذكروه في علم البلاغة لأنهم فاتتهم خطبات العرب"[٨]

**الرجوع إلى القرآن الكريم في تدوين العلوم الإسلامية:** لقد أشار الفراهي في عدة كتبه أن العلوم الاسلامية لا بد أن تدون في ضوء القرآن الكريم، فأصول التفسير، وأصول الفقه وأصول التأويل يجب أن تدون في ضوء مبادئ القرآن الكريم وقد تحدث بها الفراهي في كتبه "التكميل في أصول التأويل" و"القائد إلى عيون العقائد" و"حجج القرآن" و"حكمة القرآن".

## المطلب السادس: قراءة في جوانب التراث المخطوط للفراهي

أما التراث المخطوط للفراهي فهو يشتمل كما بيناه على الكتب التي أراد الفراهي أن يؤلفها فكتب ما بدا له خلال القراءة والدراسة حول موضوع أراد تأليفه ففي بعض الأحيان كتب عنوان الكتاب ثم ذكر أبوابه وفصوله ثم خطبة الكتاب وبعض ما بدا له من الخواطر وفي بعض الأحيان كتب عنوان الكتاب ثم ذكر فيه المعلومات التي وجدها حول الموضوع ولذلك نجد أن مخطوطاته تبلغ أكثر من ثلاثين كتابًا فأما ما بلغت أوراقه خمسين ورقة أو أكثر أو كان يتشابه بعض أفكاره ببعض جمع تلامذة الفراهي في مجموعة

وطبعت وأما ما كان أقل منها فبقيت مسودته وهذه المخطوطات قيمة جدًا لأنها تحمل إشارات هامة للباحثين.

ولما قرأت هذه المخطوطات وجدت أن معظمها يتعلق إما بعلوم اللسان أو بيان أصول القرآن في شرح المسائل العقلية وببيان شريعة الله فمثلًا مخطوطات الدر النضيد في النحو الجديد ومسائل النحو ودلائل إلى النحو الجديد والمعاني والعروض والبلاغة وفلسفة البلاغة وسليقة العروض تدعو إلى الاصلاح والتدوين الجديد لعلوم اللسان من النحو والصرف والبلاغة والعروض ومخطوطات القسطاس لوزن الأعمال واختيار ما هو الراجح في المقياس والنظر الفكري حسب الطريق الفطري والعقل وما فوق العقل والمنطق الجديد يتعلق ببيان أصول القرآن في شرح المسائل العقلية ومخطوطات أوصاف القرآن وفقه القرآن والأزمان والأديان فهو يتعلق ببيان شريعة الله.

**المطلب السابع: تقييم التراث المطبوع والمخطوط للفراهي.**

بعد دراسة تراث الفراهي نجد أن الفراهي كان إنسانًا والانسان يخطئ كما يصيب فالكتب التي ألفها الفراهي والنظريات التي قدمها ترشد إلى جانب مهم من البحث والتحقيق ولو أن البعض يحتاج إلى مزيد من الدقة لأن الفراهي لم يستطع أن يكمل كثيرًا من أعماله ولم تتوفر له المصادر التي طبعت فيما بعد. ولذلك نجد في بعض تحقيقاته الحاجة إلى النظر في المصادر التي طبعت فيما بعد ولذلك نجد أن بعض علماء الهند والعرب قد انتقدوا على بعض نظرياته مع الاعتراف بجلال شأنه وذكر استفادتهم من تحقيقاته الأخرى.

وقد طبع عما قليل نقد لأحد من علماء اليمن يسمى عبد الرحمن بن يحيى المعلمي من دار الفوائد بمكة المكرمة حول تفسير سورة الفيل وكذلك طبعت مجموعة من مقالات الأستاذ رضي الاسلام الندوي بعنوان "نقد فراهي" ومع هذه البحوث النقدية طبعت بحوث حول آراءه ونظرياته في مجلات البلدان العربية ودول أوربا وظهرت عشرات بحوث الماجستير والدكتوراه حول كتبه ورسائله في شبه القارة الهندية ودول الشرق آسيا وأوربا.

**خاتمة البحث:**

كان الفراهي علمًا من أعلام القرن الرابع عشر الهجري أدرك زوال أسباب الأمة ودعا إلى الفهم الصحيح لكتاب الله وقام بدراسة العلوم التي وضعت لفهمه وقدم تحقيقاته فيها.

كما دعا إلى تدوين العلوم الاسلامية من جديد وتطهيرها من جميع مؤثرات الثقافات الاجنبية التي دخلت فيها ودعا إلى أن تجعل الأمة الاسلامية القرآن الكريم شمسًا وجميع العلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية والانسانية كواكب له تستنير بنوره.

ألف الفراهي أكثر من عشرين كتابًا في شرح نظرياته وهي كتب قيمة مهمة للباحثين.

## المراجع والحواشي

[١] التكميل في أصول التأويل :٢٢١

[٢] عضيمة، عبد الخالق ،دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ، دار الحديث، القاهرة

[٣] المنصور ، فيصل بن علي ، تدليس ابن مالك في شواهد النحو، دار الألوكة للنشر الطبعة الأولى ٢٠١٤

[٤] علامه حميد الدين فراهي، حيات وأفكار ، مقالات فراهي سيمينار، ص:٦٢ انجمن طلبه قديم مدرسة الإصلاح سراي مير ١٩٩٢م

[٥] الفراهي: عبد الحميد ، رسائل الامام الفراهي (المجموعة الأولى) ص،١٤ الدائرة الحميدية بدون تاريخ النشر

[٦] الفراهي: تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ، الدائرة الحميدية ، الطبعة الأولى: ٢٠٠٨ ، ص: ٣٢

[٧] الفراهي : مفردات القرآن، ص: ٩٨

[٨] الفراهي: تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ، الدائرة الحميدية ، الطبعة الأولى: ٢٠٠٨ ، ص: ٣٤

# إسهامات الهند في المدائح النبوية العربية:

# دور الشيخ مادح الرسول صدقة الله القاهرة في تطوير المدائح النبوية العربية

## INDIAN ARABIC CONTRIBUTIONS TO PROPHET'S PANEGYRIC LITERATURE:

## ROLE OF SHAIK SADAQATULLAH APPA IN THE DEVELOPMENT OF PROPHET'S PANEGYRIC LITERATURE

الدكتور.ك.م.ع.أحمد زبير *

## ABSTRACT:

*The Tamil Muslims occupied a respectable place, since the time immemorial as for the contribution of Indian Arabic literature is concerned. They are all aware that the Tamil Muslims were not the first to have contact with Arab Traders even centuries before Islam, but their acceptance of Islam was prevalent before the Islam of other communities in the country. This humble research has made a serious attempt to analyze the prophet's panegyric poems of the poet Shaik Sadaqathullah Appa who uplifted the Indian Arabic Poetry. This research also aims to shed light on the status of the poet Shaik Sadaqathullah Appa and his contribution in the development of Arabic studies in the state of Tamil Nadu. And researcher has made strenuous efforts in order to register the contributions of a non-Arabic poet in Arabic language. And he is a prominent personality of the state of Tamil Nadu, who has made intensive services for Islamic and Arabic literature. He is the author of many valuable works. And he is the first person of the state of Tamil Nadu to compose Arabic poems. He is one among the brilliant poets who have made the whole world into the folds of Islamic literature. His poetic tendency has helped to define Islam, defended the essence of Islam and advocated Islamic teachings in order to disseminate Islam.*

* أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربية وآدابها، الكلية الجديدة ، شنائي ، الهند.

**KEYWORDS:**Shaik Sadaqathullah Appa,al-Witriyya poem, the state of Tamil Nadu, Prophet's Panegyrics, Indian Arabic literature.

**الكلمات المفتاحية**: صدقة الله أبا، القصيدة الوترية، ولاية تامل نادو، المديح النبوي، الأدب العربي الهندي.

## ملخص البحث

إن المسلمين التامليين منذ القدم يحتلون مكانًا محترمًا في مساهمتهم للأدب العربي الهندي ومن المعروف للجميع أن الأهل التاميلي لم يكونوا أول من تعلق بهم العرب بتجارتم حتى قبل الإسلام بقرون فحسب بل أن إسلامهم سبق إسلام أية طائفة أخرى في البلاد. هذا البحث المتواضع محاولة جادة لتحليل قصائد المدائح النبوية للشاعر صدقة الله أبا القاهري الشافعي الهندي التي يواجهها الشعر العربي الهندي. هذا البحث يهدف أيضًا إلى إلقاء الضوء على مكانة الشاعر صدقة الله أبا ومساهته في تطوير الدراسات العربية في ولاية تامل نادو. وقد بذل الباحث جهودًا مضنية في سبيل التعرف على إسهامات شاعر العجم بلسان العرب. وهو الشخصية البارزة من أعلام ولاية تامل نادو الذي بذل جهودًا مكثفة لأجل خدمة الدين والأدب واللغة العربية. هو صاحب المؤلفات الكثيرة النافعة القيمة. وهو أوّل من نظم قصائد اللغة العربية في ولاية تامل نادو. فالشاعر صدقة الله أبا من الشعراء الأفذاذ الذين جعلوا العالم كله بينهم الأدبية الإسلامية. وكان شعرهم يعكس هذا الاتجاه وغيرتهم الإسلامية تجعلون يذبّون عن بيضة الإسلام بشعرهم. وينشرون بها تعاليم الإسلام ويفشون بها السلام.

وجد تاريخ الهند في كل زمن من الأزمنة أدباء في اللغة العربية. ولهم مؤلفات في مجالات مختلفة في الأدب العربي. ومن هؤلاء الأدباء من يندر نظيرهم في الذكاء وفي قوة التعبير وحسن البلاغة والفصاحة. وبذل علماء الدين الإسلامي وأدباء اللغة العربية وشعرائها البارعين ومشائخ الإسلام جهودهم العظيمة لنشر اللغة العربية ويبقى ذكرهم حتى اليوم بخدماتهم للدين واللغة العربية والأدب وغيرها.

نشأ فن المديح النبوي وتطور كفن من الفنون الأدبية وغرض من الأغراض الشعرية في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، وازدهر هذا الفن على مر الدهور وكر الأزمان وتسابق فيه الأدباء والشعراء من العرب والعجم، وكل من أدلي دلوه أخذ نصيبه حسب المؤهلات اللغوية والأدبية وسلك مسالك متنوعة في التعبير عما يجيش في التعبير عما يجيش في صدره من مشاعر الحب والهيام وعواطف التكريم والتعظيم تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم.

### المدائح النبوية في الهند:

إن تاريخ الشعر العربي في شبه القارة الهندية يرجع الى القرن الأول من الهجرة النبوية حسب بيان الجاحظ المتوفي في عام ٢٥٥هـ والشيخ هارون بن موسى الملتاني هو أول شاعر هندي تولي قرض الأبيات باللغة العربية ولعله توفي في النصب الأول من القرن الثاني للهجرة[١] أما المدائح النبوية باللغة العربية في الهند، فيبتدئ تاريخها من القرن الثامن للهجرة النبوية ويعتبر الشيخ القاضي عبد المقتدر الشريحي الكندي والدهلوي (٧٠٣ – ٧٩١هـ) الشاعر الهندي الأول للمدائح النبوية، واستمرت هذه السلسلة المباركة منذ ذلك الوقت حتى هذا الحين ولا تزال تساهم القرائح الهندية في هذا المجال ليكون هذا المديح ذخرًا لهم في الآخرة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ومن المعلوم أن معظم العلماء والأداء في شبه القارة الهندية لم يهتموا بقرض الأبيات ولم يعتنوا به كعنايتهم بالعلوم الدينية ولو نال هذا الفن اهتمامهم وشغفهم كالفنون الأخرى لكانت لمدائحهم شامت اصة ومكانة موموقة في الأداب العربية كشعراء البلاد العربية، وبالرغم من ذلك نلاحظ أن المديح النبوي كان مضوعًا مفضلًا وحبيبًا لدى الأدباء والشعراء الهنود، والمدائح النبوية التي جرت على ألسنة هؤلاء الشعراء قد صدرت عن طبعهم الصادق وحبهم العميق للرسول الله صلى الله عليه وسلم مجردة عن المطتامع الدنيوية والمنافع المادية.

إن الشاعر المسلم يرى من حسن حظه وسعادته بل يرى من واجبه أن يتقدم بالتحيات إلى أشرف الأنبياء وخاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ويقدم إليه هدية الإجلال والتكريم وتحفة الحب والتعظيم، فمغلوبًا بهذ الشعور ساهم معظم شعراء العربية الهنود في مجال المديح النبوي ولو كانت مساهمتهم بقصيدة أو قصيدتين إلا أن الشعراء الذين قالوا وأكثروا في هذا الفن وأجادوه فعددهم قليل، ومن هؤلاء الشعراء النوابغ القلائل الشيخ مادح الرسول صدقة الله أبا القاهري (١٠٤٢– ١١١٥هـ/ ١٦٣٣– ١٧٤٢م) والشيخ عبد القادر تكية صاحب الكبير (١١٩١هـ/ ١٢٧٢هـ / ١٧٧٧ – ١٨٥٦م) والشيخ عبد القادر صاحب الصغير (١١٩٢ – ١٢٦٧هـ / ١٧٧٨ – ١٨٥٢م) فيض الحسن السهار نفوري (١٧١٦م –ت ١٨٨٧م) وأما الآخرون من المكثرين فهم الشيخ غلام علي آزاد أمي البلغرامي المعروف بحسان الهند (و١١١٦هـ – ت١٢٠٠م) والشيخ باقر بن مرتضى الشافعي المدراسي المعروف بباقر آغاه (و١١٥٨ – ت١٢٢٠) والشيخ العلامة فضل حق الخير آبادي (و١٢١٢هـ – ت١٢٧٨هـ) وغيرهم من أصحاب المدائح.

ولاية تامل نادو هي إحدى الولايات الشهيرة التاريخية الواقعة في جنوب الهند. تقع ولاية تامل نادو في أقصى جنوب الهند ومساحتها ١٣٣٠٣٨ كيلو متر مربع ويحدها شرقًا خليج البنغال وغربًا ولاية كيرلا

وشمالًا ولايتا آندهرا براديش وكرناتكا وجنوبًا بلاد سيلان والمحيط الهندي. لا يخفى على من له إلمام بعناية ولاية تامل نادو واهتمامها في الدراسات العربية والإسلامية. وكانت العلاقة الأخوية والصلة الودية بين العرب وأهل تامل نادو وثيقة منذ زمن بعيد جدًا حتى قبل المسيح عليه السلام. اعتبرت اللغة العربية قبل قدوم الإسلام لغة تجارية بين الشعبين ونالت قبولًا حسنًا. قام عدد كبير من الأدباء والشعراء بتأليف الكبت القيمة والقصائد المشهورة. ويقرضون الأشعار وأتحفوا المجتمع التاميلي. وبعد ظهور الدين الإسلامي أصبحت ولاية تامل نادو ذات صلة قوية بالعرب ولغتهم. لقد اهتم مسلموا ولاية تامل نادو بتعلم اللغة العربية أنفسهم وبتعليمها لأبنائهم. نتيجة لهذا الإهتمام أنجبت ولاية تامل نادو مئات من الأدباء البارعين والشعراء البارزين وتركوا أثارا كبرى من مؤلفاتهم الرائعة في اللغة العربية. أن مؤلفاتهم ثروة علمية ذات قيمة عظيمة شهد لها العلماء الكرام بالفضل. ولا شك فإن هذه المؤلفات تدل على اهتمام مسلمي ولاية تامل نادو باللغة العربية واعتنائهم بها.

أنجبت ولاية تامل نادو رجالات نادرة وشخصيات فذة. فبعد الدراسات الموشعة نجد عددًا كبيرًا من الأدباء والشعراء والعلماء والعباقرة والكتاب والمؤلفين والمحددثين والفقهاء والدارسين والباحثين والمحققين والمثقفين والمصلحين والمفكرين والمبلغين والصحفيين الذين قدموا مساهمات ملموسة لا يستهان بقيمتها في إثراء الدراسات الإسلامية. والعالم الإسلامي مدين لهؤلاء الأبطال التامليين بالشكر لخدماتهم الخالدة ومآثرهم الرائعة واعترف بفضلهم حتى العرب. فمن هؤلاء أعلام اللغة العربية والعلوم الإسلامية في ولايتنا الشيخ المصلح مادح الرسول صدقة الله أبا الذي ولد في هذه الولاية.

لقد ساهم علماء أسرة الشيخ صدقة الله أبا لأجل الدين والأدب واللغة العربية كما ساهم علماء العرب في ارتقاءها في أنحاء العالم. وكان يعتبر العلماء من هذه الأسرة أن الإسلام واللغة العربية كالعينين للإنسان. وقدم هؤلاء العلماء الكرام خدماتهم الجليلة والعظيمة لنشر اللغة العربية والإسلام بتأليف المؤلفات والقصائد والمراثي والكتب التي تتعلق به بمختلف فروع الأدب العربي وعلوم الدين الإسلامي وغيرها.

### مكانة المدائح النبوية في ولاية تامل نادو:

المدائح النبوية من فنون الشعر فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية من الأدب الرفيع. لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص. وأكثر المدائح النبوية قرضت بعد وفاة الرسول. وما يقال بعد الوفاة يسمى رثاء. ولكنه في الرسول يسمى مدحًا. كأنهم لحظوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم موصول الحياة. وأنهم يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء. على حين لا يراد بالمدائح النبوية إلا تقرب

إلى الله بنشر محاسن الدين والثناء عل شمائل الرسول. إن مدحه للرسول لم يكن إلا محاولة كسائر محاولات الشعراء الذين يتكسبون بالمديح. وليست قصيدته أثرًا لعاطفة دينية قوية حتى تلحق بالمدائح النبوية. استوحى المديح النبوي مادته الأصلية الإبداعية ورؤيته الإسلامية من القرآن الكريم أولًا والسنة النبوية ثانيًا. وهناك مصادر ثانوية للمدائح النبوية وهي كتب التفسير التي بنيت حياة الرسول بيانًا واضحًا.

إن المديح النبوي صلى الله عليه وسلم لا زال ولايزال من أبرز أغراض الشعر العربي في ولاية تامل نادو منذ نشأته إلى يومنا هذا. لقد ساهم شعراء المدائح النبوية من ولاية تامل نادو كما ساهم الشعراء العرب في المدائح النبوية مثل حسان بن ثابت وكعب بن زهير والإمام البوصيري والإمام أبو بكر بن محمد البغدادي رحمهم الله في ترويجها في أنحاء العالم. ومنهم الشيخ مادح الرسول صدقة الله أبا والشيخ تكية صاحب ومولانا باقر آغا والشيخ محي الدين. ومعظم هذه المؤلفات مثل مؤلفات العرب أسلوبًا. واستمرت وازدادت شعراء المدائح النبوية من هذه الولاية العظيمة التي تتواصل حتى يومنا هذا.

ممكن أن يكون أول ما بدأوا الشعر العربي في تامل نادو الأحكام الدينية الشرعية والأمور اللازمة حفظها في حياة المسلم اليومية كما كان شأن الشعر عند العرب. فنظموا أولًا المقطعات الصغيرة ثم الأبيات ثم القصائد التي تتعلق الحاجة الدينية أو غيرها من المسائل الشرعية أو الفقهية. ورغم أن أكثر ها لم يبق في الوجود في ذكر الأجيال ومرّ الدهور لعدم قيدها بالكتابة والحفظ في القلب. وهو سبب لصياغة أكثر الشعر. وإنما يعتبر رائد الشعر العربي في تامل نادو الشيخ صدقة الله القاهري. إنه قام بإيجاد أسلوب جديد غريب عند العرب وهو تخميس قصائد القدماء المشهورين بحيث قام صدقة الله القاهري بتخمييس قصائد عديدة [٢]

الشيخ صدقة الله أبا يكرّس نفسه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ويقول في قصيدته:

جَوَاهِر نَظَمي في مَدِيحِ مُحمّدٍ o يُضِيئُ جميعَ الدّهْر غير مُحَمّدٍ

فمادِحُهُ إن تَلْقَهُ النَّار تَخْمَدِ o جِنانُ نَعِيمٍ أجْرُ مادِحِ أَحْمَد

و مُصغ و كلّ بالحِسانِ يُزوّجُ

إنما اشتهر الشيخ صدقة الله أبا بنظمه أكثر من نثره لأن قصائده كلها طبعت منذ البداية. وكان الناس بتلك المنطقة يقرءونها ويستجدونها ويمدحون الشاعر عليها لأنها شهادة لذروة علمه ومهارته وكمال إتقانه في نظم الشعر.

وفي تلك العصور كان الشعر هو الوسيلة الوحيدة للإنسان لأن يثبت علمه وذكائه لغيره من أفراد قومه ولعل هذا هو السبب في اعتبار الناس الشاعر في أي بلد أو فئة أو لغة أعلمهم وأذكاهم.وأن العلماء المسلمين القادرين على قرض الشعر والناظرين إلى الآيات القرآنية مثل "الشعراء يتبعهم الغاوون..."[٣] وجدوا أن إسلامهم إن لم يحرمهم لم يشجعهم في نظم أشعارهم كما شاءوا. ثم إنهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم يجيز كعب بن زهير في مدحه له قائلًا "إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرًا" فأجازوا لأنفسهم أن يستغلوا ما لديهم من قدرات أدبية ونظموا أشعارهم ووجهوها نحو مدح النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر الأحيان ومدح من كان محبوبًا ومفضلًا لهم في أقل الأحيان. فإذا أخذنا في اعتبارنا الشعراء الهنود في العربية من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب نجد موضوعاتهم المفضلة المختارة في أشعارهم "هي الحمد والمدح" وفي مقدمته كانت القصائد المقروضة في المدح النبوي متبوعة بقصائد الترحيب والتهنئة والرثاء والوعظ والحماسة[٤] .

**أنواع القصائد: تشطير وتخميس وتسبيع:**

أدباء تامل نادو اعتادوا على إضافة أبيات من الشعر للقصائد المشهورة. وهي عبارة عن إضافة مصراعين أو ثلاثة أو خمسة مصاريع. وهذه هي الأنواع الثلاثة:

**(١) تشطير**

في هذا النوع يَتِمُّ إضافة مصراعين للبيت الأصلي من القصيدة وذلك يتضح من المثال التالي. وهذا بيت من قصيدة الشيخ عبد الرحمن البرعي (تؤفي ٨٠٣ هـ/ ١٤٠٠ م )

" لُذْ بإلاله و لا تلذ بسواه o من لاذ بالملك الجليل كفاه "

الشيخ عبد القادر تكية صاحب (١١٩٢ – ١٢٦٧هـ/ ١٧٧٨ – ١٨٥٠م) عمل تشطير لهذا البيت على النحو التالي:

" لذْ بإلاله ولا تلذ بسواه o إن كنت عارف الوجوج كما هو

لا لا تخف من دونهُ لا ترْجه o من لاذ بالملك الجليل كفاه

**(٢) تخميس**

في هذا النوع يضاف ثلاثة مصاريع للبيت الأصلي من القصيدة. وذلك يتضح من المثال التالي. من قصيدة "بانت سعاد" لكعب بن زهير (تؤفي ٢٤ هـ / ٦٤٤ م) يقول:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولo متيّم إثرها لم يُفْدَ مكبول

استخدم الشيخ مادح الرسول صدقة الله أبا التخميس لهذا البيت كما يلي:

حان السعادة و الإقبال مقبول قلبي o على حبٍّ من يهواه محبول

بينا هواه بِحبلِ الفوز محبول o بانت سعاد فقلبي اليوم مبتول

متيّم إثرها لم يُفْدِ مكْبُولٌ

**(٣) تسبيع**

يضاف خمسة مصاريع للبيت الأصلي من القصيدة في هذا النوع. فَيُضْح عدد المصاريع سبع. يقول الشاعر الإمام البوصيري (٦٠٧ – ٦٩٦ ھ / ١٢١١ – ١٢٩٦ م) في "قصيدة البردة"

ولا التمستُ غِنَى الدّارينِ من يده o إلا استلمتُ النّدى من خير مستلم

ويضف السيد محمد الإمام العروس(١٢٣٢ – ١٣١٢ھ) خمسة مصاريع كما يلي:

الله يهدي فؤادي في تردّده o لِباب ساداته في نيل مقصده

حتى يرى المصطفى في يوم موعده o هو الذي مهجتي من حسن مشهده

لا يشتفى داءها إلا بمورده o ولا التمست غنى الدارين من يدهِ

إلا استملت الندَى من خير مُستلم

**الشيخ مادح الرسول صدقة الله أبا القاهري الشافعي (١٠٤٢–١١١٥ھ):**

كان الشيخ مادح الرسول صدقة الله أبا إمام الفكر في عصر انحطاط المسلمين بسبب البرتغاليين والفرنجيين الذين دخلوا واستقروا في أراضي تامل نادو من بداية القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي. كان الشيخ مادح الرسول مفكرًا إسلاميًا وداعيًا ومجددًا وعالما صوفيًا ومصلحًا لضد البرتغاليين وحركاتهم العصيبة. وكان الإمام صدقة الله أبا عارفا بتحديات العصر حينما شمر عن ساعد الجد للقيام بهذه المهمة العظيمة من تدوين الفتاوى الهندية على أساس المصالح المرعية للأحكام. وقد بذل الشيخ صدقة الله أبا جهوده لتنمية عقول المسلمين بإظهار أحكام الشريعة. فتهيأ لدعوة الناس إلى الإسلام مع بيانه أحكام الشريعة للناس. وجهز قلمه لهذا. فظفر به وفاز فوزًا عظيمًا. ولما تهيأ الشيخ صدقة الله أبا أفاض الله عليه التوفيق من فيوضاته.

ولد الشيخ صدقة الله أبا في عام ١٠٤٢هـ في قاهرفطن°. وهو ثالث أبناء والده الشيخ سليمان ولي. قام أبناء أسرة الشيخ سليمان في ولاية تامل نادو بخدماتهم الدينية والعلمية والثقافية في الهند الجنوبية منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي. وهو من سلالة أمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله عنه. كان أجداد الشيخ صدقة الله أبا من تلك الجماعة الذين هاجروا إلى الهند من مصر في القرن الثالث الهجري. العلماء الكبار من هذه الأسرة ساهموا كثيرًا في نشر الدعوة الإسلامية وترويج اللغة العربية في ربوع ولاية تامل نادو.

لقد درس الشيخ صدقة الله علومه الأساسية الإسلامية عند والده الشيخ سليمان وهو يقول في قصيدته "القصيدة الوترية":

سليمان أصلي مرشدي و معلّمي O له ولأُمي إخوتي أشفع فهم اسّى

واختار الوالد بعد ذلك لتربيته عباقرة العلماء من مثل الشيخ عبد القادر شينيني لبي عالم. الذي حبب إليه العلم وزين في قلبه التفاني لأجله. واغترف من صحبته ومن تجربته الكثير من العلوم الدينية وإتقان اللغة العربية، ويقول ثناء عليه:

وقد كان لي في الفقه شيخ معظم O جواد سخي أفقه القوم أعملا

وعلمني فقها وألبسني عمـــا– O مة وفميصا بالإجازة مكملا

ولما بلغ السابعة من عمره حفظ القرآن الكريم الذي جعله إمامًا هاديًا ومرشدًا ومنذ طفولته ظهرت فيه آثار الذكاء والصفاء والنبل. تجول الشيخ الأماكن المختلفة في الهند وخارجها وذهب إلى دهلي واستفاد من علمائها. وقد سمع عنه وعن فضله السلطان أورنك زيب وأراد أن يجعله قاضي القضاة للهند الجنوبية. فعرض عليه ذلك ولكنه رفض. ودله على ابنه الشيخ محمد لبي فوافق عليه السلطان وعينه في ذلك المنصب. منح السلطان أورنك زيب لقب "ملك الشعراء" لمادح الرسول صدقة الله أبا وجعله من لجنة العلماء الذين يقررون الفتاوى. وقد بلغ من إكرام السلطان للشيخ صدقة الله أبا أن جعله في ضمن العلماء. وعددهم أربعون. الذين كانوا يشرفون على تدوين "الفتاوى الهندية" التي المعروفة المشهورة بـ"الفتاوى العالمكيرية".

وكان له أربعة إخوة: الشيخ جنا شمس الدين، والشيخ أحمد، والشيخ شهاب الدين، والشيخ صلاح الدين. وكلهم أفذاذ يشبهون النجوم السواطع. وكان منهم دعاة وكتاب وخطباء ومدرسون.

وكان تصميمه أن يقسم المسجد عند البناء إلى قسمين مسميين بالمسجد الداخلي والمسجد الخارجي

ولم تكن المساجد في السابق محتوية على هذين الجزأين فأخذ الناس يبنون مساجدهم مطابقًا للتصميم الذي وضعه الشيخ صدقة الله أبا فأخذوا لا يستعملون المسجد الداخلي إلا للصلاة فقط أما المسجد الخارجي فهو للصلاة وغيرها من الأعمال الدينية والاجتماعية لأن الشيخ صدقة الله شجع الناس أن يستعملوا المسجد الخارجي أكثر فأكثر لعقد اجتماعاتهم وحفلاتهم واستراحاتهم. وحثهم الشيخ على أن يستعملوا حرم المسجد للاحتفال تأعيادهم وحفلات نكاحهم وتقديم مآدبهم وولائمهم. فالناس استفادوا من إرشاداته القيمة مثل هذه وأخذوا يجتمعون فيما بينهم في مساجدهم في كل أن وحين وفي كل موقع ومناسبة. فعم بين الناس الحب والحنان والتعانق والتعاون وشعور الإخوة والوحدة.

لقد كرس صدقة الله أبا نفسه في إصلاح الناس وتوجيههم في سبيل الله وهي المهمة التي تحمل بها طول حياته وأقام نفسه مثلا أعلى وأسوة حسنة بحفظ الوفاء للشريعة والدين ولم يماثله أحد في زمانه في اتباع الشريعة حق الاتباع حتى جمع زملاؤه العلماء هناك أن يقلدوا عليه لقب "شاه الشريعة". وقد درس وخرج على يديه مئات من الطلبة الذين انتشروا بأمر منه إلى كافة أرجاء الولاية واشتغلوا بدعوة الناس إلى الله تعالى. وقام معهم بجولات واسعة في القرى والمدن لإرشاد الناس إلى سواء السبيل وأدت أعماله الإصلاحية إلى تنشيط الإيمان والتقوى في قلوب الناس وإحياء العلوم الإسلامية وإكثار الأعمال الخيرية وازدهار التراث الإسلامي من جديد.واليه يرجع الفضل في وضع مبادرة بديعة في مجال إقامة المساجد في إقليم تامل نادو.[٦]

كان الشيخ صدقة الله أبا ماهرًا وبارعًا في كل المجالات في العلوم الإسلامية والعربية. وزار الشيخ الحرمين الشريفين وأقام فيها لمدة سنتين واشتغل في أثنائها بتدريس الطلبة وأعجب العرب بمهارة الشيخ في العلوم الدينية والعربية. كان الطلبة يأتون إليه في مكة المعظمة حيث يستقر لكي يتعلموا منه شرح المنهاج لابن حجر المكي.

كان الشيخ عالما متضلعًا في معظم العلوم في عصره، يملك ناصية اللغة العربية بما حفظه من الأساليب والأمثال والتعابير التي كان يدبج بها صناعته اللغوية. وقد أشاد بإدراكه هذا الشيخ شهاب الدين في مدحه إياه وهو يقول:

عجبت لتخميس رزين موقر O لوترية للشيخ شيخ المشتهر

بصاد ودال ثم قاف وهائها O مضافا لها اسم الله ذاك الموقر

ووشحه بالالتزام وغيره O وفيه من التحسين ما فيه فافخر

ولم ير دهر مثله في العبارة o ألا فاعجبوا يا قوم من ذى المعبر

ويقول العلامة سيد محمد عالم المعروف بالإمام العروس ثناء على الشيخ صدقة الله: "إن الإمام، يعني صدقة الله، كان بدر الصدور وصدر البدور وقدوة العباد وأسوة الزهاد وحسن الخلق والأوصاف وسيع الرفق والألطاف".[٧]

عاش الشيخ مادح الرسول صدقة الله أبا ٧٣ سنة منورًا قلوب الناس ومرشدا طريقهم. يعتبر الشيخ صدقة الله ابا مفكرًا ومصلحًا في الإسلام من القرن السابع عشر الميلادي. الشيخ صدقة الله أبا القاهري الشافعي قام بتكريس حياته وتضحيه أنفسه في نشر الدين الإسلامي وإثراء الدراسات العربية ويظل البشر الإسلامي من ولاية تامل نادو مدينًا له. وكان الناس يدعونه حبًا واحترامًا باسم "أبّا" بمعنى الجدّ أو الشيخ.

وقد زار الأماكن المختلفة في شمال الهند بما فيها دهلي (Delhi) حيث التقى بالملك المغولي أورنك زيب (١٦١٨ – ١٧٠٦م) بمسجد الجامع الكبير. ويقال أن هذا اللقاء وقع اتفاقا أثناء دوريات الملك في الليل. واستمرت علاقة الملك بالشيخ صدقة الله أبا في بقية حياته حتى أنه لما توفي الشيخ في عام ١٧٠٣م أرسل الملك قائدًا من قواده "دلبت راو" (Dalpat Rao) إلى مدينة كيركري[٨] لأداء التعزية لأهله نيابه عن الملك[٩].

## :كتب النـثر

لقد كتب الشيخ صدقة الله عددًا قليلًا من كتب الثر وهذه كلها تتعلق بعلوم الدين والنحو والصرف وما إلى ذلك. وفيما يلي:

١) توضيح الدلالة في تصحيح الجلالة

٢) استدعاء الأعلام إلى دعاء عتبة العلام

٣) تقطيف الجاني إلى تصريف الزنجاني

٤) الحواشي على البيضاوي و الدميري و الدر المنثور

**كتب النظم:**

قد كتب قصائد عديدة متعلقة بمدح النبي صلى الله عليه وسلم. والآن نرى واحدة بعد أخرى.

**التخميس والتذييل على القصيدة الوترية:**

إن الشيخ صدقة الله أبا قد خمس القصيدة الوترية للإمام أبي بكر بن محمد البغدادي. وهذه القصيدة الوترية تشتمل على ٤٢١٠ مصراعًا بالمجموع وإذا خصمنا منها ١٢١٧ مصراعًا للشيخ أبي بكر يبقي ٢٩٩٢ مصراعًا خاصًا للشيخ صدقة الله أبا. وهو يدل على أن الشيخ صدقة الله أبا قد كتب أكثر من ضعفي ما كتبه الكاتب الشاعر الأصلي الشيخ أبو بكر رحمه الله.

فأراد الشيخ صدقة الله أبا أن يخمّس كل بيت من أبيات الشيخ أبي بكر. ومعنى التخميس إضافة ثلاثة مصاريع لكل مصراعين من البيت وجعل كل بيت أن يشمل خمسة مصاريع. وهكذا نرى في القصيدة الأصلية للشيخ أبي بكر ٢١ X ٢٩ X ٢ = ١٢١٨ مصراعًا. فخمس الشيخ صدقة الله أبا أبيات الشيخ أبي بكر كلها ومع ذلك أضاف إلى كل قافية ٨ أبيات أخرى كل منها يحتوي على خمسة مصاريع. فصار كل حرف من الحروف الأبجدية يوجد له ٢٩ بيتًا ذات خمسة مصاريع لكل منها. وثم أضاف بيتًا آخر ذو خمسة مصاريع بقافية الميم وجعلها أن تتكوّن من ٣٠ بيتًا. وذلك لأن حرف الميم يشير إلى اسم النبي صلى الله عليه وسلّم. وأراد الشيخ أن يعظمها بإضافة بيت آخر.[١٠]

ولكثرة المدائح النبوية التي نظمها صار يعرف "بمادح الرسول" ومن أجود مدائحه ما قال في تخميس القصيدة الوترية الذي يعد من روائعه. وقد استخدم فيها جميع الحروف العربية حروف قافية مما يجلو منه مقدرته في العربية وصناعته الشعرية.

لكن القارئ لا يفهم بسهولة التميز بين الأبيات الأصلية والإضافية لأنهما يتساويان معًا في اللغة والأسلوب وطريقة التعبير. تُبدأ قافية الألف بالأبيات التالية.

أقدم بسم الله جل قدس ما O أحمد ل حمدا بالدوّام موسّما

أسلم تسليما كثيرا قياس ما O أصلي صلوة تملأُ الأرض و السّما

على من له أعلى العلا متبوّء

ويقول عن حبه للنبي صلى الله عليه وسلم في البيت التالي :

وحبك في لحمي وعظمي مداخل O به ما لشيطان بقلبي مداخل

ولا شوب في هذا ولا فيه داخل O أكيد رجائي أنني بك داخل

رياض جنان بالأماني تملأ

لا نجد أحدًا من الشعراء العرب يصف حبّه للنبي صلى الله عليه وسلم كما يصف الشيخ صدقة الله أبا بأن حبّ النبي منتشر في لحمه وعظمه ودمه بكل ثقة ولا يمكن للشيطان أن يدخل في قلبه لأن القلب مملؤ بحب النبي صلى الله عليه وسلم ولذا الشيطان يهرب بعيدًا.

يقول الشيخ صدقة الله أبا بنفسه عن سبب تأليف التخميس بهذه القصيدة:

"وفي طريقي للحج ذهبتُ إلى "ماليبار" ورأيت "القصيدة الطرابية" مخمسة بصورة حسنة جدًا فزاد في الشوق لنظم مخمس للوترية أيضًا"[١١]. كان الشيخ صدقة الله أبا "مادح الرسول" طول حياته وتلقى قربته من النبي صلى الله عليه وسلم، وأما إذا رأينا إلى المواضيع التي يذكرها في قصيدته فهي كثيرة. أولًا يعني الشيخ صدقة الله أبا يمدح رسول الله أكثر من أي شيء آخر. المدائح النبوية وهو أمر خاص رأينا في قصيدته من الأمور الأخرى. والأن نحن ننظر بعض الأبيات مدحًا على الرسول صلى الله عليه وسلم

أديم له في الكون مدح مسلسل o ممدّ بلا حدّ و إن عدّ طيل

فلّما خلا بالرّبّ و الستر مرسل o أقيم مقاما لم يقم فيه مرسل

و أمست له حُجب الجلال تُوَطّأ

يفوز بقرب في المعاد محبّه o و ينجيه من كل الشدائد حبّه

فيا منشدي خلّى و يا من يحبّه o أعد مدحه أن القلوب تحبّه

بأوصافه تُجلى إذا هي تصدأ

والشيخ يضع محمدًا عليه الصلوة والسلام فوق الأنبياء كلهم ويقول:

علا بالمعالي فوق كلّ و أصله o فما آدم نوح و موسى كمثله

كذلك عيسى و الخليل بنسله o تبارك من أنشأه خيرة رسله

و أمته قد أخرجت خير أمة

ويصف شخصية النبي صلى الله عليه وسلم:

ووجهك كالبدر المنير تهلّلا o و ظل بتسخير الغمام مظلّلا

له سجد الفحل العضوض مذلّلا o بزقت ببير و العجين تقلّلا

لدى الضّرّ فازدادا و ذا الماء أعذب

(قافية الباء ٢٦)

حديثك ما احلاه ذوقا و امحضا O و لم ير زلقا فيه رآء و مدحضا

وأبطل طرق الملحدين و أدحضا O بريق محياك الحنادس قد اضا

إضاءة بدر حف حوليه كوكب

(قافية الباء ٢٧)

ويمضي يقول الشيخ صدقة الله أبّا:

شرابك لو نفس تذوق لعربدت O و مرآك لو عين تراه لا ربدت

ولكن بالطاف عليك تأبّدتO ترى العرش و الكرسيّ و الحجب قد بدت

إليك و أنواري عليك تجلت

(قافية التاء ١٣)

وكم أية في مدحه الله قصّه O و إنك لعلى خلق ن الله نصّه

وحبيبا له بين الكرام استخصّهO ثلاثة أشياء بها الله خصّه

فوالله لو أقسمت ما كنت أحنث

(قافية الثاء ٩)

له منظر عند المهيمن ناضر O و قلب صدوق عند موله حاضر

لقوسين أو أدنى و لا ثمّ حاظرO دنى فتدلّى لم يَزِغ عنه ناظر

مُحِبّ و محبوب حميد و أحمد

(قافية الدال ٥)

خبير بصير كاشف و مبصر O عليم مبين مظهر و مفسر

جواد معين مرفد و ميسر O سراج منير شاهد و مبشر

ألا فضل كل الرسل في واحد الجنس

(قافية السين ١٠)

لقد كان فيه أسوة أحسن الأسا o لمن كان يرجو الله في كشفه الأسا

طبيب أسا جرح الحشا خير من أسا o صفوح حليم لا يؤاخذ من أسا

و ما هو من جان عليه بمقتص

(قافية الصاد ٥)

شريعته عين صفت ليس كودرت o وأمته صدر وما قطّ صودرت

جلالته كل امرئ نفسه درد o عزيز سرى يبغى العزيز فعودرت

له الأرض تُطوى و المعارج توضع

(قافية العين ٣)

وإن الأبيات من الثامن عشر إلى التاسع عشر التي ألّفها في كل قافية الشيخ صدقة الله بنفسه تنعكس شعوره العفو والغفران لآثام والمعاصي. وجعل الشيخ هذه الأبيات كالمناجات يدعوا نفسه أن يتكلم عند الله ورسوله ويرجو من الله الغفران والرحمة معتمدًا. ونرى هنا بعض أبياته:

عصيت بجهلي مرشدي و منبهدي o إلى أن قسا قلبي بعصيان ربه

و ممن زللي لما وقعت بحبه o توسّلت يا ربي إليك بحبه

لتغفر أوزاري و تقبل توبتي

(قافية التاء ٨)

كسبت فضول العلم صرفا و نحوه o تركت جميل الفعل فرضا و نحوه

مدحت نبيا قد نحا الله نحوه o جمعت ذنوبا ثم عرّجت نحوه

و من كان ذا ذنب إليه يعرّج

(قافية الجيم ١٩)

مسيء أنا عاص يخاف فضائحا o مخالف من وصى و أبدى النصائحا

و إني و أن أسلفت فيك مدائحا ο حزين أنا مما جمعت قبائحا

حسير و لكني إليك أسيح

(قافية الحاء ٢٧)

فدعني رسول الله أمدحْك منشدا ο لدى كل من في نور وجهك أرشدا

به فاهدني النهج القويم و أرشدا ο ديانة نفسي أن تحبّك مرشدا

دعوتك لي طرق الهداية ترشد

(قافية الدال ٢٤)

يراعي الشيخ مادح الرسول صدقة الله أبا القاهري الشاهي في الأماكن المختلفة في قصيدته الرائعة "التخميس والتذييل على القصيدة الوترية" كما يلي: "إن ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم جزء من العبادة وحياة الصحابة رضي الله عنهم تدل على هذه المسألة. لا يمكن للإنسان السعادة في هذه الدنيا والآخرة إلا بالصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم. تساعد هذه الصلوات المؤمنين في الموت وفيما بعد الموت حتى تساعدهم في لقاء الله عز وجل. هؤلاء المؤمنون ينقذرون من جهنّم و مصائب الدنيا. من يطلب منه الشفاعة يشفع له"[١٢].

قال الله تعالى في القرآن المجيد: الذين يتبعون الرسول النبي الأمّيّ الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينههم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم. فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون[١٣].

ونعرف من القرآن الكريم أن من يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم يكون من الناجحين في هذه الدنيا والآخرة. قد عرِف الصوفيون من القرآن الكريم وسنن النبي صلى الله عليه وسلم فوائد عديدة للذي يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم. وعلى القاعدة نفسها أثبت مشائخ الإسلام أنه بواسطة وسيلة الرسول يأتي التوفيق والفلاح في الدنيا و الآخرة. شُرحت هذه الأبيات من القصيدة الوترية والقصيدة الشفعية عن مادة مذكورة ملاحظة وهما كما يلي[١٤]:

كسبت فضول العلم صرفا و نحوه ο تركت جميل الفعل فرضا و نحوه

مدحت نبيّاً قد نحى الله نحوهo　　　جمعت ذنوبا ثم عرجت نحوه

و من كان ذا ذنب إليه يعرّج

ثمنت بمدح المصطفى نصب جُنَّة　　o　　من النّار لي دون اللظي ود جنّة

و من شرّ شيطان رجيم و جِنة　　o　　ثِقاتي به أنَّى أفوز بجنة

به و حسان لا تشيخ و تطمث

ينشد المسلمون من ولاية تامل نادو بالهند وجزيرة سرنديب (سريلانكا) والمسلمون الذين هاجروا من تامل نادو وميانمار وسرنديب ويمكثون في ماليزيا وغير ذلك. ينظم الناس القصيدة الوترية أثناء أوّل عشرة أيّام من شهر صفر هكذا في شهر محرم الحرام. ويقرأ الناس هذه القصيدة في كلّ ليلة في شهر رمضان أيضًا. ولا يزال مجتمعنا الإسلامي التاميلي يتذكر شخصيته القيمة وخدماته الثمينة ولا يزال يشكره ويكن له تقديرًا واحترامًا ولا يزال أهل المنطقة ينشدون في جامعهم الكبير ومساجدهم قصائد ويستحسنونها ويتعجبون من بلاغتها وروعتها ومن ثم شاعرها.

**تخميس قصيدة البردة للبوصيري:**

إن الشيخ محمد بن أبي سعيد البوصيري (٦١١–٦٩٥ الهجري) قد أَلَّف قصيدة مشهورة باسم "قصيدة البردة" على مدح النبي صلى الله عليه وسلّم. وهذه القصيدة تسمى أيضًا برء الداء. إن المؤلف شُفي من مرضه الخطير ببركة هذه القصيدة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة إكمال هذه القصيدة جاء في منام ذلك المؤلف وأهداه بردته. ومنذ ذلك الحين شعر شفاء كاملا في بدنه. وهذه القصيدة أيضًا لا تزال تقرأ وتتلأ في المساجد والبيوت. تدرّس بعض المدارس العربية معاني هذه الأبيات للطلبة. قصيدة البردة من أجود صور المدح الذي قيل في حبّ النبي صلى الله عليه وسلم. وقد قام الشيخ صدقة الله أبا بتخميسها في صورة رائعة، وهو في عمله هذا يشاطر البوصيري حب النبي، وعواطف الإمام البوصيري ممزوجة بعواطفه. وتبدأ قصيدة البردة الأصلية وهي كما تلي:

أ من تذكر جيران بذي سلم o　　　مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

ولكن الشيخ صدقة الله أبا خمَّسها البيت المذكور وهو كما يلي:

يا باكيا لنوى الأحباب ذا ألم　　o　　و صار شوقك بين الخلق ذا علم

قل لي و إنك في أمن و في سلم　　o　　أ من تذكّر جيران بذي سلم

مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

وضَيَّف الشيخ قائلًا:

ما بين لحييك و الفخذين فأحصهما o و أغنم متابا و إخلاصا فأخصمها

و فارق الخلق و الدنيا و أقصّهما o وخالف النفس والشيطان و اعصِهما

و إن هما محضاك النصح فاتهم

لا تستمع منهما وعظا و لا حكما o لا تيبغ لهما أمرا ولا حكما

أطع إلهك ربا عادلا حكما o و لا تطع منهما خصما و لا حكما

فأنت تعرف كيد الخصم و الحكم

**تخميس بانت سعاد :**

لقد عاش كعب بن زهير ابن أبي سلمى في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كان شاعرًا كبيرًا قبل الإسلام. وبعد أن أسلم بدأ ينظم أشعارًا مدحًا في رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويومًا ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يجلس مع الصحابة الكرام فقرأ قصيدته المتكونة من ٦٣ بيتًا أمام الرسول وأصحابه فرقَّ قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه جوائز كثيرة ذات قيمة. وهذه القصيدة مشهورة جدًا. نظم كعب بن زهير رضي الله عنه قصيدة رائعة في مدح الرسول معروفة باسم "بانت سعاد". وقد زاد الشيخ صدقة الله أبا عليها ١٨٩ بيتًا على كل بيت ثلاثة أسطر. وهو يقول:

بشرى فقد نجح المامول و السول o طوبى فذا العبد بالغفران مغسول

هنيئان الخير مجموع و محصول o زال النحوس فنعم الفوز موصول

و الحمد لله فالمحذور مفصول

وتبدأ قصيدة كعب بن زهير بالسطر التالي:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول o متيم اثرها لم يفد مكبول

والشيخ صدقة الله أبا قد خمس البيت المذكور أعلاه بالوجه التالي:

حان السعادة و الإقبال مقبول o قبلي على حب من يهواه محبول

بينا هواه بحبل الفور محبولo بانت سعاد فقبلي اليوم متبول

متيم اثرها لم يفد مكبول

ويضيف قائلًا:

الحمد لله بالإيمان أسعدني o و بالسلامة من بلوى أبعدني

ولم يمتني على ماكان أقعدني o انثبت أن رسول الله أوعدني

و العفو عند رسول الله مامول

بذّرت عمري في الزلات مبتذراo كأنني كنت بالعذرات معتذرا

فالان عني نآي ماكنت محتذراo فقد أتيت رسول الله معتذرا

و العذر عند رسول الله مقبول

والشيخ صدقة الله أبا يختم مخمسة بقول:

رضي الإله رضي ما انهل يعلولo عمن به الحق مشهور و مسلول

ومن به الصدق منصور ومسدول o والآل والصحب هم بهم وبهلول

والتابعين لهم ما لالاء اللولو

هذه القصيدة المخمسة تنشد من قبل كثير من المسلمين بجنوب الهند في بيوتهم كلما يقومون باحتفال عائلي أو ديني. وإذا نظرنا إلى الأبيات نفهم أن الشيخ صدقة الله يماثل الشاعر الأصلي في تنسيق الكلمات واستخدام العبارات. وإذن ثبت أنه ماثل حتى لشعراء الجاهلية.

**تخميس ذخر المعاد:**

ألّف هذه القصيدة الشيخ الإمام محمد بن سعيد البوصيري الذي قد ألّف قصيدة البردة أيضًا. والأبيات الأصلية في كتاب ذخر المعاد ٢٠٤ بيتًا. وإن الشيخ صدقة الله أبا قد خمّسها إلى تكون مجموع الأبيات ٦١٢ بيتًا. وهذه الأبيات لم تطبع بعد ولكن الشيخ صدق الله أبا يكرّس نفسه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق هذه القصيدة أيضًا كما فعل في بقية القصائد. وهو الذي يقول في قصيدته:

جَوَاهِر نَظَمي في مَدِيحِ مُحمّدٍ o يُضِيءُ جميعَ الدّهْر غير مُحَمّدٍ

فمادِحُهُ إن تَلْقَهُ النَّار تَخْمَدِ o جِنانُ نَعِيمٍ أجْرُ مادِحِ أَحْمَد

ومُصغ وكلّ بالحِسانِ يُزوّجُ

وهكذا بقي الشيخ صدقة الله أبا "مادح الرسول" طول حياته ولذا تلقى من النبي صلى الله عليه وسلم قربته ومن الله جل شأنه تعالى. إن المصراعين الأخيرين من كل قصيدة من القصائد السابقة للشعراء العرب أما المصاريع الثلاثة التي تسبق المصراعين الأخيرين في كل قصيدة فهي للشيخ صدقة الله أبا وهكذا نجد في كل قصيدة من قصائده هذا الأسلوب وفي كلها نرى صدق وإخلاص حبه للنبي صلى الله عليه وسلم ونرى أيضًا بديع خياله وروعة تعبيره مع إلمامه وإتقانه في اللغة. بالإضافة إلى المخمسات التي كتبها الشيخ مدحًا في النبي صلى الله عليه وسلم. لقد كتب الشيخ قصائد على بعض الأولياء الكرام وعلى الأخص منهم الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني والشيخ شاه الحميد الناغوري.

**الخاتمة:**

هذا الشعر في المديح النبوي يمتاز من جانب المضمون والشكل. هذا الشعر شعر ديني ينطلق من رؤية إسلامية. يخصّ بصدق المشاعر ونيل الأحاسيس ورقة الوجدان وحب النبي صلى الله عليه وسلم طمعًا في شفاعته ووساطته يوم الحساب. الشاعر تكية صاحب يتناول من هذه القصيدة إلى الدعوة المحمدية والرغبة إلى زيارة الحرمين الشريفين. يكثر في هذه القصيدة الدعاء والاستغفار والتوبة والشفاعة.

الشاعر صدقة الله أبا من العباقرة التي أنجبتها الهند ولكن هذا العبقري لم ينل من الإعتراف والتقدير ما يناسب شاعريته النادرة فى الإتجاهات الإسلامية من خارج الهند مثل جزيرة العرب والبلدان الإسلامية. وهذه محاولة يسيرة لسرد أشعاره العربية الإسلامية وبما أن هذه الدراسة مقدمة لدراسة أوسع –بإذن الله – فإنني سأكتفي برسم الإطار العام والملامح الشعرية لمؤلفاته.

## المراجع والحواشي

Bibliography

[1] Thaqafathul Hind, Arabic Refereed Quarterly Journal published by the Indian Council for Cultural Relations, External Affairs Ministry, Govt. of India, New Delhi,India.,Volume:64;No.:3;2013,pp:100

[2] تاج الدين، دراسة مساهمة علماء تامل نادو في الدراسات العربية في القرنين (التاسع عشر والعشرون) رسالة الدكتوراة، جامعة جوهرلال نيهرو، نيو دلهي–٢٠١٠م. ص : ١٦٥

[٣] القرآن الكريم، سورة الشعراء، رقم :٢٢٤

[٤] أحمد ابراهيم رحمة الله ، إسهامات الهند للأدب العربي، جامعة كاليكوت ، الهند ، ٢٠١١م ، ص: ٦٥، و٦٦

[٥] قاهرفطن – تقع هذه البلدة الساحلية في مديرية توتوكودي(Thoothukudi) على مسافة أربعة أميال بالجانب الشمالي من مدينة تروشندور (Thiruchendur)

[٦] Dr. Tayka Shuayb, Arabic, Arwi and Persian in Sarandib and Tamil Nadu, Imam al – Aroos Trust, Chennai, India, ١٩٩٣, pp: ٤٨١.

[٧] جمال الدين الفاروقي، أعلام الأدب العربي في الهند، مكتبة الهدى، كاليكوت، الهند ٢٠٠٨م، ص:٣٥.

[٨] كيركري – تقع هذه البلدة الساحلية في مديرية رامناتبرم (Ramanathapuram) من ولاية تامل نادو على مسافة سبعة أميال، قضى الشيخ صدقة الله أبا معظم عمره فى هذه البلدة

[٩] Dr. Tayka Shuayb, Arabic, Arwi and Persian in Sarandib and Tamil Nadu, Imam al – Aroos Trust, Chennai, India, ١٩٩٣, pp: ٤٧٩ & ٤٨٠.

[١٠] Prof. Mohammed Yousuf Kokan, Arabic and Persian in Carnatic, Ameera & Co,Chennai,India, ١٩٧٤, pp:٦١.

[١١] أحمد زبير، أسرة الشيخ صدقة الله أبا وخدماتها الدينية والعلمية (رسالة الدكتوره) جامعة مدراس،٢٠٠٣م، ص:٦٤.

[١٢] Dr. Tayka Shuayb, Arabic, Arwi and Persian in Sarandib and Tamil Nadu, Imam al – Aroos Trust, Chennai, India, ١٩٩٣, pp: ٤٧٩ & ٤٨٠.

[١٣] القرآن الكريم، سورة الأعراف ، رقم : ١٥٧

[١٤] Dr. Tayka Shuayb, Arabic, Arwi and Persian in Sarandib and Tamil Nadu, Imam al – Aroos Trust, Chennai, India, ١٩٩٣, pp: ٤٧٩ & ٤٨٠.

# التسامح الديني والتعايش السلمي في ضوء القرآن والسنة

## RELIGIOUS TOLERANCE AND PEACEFUL COEXISTENCE IN THE LIGHT OF THE QUR'AN AND SUNNAH

د.معراج أحمد معراج الندوي*

**ABSTRACT**:

*Religious tolerance, and peaceful coexistence, as a religious, political, and philosophical concept found in Islamic traditions, was sporadically utilized, always subject to the dictates of history. There is significant value in exploring Islam's rich tradition of tolerance, explicating its humane conceptualizations and heartening examples. Religious tolerance and peaceful coexistence are noble Islamic thoughts suggested in many verses of Quran in different forms, with complete emphasis and explicitness. Peace, justice, equality and brotherhood are its guiding principles to develop the mutual understanding and peaceful co-existence. Islam is synonymous with peace. It encourages its followers to explore every possible avenue for peaceful negotiations to sort out the conflict among the people and put their all efforts to establish peace in the society. The Holy Quran appeals to Muslims to engage in constructive dialogue with the people of other faiths on the basis of what they have common belief and doing of righteous deeds. The Holy Quran emphasizes that all the people have the right to follow the religion of their own choice. Islam calls on people of different faiths to have mutual respect for each other on the basis of their common humanity while following their own religions. The aim of this paper is to discuss the Qura'nic position of tolerance to establish the manner of universal brotherhood. This paper also will explore the ability of Quranic teachings to overcome the inter-religious conflicts in various parts of the world and goodwill among the flowers of different religion can be established.*

**KEYWORDS:** Religious,Tolerance, Quranic, Flowers ,Constructive.

**الكلمات المفتاحية: الديني، التسامح ، قرآني ، متبعون، استدلالي**

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة العالية، كولكاتا، بنغال الغربية، الهند

**الملخص**

إن الإسلام هو الدين الوحيد في تاسيس الأمن والسلام في العالم. يقوم الإسلام على نظرية اجتماعية واسعة ويبين أن أفراد البشرية كلهم على وجه الأرض من سلالة واحدة. يتحمل التعايش السلمي قيمة كبيرة في الإسلام إذ أن الإسلام يدعو للتعايش والتقارب ويحث أتباعهم إلى التسامح الديني ويمحو التعصب وال والغلو والتطرف مع الآخرين. ومن المعروف أن المسلمين مارسوا التسامح الديني مع غير المسلمين تسامحا فريدا لا يوجد نظيره في التاريخ. الإخاء والمساواة والحرية، هذه النزعة الإنسانية الأصيلة في الأسلام هي أساس هام لمبدأ الإخاء البشري الذي نادى به الإسلام. تمس الحاجة إلى أن يبرز المنظور القرآني لتحقيق الأخوة العالمية من خلال التسمخ الدينيو التعايش السلمي وذلك عن طريق الدراسة العميقة الكتاب المقدس المنزل من عند الله كدستور للحياة البشرية.

**المدخل في الموضوع**: إن موضوع التسامح الديني والتعايش السلمي من الموضوعات المهمة التي تشغل اليوم بالمجتمعات الإنسانية والتي يكثر تناولها في وسائل الإعلام والاتصال كما أصبح موضوعًا حارًا للمناقشة في الندووات والمؤتمرات حيث ازدادت أهميته في العصر الذي نعيش فيه. فعلى الرغم تطور الإنسان علميًا ومدنيًا ينحط المجتمع البشري من داخله ثقافيًا وخلقيًا وكذلك تهبط المودة الإنسانية والقيم الخلقية.

**التعايش السلمي**:التعايش في اللغة مشتق من العيش، والعيش الحياة.[١] والتعايش في الإصطلاح بقصد به العيش المتبادل مع الآخرين القائم المسألة والمهادنة.[٢] وقد يعبر عن التعايش بعبارات: التسامح، التقارب، التساكن، التكامل، التلاقى، التجانس. أما في الإصطلاح أن يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم بين مجتمعاتهم آمنين سالمين مطمئنين على على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظموتهم الفكرية.[٣] التعايش السلمي من المصلطحات الحديثة التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية. وينصب معنى التعايش السلمي على التفاهم.

**مفهوم التعايش السلمي في الإسلام**:إن مفهوم التعايش السلمي في الإسلام عبارة عم معالجة العديد من القاضايا الاجتماعية والسياسية. يتحمل التعايش السلمي قيمة كبيرة في الإسلام إذ أن الإسلام يدعو للتعايش والتقارب ويحث أتباعهم إلى التسامح الديني ويمحو التعصب واالغلو والتطرف مع

الآخرين. ومن المعروف أن السلمين مارسوا التسامح الديني مع غير المسلمين تسامحًا فريدًا لا يوجد نظيره في التاريخ. التعايش بين المسلمين وغير السلمين مشروع والنصوص التي تدل على مشروعيته كثيرة. ومن أبرز نصوص القرآن الكريم التي تدل على التعايش السلمي: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم. إن الله يحب المقسطين".[٤]

**التعايش في ضوء السنة النبوية**: والنصوص التي تدل على مشروعية العايش السلمي مع غير المسلمين والتي جاءت مضامينها في السنة النبوية المطهرة. فمن أهمها: نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الظلم المعاهدين والذميين، حيث ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: من آذى ذميًا فقد آذاني، ومن آذاني آذى الله. وفي رواية: ألا من ظلم معاهدًا أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس منه، فنا حجيجه يوم القيامة".[٥]

**عيادة مرضاهم لغير المسلمين**: عن أنس رضي الله عنه أنه قال: كان غلامًا يهيدي يخدم النبي صلى اللهعليه وسلم فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم، فقعد عندى رأسه فقال له: اسلم. فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقالله: أطلع أبا القاسم. فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: الحد لله الذي انقذه من النار".[٦]

**قبول هدايا غير المسلمين**: عن أبي هريرة رضي الله عنه قالك لما فتحت خيبر أهديت لرسول صلى اللهلا عليه وسلم شاة فيها سم. وجاء في رواية أن الهدية قدمتها زينب بتن الحارث امرأة سلام بن مشكم وهي امرأة يهدية. وقد قبل النبي صلى الله عليه وسلم هديتها.[٧] وفي قصة أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها– مع أمها المشركة ، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم لها بقبول هديتها.

**التعامل مع غير المسلمين**: عن عائشة رضي الله عنها قالت: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهيودي بثلاثين صاعا من شعير.[٨]

**إكرام الموتى لغير المسلمين**: جاء في حديث رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : مر بنا جنازى فقام لها النبي صلى الله عليه وسلم فقمنا مكعه. فقلنا يا رسول الله: إنها جنازة يهودي. فقال: إذا رايتم الجنازة فقوموا.[٩] وفي رواية رواها عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان سهيل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية، فمروا عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنهما من أهل الأرض– أي من أهل الذمة – فقالا: لإن النبي صلى الله عليه وسلم مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها مكن جنازة يهودي. فقال: أليست نفسا ".[١٠]

وبهذه القيم الخلُقية والمبادئ الإسلامية نتوصل إلى أن القرآن يسعى إلي تشكيل مجتمع مثالي يعيش فيه الإنسان عيشا هادئا كريما، يحاول كل من أفراد المجتمع أن ينفع الآخر ويسدي إليه بالخير ولايضره وأن يكون رحيما وعادلا وصادقا في التعامل مع الناس،وهذه هي الأسس والمبادئ التي تبني ولاتفسد، تعمر ولا تخرب، والمجتمع العالمي في حاجة شديدة إلى تطبيق هذه المبادئ للحصول علي السعادة والسلام.

**نظرية اجتماعية في القرآن الكريم**:إن الإسلام هو الدين الوحيد في تأسيس الأمن والسلام في العالم. يقوم الإسلام على نظرية اجتماعية واسعة ويبين أن أفراد البشرية كلهم على وجه الأرض من سلالة واحدة. فالآية القرآنية تدل على هذه الحقيقة" يأيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم".[١١]ويستهدف نشر التعاون والتضامن بين الناس جميعًا ولا يتميز بين جنس وجنس. ولايفرق القرآن الكريم بين إنسان وإنسان بل إنما يرشد الإنسان إلى الاحترام فيما بينهم وأن يحب له ما يحب لنفسه من ود ووئام واحترام، فيقول سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: "ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير".[١٢] ففي ضوء القرآن التقوى معيار للفضل والكرامة، والتقوى يتمثل في حياة مثالية نافعة تجود بالخير الكثير ولاتُخلق لأحد ضرًا ولامشكلة، والقرآن يقضي على التفاخر القبلي واللوني واللغوي ويمنع من كل شيئ لاينبني على الخير والتقوى والإنسانية، ويعد القرآن الكريم اختلاف الألسن والألوان من رحمة الله وآياته، فيقول: "ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين".[١٣] فإن هذه الآيات وأمثالها بظاهرها تدل على أن الإسلام يفرض نفسه على الآخرين وأنه لايسمح بأي اختلاف في الفكر والدين فلا سبيل إلا التعايش والسلم والأخوة العالمية.

**الأخوة الإسلامية في ضوء القرآن**:إن من أهم المبادئ والقيم الإنسانية التي أكد عليها القرآن الكريم في العديد من آياته الكريمة هي الأخوة الإسلامية، فقد خاطب الله عز وجل الناس بلفظ "يا بني آدم" في القرآن الكريم ست مرات لأنه مبدأ قرره الإسلام بناء على أن البشر جميعًا أبناء رجل واحد، وامرأة واحدة، ضمتهم هذه البنوة الواحدة المشتركة، والرحم الواصلة، قال الله تعالى: "يأ أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساءًا واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام. إن الله كان عليكم رقيبًا".[١٤]فالمنظور القرآني للأخوة العالمية مبني على التماسك بالدين الذي يدين به الإنسان واحترام الآخر كما يعتقده ويدين به وذلك كما يقال: "تعالوا نتفق على أن لا نتفق" فليس الاتفاق المتكامل حلًا للمشاجرات وإنما الحل يكمن في أن يتمسك الإنسان بدينه

ويدع الإنسان الآخر أيضًا بأن يعمل بدينه بدون النضال والتشاجر، ولكن القرآن في نفس الوقت يركز على ضرورة الحرية الدينية الكاملة وهى ليست فقط في التدين للدين بل وبدعوة الآخرين إلى الدين بالموعظة الحسنة والحكمة البالغة، ووفق تعليم القرآن لو حاولنا تكوين المجتمع الإنساني فإن هذا المجتمع سيكون مجتمعًا مثاليًا وتتحقق الأخوة العالمية والوحدة الكاملة بدون أن يشعر أي إنسان بفقدان ثقة أو بأن فئة تفوق فئة أخرى.

وهناك جهود كثيرة متواصلة لهذه الأخوة العالمية وذلك عن طريق تقريب مختلف الديانات إلى الأخرى وذلك بالتنازل عن بعض التعاليم والتركيز على بعض منها وهذا هدف لايمكن تحقيقه بالمنهج الذي يتراءى في بادئ الأمر منهجًا نافعًا. لأن الإنسان مهما تحرر من قيود دينه إنه يحب دينه بجزئه أوكله وبهذا الطلب للتنازل والتركيز سندفع الرجل إلى أن يذهب إلى ما لايميل إليه قلبه وذهنه وحينئذ سيحدث فيه نزعات من النفاق فيظهر ما لايبطن ويبطن ما لايظهر، وهذا الطراز النفاقي لايتمخض إلا عن نتائج لايرضاها أحد منا.

فتتجلى أهمية منهج القرآن الكريم لتكوين الأخوة العالمية وترسيخها في أذهان الناس وقلوبهم ولقد أشار القرآن الكريم إلى ما جبل عليه الإنسان من تشاجر وتفاخر وتباغض في قوله عز وجل: "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا".[١٥] ولذا يدعو القرآن الكريم النوع البشري إلى الاحترام المتبادل والتعايش السلمي والأخوة العالمية التي لاتكاد تتحقق بدون هذا الاحترام المتبادل والتعايش السلمي، والقرآن الكريم يؤكد هذه الوجهة القائمة على الوسطية والاعتدال والحكمة العميقة التي تهدي إلى الخير والسعادة بقوله عز وجل: "إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون".[١٦] يذكر الإسلام أن الناس خلقوا من نفس واحدة، وليس فيهم فضل لعربي على عجمي ولا على أبيض من أسود، ولا على أرفع على أسفل إلا بتقوى الله تعالى.

العلاقات الإنسانية في القرآن: ومما لا شك فيه أن كلمة التعامل مع الآخرين لها مفهوم شامل، يتسع اتساع العلاقات الإنسانية بين بني آدم. والروابط التي تجمع بين الناس كثيرة، فمن رابطة الدم، إلى رابطة الفكرة والمبدأ، ورابطة العمل والوظيفة، ورابطة الصداقة والصحبة، ورابطة الجنس والعرق، والرابطة التجارية والاقتصادية، ورابطة العقيدة التي تُعدّ من أقوى الروابط وأمتنها. ولكن قوّة رابطة العقيدة، لاتعني أنَّ مفهوم التعامل مع الآخرين لا يدور إلا في نطاقها، ولا يشمل التعامل مع أصحاب العقائد الأخرى من غير المسلمين، بل إنَّ معنى التعامل يتسع ليشمل الإنسانية كلَّها. فالعلاقة الإنسانية تتعلق

بتفاعل الأفراد في جميع أنواع المجالات، ويشاهد هذا التفاعل بصفة عامة في تنظيمات العمل حيث يرتبط الأفراد بنوع من البناءٔ والنظام الشكلي في سبيل تحقيق هدف معين من خلال الترابط والانسجام والتعاون فيما بينهم.

لقد رفع القرآن الكريم من مكانة الإنسان بغض النظرعن الجنس أو اللون الالعرق الدين. فوردت كلمة الإنسان في القرآن الكريم ٦٣ مرة ، وكلمة الناس تكررت ٢٤٠ مرة، ولا خلاف في أن بني آدم أفضل من كل المخلوقات، والأصل فيه نصوص شرعية ولعل من أوضح الآيات في هذه المجال قوله تعالى: "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضالناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلًا".[١٧]

**الأمة البشرية في العصر الجديد**: الإخاء والمساواة والحرية. هذه النزعة الإنسانية الأصيلة في الأسلام هي أساس هام لمبدأ الإخاء البشري الذي نادى به الإسلام. وهي أساس هام كذلك لمبدا المساواة الإنسانية العام الذي دعا إليه اإسلام. كذلك لمبدأ الحرية الذيب قرره الإسلام وأكد ألدعوة إلى هذه المبادئ الإنسانية الثلاثة. وهي الإخاء — المساواة– الحرية. وضع الإسلام الصور العملية لتطبيقها وربطها بعقائده وشعائره وآدابه ربطًا محكمًا.

**القرآن والتعايش السلمي بين المجتمع البشري**:القرآن هو المصدر الأول للإسلام. فالإسلام فإذن شعار ورمز يدور في القرآن على ألسنة الأنبياء وأتباعهم منذ أقدم العصور التاريخية إلى أن جاء القرآن وجمع القضايا كلها في قضية واحدة وجهها إلى البشرية جمعاء. وبين لهم فيها أنه ما ما شرع لهم دينًا جديدًا وإنما هو دين أنبياء كلهم الذين جاءوا من قبل. فالإسلام فيلغة القرآن ليس اسمًا لدين خاص، وإنما هو اسم للدين المشترك الذي هتف بهكل الأنبياء وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء.[١٨]

إن الإسلام دعا إلى وحدة البشر وأعلن الإخوة الإسلامية بينهم.؟ وأن الناس جميعًا ولدوا من أب واحد وأم واحدة، انهم سواسية لا فرق بينهم لا في اللون ولا في العرق ولا في البلد. وكذلك دعا الإسلام إلا نبذ العصب العرقي أو الديني أو الطائفي ولذلك كان دينًا عالميًا ليس مغلقًا على شعب من الشعوب أو على زمن من الأزمان. قرر ذلك نصوصًا في القرآن والسنة ودعا إلى الإيمان بها جزءًا من عقيدة الإسلام وأوجبها عملًا.

**ملخص البحث**: يدعو القرآن الكريم النوع البشري إلى الاحترام المتبادل والتعايش السلمي والأخوة العالمية التي لاتكاد تتحقق بدون هذا الاحترام المتبادل والتعايش السلمي، والقرآن الكريم يؤكد هذه

الوجهة القائمة على الوسطية والاعتدال والحكمة العميقة التي تهدي إلى الخير والسعادة بقوله عز وجل: "إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون". [١٩]

النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة لموضوع التعايش السلمي في ضوء القرآن الكريم في المجتمعات معددة الثقافات كثيرة ومنها: إن الإسلام دين يدعو للتعايش والتقارب ويدين التعصب والغول والتطرف سواء مع الذات أو مع الآخرين. إن المرجعية في فهم التعايش بين المسلمين وغير المسلمين تستند على نصوص الوحي الإلهي الكتاب والسنة. وفهمها وفقًا لما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم أجمعين والتابعون والأئمة والصالحون. التعايش السلمي بمنظور الشريعة الإسلامية وسيلة مهمة من وسائل تطور المجتمعات وتنميتها تنمية شاملة للجوانب المادية والروحية. التعايش السلمي يسبب لتحقيق المصالح المشتركة لجميع أفراد المجتمع على اختلاف أديانهم وأعراقهم. التعايش السلمي يسبب لتحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع. كذلك يعاون في نشر الدعوة الإسلامية بين أفراد المجتمع بسسب اختلاط مع غير المسلمين ولإفهام طبيعة الإسلام السمحة. تمس الحاجة إلى أن يبرز المنظور القرآني لتحقيق الأخوة العالمية وذلك عن طريق الدراسة العميقة لهذا الكتاب المقدس المنزل من عند الله كدستور للحياة البشرية. والله ولي التوفيق.

## المراجع والحواشي

[١] القاموس لأبي طاهر محمد يعقوب الفيروزابادي، دار الإحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١م

[٢] د. عباس الجراري: مقال بعنوان: مفهوم التعايش السلمي في الإسلام، مجلة الجراري،ص ٢٧، العدد ١٤، ١٤١٧ھ

[٣] عبد بن محمد عبد المحسن التركي: الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية ، رابطة الإسلامي ، مكة المكرمة، ١٤٢٣ھ

[٤] الممتحنة ٨-٩

[٥] أبو داود السنن ١٧٠/٣ رقم حديث ٣٠٥٢

[٦] صحيح البخاري، ٢٠١٩/٣ حديث رقم: ١٣٥٦

[٧] صحيح البخاري مع فتح الباري ٤٩٧/٧ حديث رقم ٤٢٤٩

[٨] صحيح البخاري، مع فتح الباري ٩٩/٦ حديث رقم ٢٩١٦

[٩] صحيح البخاري — مع فتح الباري ١٨٠/٣ حديث رقم ١٣٣١

[١٠] صحيح البخاري- مع فتح الباري ٣/ ١٨٠ حديث رقم ١٣١٢

[١١] القرأن- سورة الحجرات رقم الآية ١٣

[١٢] القرأن- سورة الحجرات رقم الآية ١٣

[١٣] ( القرآن، الروم: ٢٢

[١٤] سورة النساء رقم الآية ١

[١٥] القرآن، الحج: ٤٠

[١٦] القرآن، البقرة: ٦٢

[١٧] سورة الإسراء، رقم الآية ٧٠

[١٨] محمد عبد الله دراز: بحوث ممهدة لداسة تاريخ الأديان، الكويت دار القلم ص، ١٧٥

[١٩] القرآن: البقرة رقم الآية ٦٢

# التنغيم في اللغات، العربية والإنجليزية نموذجًا

## INTONATION IN LANGUAGES, ARABIC AND ENGLISH MODELS

**د.هيفاء شاكري***


## ABSTRACT:

*We find so many qualities in the Arabic language which make the Arabic one of the most important languages in the world literarily and traditionally. We also found that the Arabic language shares some of its qualities with the other languages and the example is INTONATION found in the English language also. The definition of the intonation is as follows:*

*Intonation: Is variation of spoken pitch that is used to distinguish words. It is used for a range of functions such as indicating the attitudes and emotions of the speaker.*

*The topic of my article is to compare between the intonations in the both languages and to show how deeply this quality goes into the literary aspects of the both languages.*


**KEYWORDS:** Arabic, Languages, English, Intonations, Traditionally

**الكلمات المفتاحية**: العربية ، لغات، الانجليزية ، الترنيم ، رواية


**الملخص**

توجد في اللغة العربية خصائص كثيرة تجلعها من أهم لغات العالم تراثًا وأدبًا. وقد اشتركت اللغة العربية مع اللغات الأخرى في بعض الخصائص ومنها خاصية وظاهرة التنغيم التي وجدناها في اللغة الإنجليزية أيضًا.

والتنغيم في العربية إطالة الصوت وتنغيمه على أحرف اللين. أما النبر: فهو نشاط في جهاز النطق، وعند النبر نجد نشاطًا لعضلات الرئتين وقوة حركات الوترين الصوتيين.

واستخدم الأدباء الإنجليزيون نفس هذه الظاهرة في لغتهم وهم يعرّفونها بقولهم:


* أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي، الهند

Intonation: Is variation of spoken pitch that is used to distinguish words. It is used for a range of functions such as indicating the attitudes and emotions of the speaker.

وموضوع بحثنا هو مناقشة الظاهرتين وربطهما بيئة التراث العربي الأصيل.

**المقدمة:**

تميزت اللغة العربية بخصائص متميزة وسمات فريدة لا توجد في لغة أخرى، ويكفي شرفًا للغة العربية أن تكون لغة القرآن الكريم الذي لم يكن للعرب وحدهم بل لجميع البشر باختلاف ألوانهم وأجناسهم.

واللغة بشكل عام هي كالمرآة التي نشعر من خلالها بجرس الألفاظ ونغمات التعبير وطريقة الأداء وصفات وملامح شخصيات أصحاب اللغة والعقلية والسمات والطبائع والعادات والأخلاق.

وتشتمل العربية على خزائن قيمة في تراثها نحن في أمس الحاجة إلى كشف هذه الكنوز واستخراجها ثم ربطها بما هو جديد من نظريات علمية، وبيان قيمتها النقدية لنظهر أمام العالم أجمع أهمية هذا التراث القويم وأنه لا يقل قيمة في جماله وقوته ومرونته وحيويته عن أي لغة سواء كانت شرقية أو غربية. وذلك لا يأتي إلا عن طريق الحوار الإيجابي الذي نعاني من غيابه،مع العلم أنه من غير المعقول أن يحصل أي تقدم ما لم نتعرف على الآخر، ومحاورته في فكره وثقافته وتراثه.وهذا عنصر مهم في التفاعل والتبادل بين الشعوب،لذلك فإنه من الضروري أن نقرأ التراث ونستخدمه في حوراتنا مع الشعوب الأخرى.

وهناك مئات اللآلئ التي تحتوي عليها كنوز التراث الأدبي واللغوي للغتنا العربية،انتقيت منها لؤلؤة قيمة للدراسة والبحث.

والتنغيم: هو إطالة الصوت وتنغيمه على أحرف اللين.أما النبر: فهو نشاط في جهاز النطق، وعند النبر نجد نشاطا لعضلات الرئتين وقوة حركات الوترين الصوتيين.

وقد تحدث عن التنغيم ابن جني في كتابه الخصائص حيث ذكر نصا لسيبويه ليدل على حذف الصفة وما يحدثه هذا الحذف من أثر على معنى الكلمة أو الجملة وتركيب الكلام وارتباط الدلالة الصوتية بظاهرة التنغيم.و سيتم ذكر النص في البحث بإذن الله تعالى.

وتدرس ظاهرة التنغيم اليوم في الجامعات في أنحاء العالم على أنها ظاهرة اكتشفها الغرب في الأربعينيات،ولكننا نرى من نص سيبويه أن التنغيم قد وجد في العربية منذ البداية وقد اكتشفه العلماء

وتحدثوا عنه.ستدور الورقة حول قراءة هذه الظاهرة في التراث بذكر أمثلة متعددة ومقارنتها بما يوجد من مثيلاتها في اللغة الإنجليزية وبيان أهمية النصوص العربية والتراث القيم وما يمتاز به من مرونة ورونق وجمال.وخصائص لا تجعلها تتخلف عن لغات العالم المتقدم بأي حال من الأحوال.

وسيكون هناك ذكر لآراء علماء الغرب والمستشرقين حول هذه الظاهرة،وكيفية ربطها بالنظريات العلمية والنقدية الحديثة التي ظهرت في العصر الحديث.وتوجد أمثلة كثيرة على هذه الظاهرة في القرآن الكريم والأحاديث والشعر العربي،وسأقوم بمناقشتها كذلك في الورقة.

أما التنغيم كما عرفه الغرب فهو:

Intonation: Is variation of spoken pitch that is used to distinguish words. It is used for a range of functions such as indicating the attitudes and emotions of the speaker.

وقد ظهر التنغيم في النقد الغربي في فترة الأربعينيات.وهناك نظريات معينة تدور حول هذه الظاهرة،سوف نناقشها في البحث الكامل إن شاءالله.إضافة إلى التحديات التي يواجهها الباحث العربي في قراءة التراث وضرورة تقبل النقد والاختلاف والمراجعة.

أدعو الله تعالى أن أوفق في تقديم الفكرة وتوضيحها.و بيان أهمية قراءة التراث الأدبي و اللغوي كضرورة علمية لمواجهة تحديات العصر.

إن اللغة التي يتحدث بها الإنسان هي أقرب شيء لحياته، لذلك فهو يعتني بها و يوليها من الاهتمام و الدراسة المنظمة العميقة قدرا كبيرا، وقد بذل العلماء و المفكرون جهودا جبارة في دراسة اللغة من خلال المناقشات و الأبحاث و الندوات و المؤتمرات، و كل لغات العالم تحظى بهذا الاهتمام من قبل أصحابها و متحدثيها، و لأن اللغة العربية تتمتع بخصائص متميزة لا تتمتع بها لغة أخرى في الكون، و لذلك حظيت من الدراسة و الاهتمام ما لم تحظ به أي لغة من اللغات المتداولة أو المندثرة.

ويكفي شرفا للغة العربية أنها لغة كتاب الله العزيز، لغة القرآن الكريم، الذي خاطب الله به جميع البشر من جميع الأجناس، و بذلك انتشرت العربية في جميع الأنحاء. و أقبل عليها العلماء و الرواد يدرسونها و يبينون ما خفي من أسرارها في بلاغتها و نحوها و صرفها. و هناك سلسلة طويلة و فهرس لا ينتهي إذا أردنا أن نذكر هؤلاء العلماء من العرب و غيرهم، ويمكن أن نذكر على سبيل المثال سيبويه صاحب "الكتاب"، و قد ذكرته هنا لأن نصا من كتابه سيذكر في هذا البحث كأساس لدراسة ظاهرة التنغيم.

وليس من الغريب أن يهتم علماء الغرب أيضا باللغة العربية بسبب ما خلفه علماء العربية من مؤلفات و تصانيف، فانتبه إليها هؤلاء، و وقفوا مستغربين أمام قوتها و كمالها و حيويتها. هناك الكثير منهم من شهد لها بذلك و لو أن العربية لا تحتاج إلى شهادة أحد لتكون أفضل اللغات. يقول أرنست رينان صاحب "الموسوعة المسيحية":

"فهذه اللغة المجهولة التاريخ تبدو لنا فجأة بكل كمالها و مرونتها و ثروتها التي لا تنتهي. لقد كانت هذه اللغة منذ بدايتها بدرجة من الكمال تدفعنا إلى القول بإيجاز: إنها منذ ذلك الوقت حتى العصر الحاضر لم تتعرض لأي تعديل ذي بال. فاللغة العربية لا طفولة لها و ليس لها شيخوخة أيضا، منذ ظهرت على الملأ و منذ أنتصاراتها المعجزة، و لست أدري إذا كان يوجد مثل آخر للغة جاءت إلى الدنيا مثل هذه اللغة من غير مرحلة بدائية، ولا فترات انتقالية، ولا تجارب تتلمس فيها معالم الطريق"

وهذا فقط مثال واحد من بين مئات الأمثلة على الاهتمام و العناية بالعربية من أصحابها و غيرهم.

وما تحتويه و تحمله العربية بين جنباتها من تراث قويم، من الصعب جدا الإحاطة به و دراسته في فترة زمنية قصيرة، و هنا يطرح السؤال نفسه: لماذا نقرأ التراث و نهتم به هذا الاهتمام؟ و طبعا الإجابة ليست بسيطة و إنما تحتاج إلى دراسة و تفكير و مناقشة.

فالتراث الأدبي و اللغوي هي نافذة نطل منها على التجارب الإنسانية المختلفة، وبالنسبة للعربية فهي التجارب التي ارتبطت بخير الأديان و خير الكتب، فنستفيد منها وننهل من معينها الذي لا ينضب، و تراث العربية ليس تجربة الأمة العربية وحدها و إنما هي بوتقة انصهرت فيها الحضارات الأخرى من بقاع العالم المختلفة. و ارتباط هذا التراث بالقرآن الكريم منحه معالم متميزة و علوما مختلفة من بلاغة و نحو و صرف التي كثيرا ما استمدت أساسها من النص القرآني،و الحديث النبوي الكريم، إضافة إلى ذخيرة العرب الكبيرة من الشعر الأصيل الذي يقف كجدار قوي أمام التحديات و الهجمات المتواترة على هذا التراث الأصيل. و تراثنا الأدبي و اللغوي له حضور فاعل لا بين الأصول العربية حسب بل في قلب كل مسلم باختلاف البلدان و الديار.

ورغم المحاولات العديدة و الهجمات الشديدة التي قام بها أعداء العربية على تراثها و ثقافتها، و دعوتهم إلى فصل هذا التراث عن تيار الفكر الجديد و ما يسمى بالحداثة و التجديد إلا أنه بقي محافظا على هويته و مكانته، و قام وما زال يقوم بدور فعال و متميز في ربط الماضي العريق بالمستقبل الزاهي بإذن الله، لكن ذلك لن يحدث إلا إذا قمنا بدراسة هذا التراث دراسة عميقة متأنية و أثبتنا أن تراثنا ليس تراثا جامدا، منغلقا على نفسه، يدور في مداره، و لكنه تراث يملك قدرة الوصول إلى آفاق جديدة،

بالحفاظ على ماضيه المرموق، يمكنه أن يكتشف سبلا جديدة، و يثرينا بآراء لا تقل حداثة عن أي علم من علوم العالم أجمع. و إذا كان هذا يمثل تحديا أمام المهتمين بالعربية و القائمين على المشكلات التي تواجهها، فإن هناك تحد آخر مهم جدا، وهو تقريب هذا التراث من فكر و أذهان أبنائنا و طلابنا وتيسيره لهم بطريقة تجعلهم يتذوقون حلاوته وعذوبته، و يدركون مدى أهميته حينما يلاحظون تفوقه على تراث وعلوم اللغات الأخرى، فيعتزون به ويشعرون بالفخر لإنتمائهم العربي الأصيل.

وقد حاولت أن أقوم بخطوة بسيطة متواضعة في هذا المجال، ولا أدعي أنني تعمقت في سبر أغوار هذا التراث الذي ارتبط به برابطة الدين واللغة، وللكنني لاحظت وجود ظاهرة التنغيم في كثير من الآيات و الأحاديث و الأشعار والأمثال العربية، ثم عندما قرأت أكثر عن هذه الظاهرة وجدت أنها موجودة في لغات أخرى منها الإنجليزية، فبحثت عن أصلها في العربية و قارنت ذلك بما يوجد من مثيلاتها في اللغة الإنجليزية، واتخذت ذلك نموذجا لبيان أهمية التراث الأدبي واللغوي و ربطه بكل ما هو جديد مجال البحث اللغوي.

ما اتخذته أساسا لهذا النموذج هو نص لسيبويه[١] ذكره ابن جني[٢] في كتاب الخصائص،

والنص هو:(وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها،وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سيرعليه ليل،وهم يريدون:ليل طويل.وكان هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها،وذلك أن تحس في كلام القائل من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله طويل أو نحو ذلك.وأنت تحس هذا من نفسك إذا ما تأملته،وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول:كان والله رجلا،فتزيد في قوة اللفظ (الله) هذه الكلمة وتتمكن من تمطيط اللام و إطالة الصوت بها وعليها.أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك...[٣]

فسيبويه يتحدث عن أسلوب التقديم و التأخير وما يعطيه من جرس موسيقي للكلمات يجعل النفس الإنسانية تشعر به، وهذا النص يساعدنا على وضع الأسس التي اعتمد عليها القدماء في تنغيمهم للكلام، وإعطاء نغمة الجملة المعنى العاطفي المراد، فنجد في النص ثلاثة أسس رئيسية للتنغيم و هي:

١ - طريقة ترتيب الكلام.

٢ - النبر أو الضغط

٣ - أحرف اللين

ففي قولنا "سير عليه ليـ يـ يل" نلاحظ أن نائب الفاعل تم تأخيره عن فعله، و فصل بينهما بجار و

مجرور، وهذا ما يجعلنا نستطيع أن نمد و نطيل في كلمة "لي ي يل" للدلالة على الصفة المحذوفة و المقصد المراد و هو ليل طويل جدا. والمعروف في العربية أننا نعتمد في أغلب الأحيان على حروف اللين عند إطالة الصوت و تنغيمه.

يقول د.إبراهيم أنيس في"الأصوات اللغوية":

"فلطول الصوت أهمية خاصة في النطق باللغة نطقا صحيحا، و إن المران السمعي يكفي عادة في ضبط هذا الطول دون حاجة إلى المقاييس الآلية. أما العوامل المكتسبة التي تؤثر في طول الصوت اللغوي فأهمها النبر، و نغمة الكلام، و ربما كان لنحو اللغة أثر أيضا في طول الصوت أحيانا" [٤]

والمرء حين ينطق بلغته يميل إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة ليجعله بارزا في السمع عن غيره من مقاطع الكلمة. وهذا الضغط نسميه النبر. [٥]

مثال آخر هو الوقف على كلمة نستعين في قوله تعالى:"إياك نعبد و إياك نستعين" [٦]، أو على المستقر في قوله تعالى:"إلى ربك يومئذ المستقر" [٧]، ففي تأخير الفعل نستعين بمد الياء و إطلاق النبر في مقطع (عين) والوقوف على النون نستطيع أن نقدر الكلام المحذوف و هو(نستعين عونا كبيرا واسعا)، فلو كان الكلام (نستعين بالله) لما أخذ ذلك الأثر النفسي و المعنوي للسامع و القارئ الذي يوجد في التعبير القرآني. وكذلك في كلمة مستقر و الوقوف عليه دلالة على كون المستقر إلى رب العالمين هو الأخير والنهائي.

وفي قول ابن جني بيان للمعنى المحذوف، ولوكان الكلام: سير ليل عليه، لما دل تلك الدلالة المعنوية و النفسية، بمعنى ليل طويل. كذلك كان المعنى: نستعين بك عونا كبيرا.

والمثال الثاني في النص هو: كان والله رجلا، وهذا المثال يأتي به أبن جني و يفصل بين الفعل الناقص (كان) وبين جبره بالجملة الاعتراضية وهي جملة القسم (والله)، ونسطيع من خلال تمطيط لفظ الجلالة و تفخيمه مع لفظ النبر بقوة في نهاية (رجلا) أن نستنتج بأنه كان رجلا فاضلا كريما.

فليس النبر وحده يعطينا نغمة الكلام، ولكنه فرع من عدة أشياء تجتمع لإعطاء نغمة الكلام التاثير المراد، "فالمعروف أن بعض الأصوات و بعض التراكيب الصوتية ذات قوة تعبيرية عن المعنى وملائمة لهذا المعنى بوجه خاص . وهذا هو معنى رمزية الصوت". [٨]

ولنذكر آية أخرى تثبت ما ذكر من قول، ففي قوله تعالى: "و من يتق الله يجعل له مخرجا" [٩]. وهنا يتقدم الجار و المجرور على المفعول به، ومن خلال إظهار النبر على المقطع (جا) في لفظنا ومدنا للألف يعطينا

معنى جديدا، وهو (مخرجا عظيما أو كبيرا)، فلوكان الكلام: يجعل مخرجا له، لما أفاد المعنى نفسه الذي ورد في القرآن الكريم.

وفي مثال الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو بن العاص حيث سأله الرسول صلى الله عليه و سلم عن قوله لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت، فأخبره الرسول صلى الله عليه و سلم بأنه لا يستطيع ذلك، وأن أفضل الصيام هو صيام داود، فقال الرسول:" فصم يوما وافطر يوما، فذلك مثل صيام داود، وهو أفضل الصيام"[١٠]

ففي مدنا لكلمة الصيام و نهاية الكلام عليه دلالة واضحة على كونه أفضل أنواع الصيام، "و لا أفضل من ذلك". كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي مثال الشعر يمكن أن نذكر شعر الأعشى[١١]:

وصل على خير العشيات والضحى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا[١٢]

فاستخدم صيغة المثنى للمفرد استنادا إلى قول العرب: افعلا ذلك، والمخاطب واحد.وفي تمديدنا لكلمة (فاعبدا) دلالة على عبادة الله وحده لا شريك له.

هذه بعض الأمثلة من الكم الهائل من الأمثلة و الدلائل على وجود التنغيم و النبر في اللغة العربية.

أما إذا أتينا إلى اللغة الإنجليزية فقد اكتشف فيها التنغيم في الأربعينيات كما ذكر، وهناك تعاريف عديدة ذكرت إحداها سابقا والآخر هو:

Intonation is a melody or music of a language. It refers to the way the voice rises and falls as we speak.

فعندما نقول:

It’s raining, isn’t it?

فإننا نخبر عن نزول المطر إذا استجدمنا أسلوب الإخبار.ويمكن أن نستخدم نفس الكلمات في سؤالنا عن المطر إن كان نازلا أم لا، ولكن نستخدم أسلوب الاستفهام.فهنا تختلف نبرة الكلام تماما و ذلك ما يسمى في اللغة الإنجليزية بـ Intonation وله في الإنجليزية أربعة أنواع:

١- Falling tone

٢- The low rising tone

The high rising tone -٣

The fall rise tone -٤

فالأول هو التنغيم المنخفض الذي يستخدم كثيرا و يدل على تمام الكلام، وخاصة أثناء المحادثة حيث يستطيع السامع أن يعرف متى يبدأ في الكلام.

والثاني المنخفض العالي الذي يبدأ منخفضا ثم يرتفع، و يستخدم في السؤال عن المجهول.

والثالث التنغيم العالي المرتفع الذي يبدأ عاليا و يرتفع تدريجيا، وذلك في موقف عاطفي مثل التعجب أو الاستنكار.

والرابع هو التنغيم المنخفض المتميز والذي تظهر فيه الموسيقى بشكل واضح.

الأمثلة:

I'm flying to Riyadh tomorrow.
Flying to Riyadh? (repetition)

I'm taking up Taxidermy this autumn.
Taking up what? (clarification)

He passed his driving test.
He passed? (disbelief)

وهكذا نرى أوجه التشابه و الاختلاف في التنغيم بين اللغتين، ويهمنا هنا أن نثبت العلاقة بين تراثنا القويم وبين العلوم اللغوية الحديثة، والكشف عن الجوانب الأخرى المتعددة لهذا التراث، وما ذكرته عن ظاهرة التنغيم ليس إلا نموذج واحد من بين آلاف الظواهر تحتاج إلى إعادة النظر والربط بينها وبين الحداثة وإظهار التنوع والاختلاف.

**الخاتمة:**

وبذلك نرى أن التنغيم سمة لغوية موجودة و مستعملة بشكل واسع في اللغتين على مسار ونطاق واسع؛

لكن لأغراض مختلفة، و هو بحث يمكن أن يمتد إلى عشرات الصفحات، وعلينا بالدراسة المتعمقة لشروط ومواقع وقوانين وضوابط التنغيم في اللغتين و مقارنتها وذلك لتطوير المهارة اللغوية و الشعور بالانتماء إلى أفضل تراث أدبي و لغوي مع استقبال كل جديد و مفيد واعتراف بقيمة العلوم الأدبية الأخرى والارتباط و التواصل بها. وعلينا أن ندرك أن الجانب الإبداعي مهم جدا في دراسة النصوص، وعلينا أن تذوق هذه النصوص بالاستعانة بألفاظ القرآن و مفرداته و تراثنا القويم مع ضرورة ربطه بالحداثة و التجديد للتواصل بين الأمم و المساعدة في تكوين عالم يتمتع بالأمن والسلام.

## المراجع والحواشي

[١] سيبويه: (توفي ٧٩٦)، أبو بشر عمرو بن عثمان، ولد في البيضاء قرب شيراز و توفي بها. إمام مذهب البصريين.صاحب الكتاب المعروف في النحو (الكتاب)

[٢] ابن جني: (٩٤٢– ١٠٠٢)، عثمان، ولد في الموصل، وتوفي في بغداد، نحوي بصري، له (سر صناعة الإعراب)، و (الخصائص) وكتب أخرى

[٣] الخصائص ٢٧٠/٢

[٤] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، دار العلوم جامعة القاهرة، ١٩٦١م، ص ١٠٥

[٥] المصدر السابق. ص ١٠٨

[٦] سورة الفاتحة: الآية ٥

[٧] سورة القيامة: الآية ١٢

[٨] ستيفن أولمال، دور الكلمة في اللغة، ترجمة:كمال محمد بشر، ص٩٢

[٩] سورة الطلاق.الآية

[١٠] متفق عليه

[١١] الأعشى: ميمون بن قيس.توفي (٦٢٩)، شاعر جاهلي أدرك الإسلام،ولد في اليمامة.يعرف بالأعشى الأكبر. يلقب بصناجة العرب، لمتانة شعره و موسيقاه.أشهر قصائده اللامية

[١٢] ديوان الأعشى. ص ١٨٧. نقلا عن فقه اللغة وسر العربية، لأبي منصور الثعالبي.

# محمد إقبال بين الشعر والتجديد

## MUHAMMAD IQBAL BETWEEN POETRY AND RENEWAL

د.فيضان الله الفاروقي *

**ABSTRACT**:

Allamah Iqbal (1873-1938) was one of the great Indian poets of Urdu and Persian who excelled in their field. They created what the others could not and on this very distinction they were celebrated by the readers and the writers as well. Iqbal was celebrated by the readers of India, Pakistan, Europe and even by the Arab world.

The fame Iqbal gained among the Arab readers and thinkers its credit goes to the great Indian scholar of his time Allamah Abul Hasan Ali Nadwi who translated first his verses from Urdu and Persian into Arabic in his famous book 'Rawai Iqbal'. This is the book which raised name and fame of Iqbal high to the sky. Several thesises were written on him.

Allamah Iqbal used his poetry for the best cause of Islam. He propagated Islam and Islamic teachings among his readers. His all poetic creations are full of this message. It is clear from the study of his verses that he was not of the poets who vasted their time and intellect for nothing. He utilized his intellect and ability for the best cause-preaching Islam and Islamic teachings among its readers. The following article will shed light on this central theme.

**KEYWORDS:** Allamah Iqbal, Poetic, Creations, India, Pakistan

**الكلمات المفتاحية**: العلامة إقبال ، الشعري ، إبداعات ، الهند ، باكستان

**الملخص**

العلامة محمد إقبال (١٨٧٣–١٩٣٨م) من شعراء الأردوية والفارسية الهنود الذين قد أبدعوا في مجالهم وجدّدوا ما وطأته أقدامهم وجاءوا بما عجز عنه الآخرون غيرهم. إن إقبال كان شاعرًا كبيرًا للأردوية والفارسية ومع ذلك فقد برع في الدراسات الإسلامية. من القرآن والحديث والفلسفة والتصوف وما شابهها. إنه فاق أقرانه في مجال الشعر حتى بشّر به العلامة شبلي لما رآه في مؤتمر بأنه سيبعث شاعرًا

* أستاذ، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي

تبلغ درجته ما قد بلغها أسد الله خان غالب الشاعر الأردوي والفارسي.

صدق ما تنبأ العلامة شبلي فنشأ محمد إقبال شاعرًا فلسفيًا وماهرًا في الدراسات الإسلامية ومفكرًا في القرآن والحديث، ولنا شواهد ودلائل على ما نقول في أبياته ومنظوماته وقصائده وحتى في غزلياته. لقد وجّه إقبال الشعر وجهة أخرى فاستخدمه لتبليغ رسالة الإسلام ولتوعية الجيل المسلم الناشئ. إنه ملأ شعره بعواطف الإسلام الجياشة وبتعاليم وإرشادات الإسلامية الأصلية. وكل من يقرأ أبياته يجد ما قلنا حيًا ثابتًا.

وعلى هذه الحقيقة فقد رغب العرب والمسلمون في ترجمة شعره الأردوي والفارسي إلى العربية ويرجع الفضل في ذلك إلى الشيخ العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي الذي ألّف كتابه البديع "روائع إقبال" الذي ترجم فيه أبياته الأردوية والفارسية إلى العربية. ومن ثم تحرّكالآخرون فظهر طوفان عظيم لترجمة أبياته الأردوية والفارسية إلى العربية فنجد "بال جبريل" في صورة "جناح جبريل" ومجموعة قصائده ومنظوماته الأخرى.

والمقالة التالية ستلقي الضوء على دور محمد إقبال في تجديد الشعر واستخدامه لهدف سامٍ ألا وهو تبليغ رسالة الإسلام.

### مدخل في الموضوع:

وددت قبل دراسة شاعر فلسفي ومجدّد عبقري أن أعرض عليكم أيها السادة! حقيقة مستساغة من الناحية الدينية ولو لم تكن غير مأمونة العواقب من الناحية الفكرية الحرة. ذلك أن القرآن الكريم ليس كتابًا فلسفيًا ولا تخضع له النظريات الفلسفية من أخذ وردّ كما أنه ليس كتابًا علميًا يبحث في العلوم العقلية ويحلّل نظريات العلم ولكنه يطرح القضايا الكلية ويجعل منها منطلقًا للبحث والتقصّي. إنه يحث العقل البشري على التأمل والخوض في آيات الله جلّ مجده ليستنتج منها ما ينفعه ويسعده. إن الحياة البشرية تمتاز بعضها من بعض على مقدار حظ العقل من العلم ونصيب الوجدان من مرهفات الحس. فإن البوارق الفكرية واللوامح الذهنية والخوالج الحسية الصافية المتدفقة والبراعة التامة البالغة في الإبلا غ والتفهيم، هذه هي الجواهر الأصلية في الإنسان، التي تمنحه أسباب تفوَقه وعلى أساس ما نتج له من ثمار التحقيق العلمي يكون موضعه بين ثمار العقول بعد وضعه في موازين النقد والفك. هذا بوجه شامل، أما إذا كان النطاق العلمي والثمار الفكري يتعلق بالمحاولات التجديدية في الدين، فنشترط فوق ذلك إخلاص النية في إبلا غ الرسالة والإطاعة الكاملة للسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام. ولو انسلَت هذه الشرائط التالية عسى أن لا يكون صاحب ذلك الأدب التجديدي موضع ثقة عند عباد

الله الصالحين ولو صاد الكون عقلًا وقاد القوم علمًا– يجدر بنا أن لا ننسى هذه الكلمات في دراسة فكرة محمد إقبال من ناحية الرد والقبول.

**إقبال شاعر متميّز:**

امتاز محمد إقبال الشاعر الكبير والفيلسوف العظيم بين شعراء عصره شرقًا وغربًا بأنه أخضع شاعريته القوية وقوته الأدبية وعبقريته الفنية لرسالة الإسلام. إنه كان صاحب رسالة إسلامية متدفقة بالحياة والطموح والحماسة. استخدم الشعر كوسيلة لرسالته لتكون أسرع وصولًا إلى الأذهان فيوقظ غافلًا وينبّه ذاهلًا ويعلّم جاهلًا ويكرّم عاقلًا ويشجّع فاشلًا ويهيّج خاملًا ويحرّك جامدًا ويحيي قلوبًا ميتة ويملأ الفؤاد حماسة، حماسة دينية. لا يسع هذا المقال الوجيز حتى إحاطة شطر من ابتكاراته الفنية وأفكاره البديعة الرائعة فضلًا عن أن يحيط بآفاق فكرته كافة – ولماذا؟ ونحن في خضم البحث عن محاولاته التجديدية. ولنبحث عن وقعة شعره وأثره على المجتمع الإسلامي وضرورة استخدام شعره عمليًا في حياتنا اليومية، في مقال آخر إن شاء الله.

**وضع العالم الإسلامي في عصر إقبال:**

كان العالم الاسلامي في قارة آسيا في عصر إقبال (١٨٧٣–١٩٣٨م) يواجه التيار الحضاري الأوروبي الثائر على القيم الروحية، المجتاح للمبادئ الخلقية، المعاند للسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام. أما داخل الهند فكان الإسلام رغم جهود العلماء المخلصين وزعماء المسلمين الصالحين، قد عمل به الاحتلال البريطاني وسلطتها السياسية عملها في إغماض العيون وتكبيل العقول وعقل الإرادات وعقد الألسنة وهذا بالنسبة للمواطنين كافة. أما المسلمون فكان يعتبرهم الإنجليز من أشد أعدائهم دينًا وثقافة وسياسة وبما أنهم سلبوا الحكم والسلطان منهم فقد كانت الضغطة عليهم أشد قهرًا وأفجع قسرًا. فالاحتلال البريطاني حاول جهده لامتصاص كل خيرات الأمة المسلمة وسجن أروع حضاراته وتعويق أعظم ما كان عندها من القيم الروحية والثقافية. وازداد الطين بلة بشيوع فلسفة وحدة الوجود المؤدية إلى تضعيف الهمم ووهن العزائم وكذا إلى الخمول والجمود والابتكار عن الكرامة البشرية بواسطة الفناء والإيمان بالجبر. وإلى جنب ذلك قد أبدع المتصوفون طرقًا في الدين نكرتها الشريعة النبوية الصحيحة الخالصة ولم يعرفها القرآن الكريم إطلاقًا – واتخذ هؤلاء الصوفية لهم زوايا تنشر عقائدهم الفاسدة بين المسلمين. أما المدارس الدينية التي لا تزال تعتبر ملاذًا قويًا وحصنًا حصينًا للتعاليم الدينية والثقافة الإسلامية، فمعظمها كانت تهتم فقط بالدراسات الجامدة البالية وتعليم ما رثّ من العلوم العقلية التقليدية براءة منها لأداء الواجب، لا فيها شعلة حياة ولا نبضات كرامة دينية وحرارة الحب إلى حرية

الفكر والعمل ولهوف الوجدان. كانت المدارس الدينية على وصف ما قال الأستاذ الكبير أبو الحسن علي الندوي في المدنية الحديثة:

"لم تحسن توجيه القلوب والوجدان وإشعالها بحرارة الإيمان وحياة الوجدان فأصبح العالم العصري أشبه بجماد متحرك دائريًا لا حياة فيه ولا روح ولا قلب له ولا شعور ولا ألم عنده ولا أمل" (روائع إقبال)

تنشأ تلك المدارس جيلًا غير متوازن القوى قويم الخلق قوي العزم مرهف الفكر ملتهب الشعور والوجدان. فما ذا يعمل شباب هذا الجيل السقيم المشرف على ضياع تشخصه المستكان في نضال الحياة. فالمدارس كانت تتخبط في ظلمات بعضها فوق بعض.

**دور إقبال في هذه الأوضاع:**

كانت هذه هي الأوضاع السياسية والدينية الثقافية في عصر عاش فيه محمد إقبال— طبعًا إنه كان، بحكم شعوره المرهف وإخلاصه بالدين، شديد الألم على ما تقاسي الأمة المسلمة آنذاك من الشقاوة والانهيار الفكري والرضا بالهون والذل. لقد أقضّ هذا الوضع المخزي مضجعه. ففكّر وقدّر ثم قدّر وفكّر ولم يزل يكرّر هذا العمل ليعرف داء الأمة فردًا وجماعة ثم يصف لها وصفة. ولم يغادر منهلًا علميًا ولا منبعًا فكريًا سواء كان قديمًا أم جديدًا، شرقيًا أم غربيًا حتى ارتوى منه واعتنى خاصة بالقرآن الكريم في أسفاره الفكرية، كما إنه اجتنى كثيرًا من أزهار روضة "المثنوي المعنوي" للمولانا روم حتى تفَتح طيبًا وعطرًا. وشرح الله تعالى صدره بوصف دواء ومعرفة داء الأمة. وأنطقه ببعض الحكم والحقائق التي نعتبرها الآن من محاولاته التجديدية والتي جعلها محمد إقبال نفسه مقصدًا وحيدًا لحياته كأنه خلق لنشر هذه الرسالة. يقول في رسالة إلى صديق له:"إني قد نظمت مثنوي "أسرار خودي" (أسرار معرفة الذات) و"رموز خودي" (غوامض السكر) لهدف منشود. إني أميل طبعًا إلى السكر وعالم الوجدان. ولكن، بالله الذي بيده حياتي ومالي وعرضي، ما نظمتهما من عندي ولكني كنت مأمورًا به. وإني لحيران في هذا الأمر لماذا انتخبت لهذا العمل الجليل ولنظم هذه المعاني والحقائق الغامضة الدقيقة. لا أزال اعتقد أنه كان دَينًا عليّ أدّيته ولعلي خلقت لمجرد هذا العمل. (ثم يقول في نفس الرسالة) هذه البذرة التي ذرعها إقبال في أرض ميتة لتنمو وأيم الله وتثمر على رغم جهودها ومخالفتها لقد أضمن لي حياتها وبقائها وازدهارها والحمد لله" (رسالة إقبال إلى مهاراج كشن براشاد في ١٤/ أبريل ١٩١٦م)

**هدف محمد إقبال:**

هذا هو الذي جعله شاعرنا مقصد حياته ووجد فيه شفاء الأمة الإسلامية ولم يكن هذا العمل الجليل وليدة عشية أو ضحاها بل استغرق فترة عشرين عامًا في الوصول إلى هذه النتيجة كما صرح به محمد إقبال نفسه في رسالة له. أما جهة رسالته وغايته فيلقي عليهما الضوء ما قال الدكتور في محاضرته الرابعة:"على الأمة المسلمة مسؤولية كبرى يجب عليها أداؤها. وهي إعادة النظر في النظام الإسلامي بدون أن نقطع صلتنا بالماضي".وما هي المحاولة التجديدية أو رسالته إلى الأمة المسلمة بل إلى العالم كافة. عرفها الدكتور باسم وجيز "خودي" أي "الأنانية" وفي أوسع معناها معرفة الذات أو النفس، هذه هي النقطة المركزية والركن الأساسي لفكرة محمد إقبال وكل ما أنتج شاعرنا يدور حول هذا الركن الأساسي بألوان رائعة متنوعة.

لست أريد أن ألقي ضوءًا على جمال فنه وروعة أسلوبه وابتكار معانيه العالية وسموّ فكرته وأبعاد آفاقه الشعرية اللهم إلا أنه جعل الشعر وسيلة لإبلاغ رسالته الخالدة الحية المنيرة الحافلة بالحماسة الدينية حين تكاثف الظلام البهيم وكبت الأقلام وجمدت القرائح وخمدت المشاعر والهمم وتناسى الكثير ضعفهم وظن فريق منهم أنه على الحق تستقيم خطواته وبالحق تهتف كلماته ولو كانوا في ضلال مبين.

**دراسة شاملة لشعر إقبال:**

عشتُ مع إقبال برهة من الزمن في إعداد هذا المقال وتعمقتُ حسبما وفقتُ فيما نتج له من ثمار الفكر لا سيما في اللغة الفارسية فوجدته على ذروة فكرته من ناحية الاجتهاد أو التجديد في "أسرار خودي" و"رموز بى خودي" مثنويان لمحمد إقبال باللغة الفارسية فرغ من نظم الأول عام ١٩١٤م، وعقبه الثاني حتى أتمّه عام ١٩١٨م. وله عدة مجموعات أخرى باللغة الفارسية والأردوية.

ملخص ما أفاد محمد إقبال في "أسرار خودي" و"رموز بى خودي" أن القدرة المطلقة (جلّ شأنه) أودعت كل بشر صلاحية غير متناهية الحدود للفكر والتدبر والخوض والتأمل كما أنها أودعت الجبلة البشرية الجهد والسعي في العمل. تطلب منا القدرة المطلقة أن نستخدم تلك المواهب الفطرية ونرقيها ونربيها. وإنما يشكل لفرد أنانيته الذاتية المنفردة بالبقاء حسب رقي تلك المواهب في انسجام وتوازن وتناسق مطلوب. أما الأنانية وبكلمة الشاعر "خودي" فهي تنقسم إلى قسمين: الأولى أنانية المخلوق وهي محبوسة بين حصار الممكنات الكونية، والثانية أنانية الخالق وهي غير متناهية. لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وإنها وسعت كل شيء عملًا. وهذا الكون العظيم بكل ما فيه من الطبيعة وما بعدها مظهر تلك الأنانية المطلقة لولاها لما حدث العالم ومظاهره. أما هدف الحياة البشرية فهو أحكام الأنانية متفردة على حدة، لكل فرد أنانيته الذاتية، ثم ترقيها حسب التوفيق. ولا يجدر لأحد أن يتكأ

على نصيبه المقدر له من قبل في سبيل تشكيل أنانيته وما يشاء. ولا يستقر عمل الترقية والصعود إلى حد بل إنه جارٍ غير ثابت حتى بعد الموت. والفرد حرّ في إرادته لا جبر عليه، مستقل في ذاته بحكم الآية الكريمة "لا تزر وازرة وزر أخرى" أي لكل وازر وزره، وهو خليفة الله في الأرض واجتباه ربه "ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى" و"إني جاعل في الأرض خليفة" و"وهو الذي جعلكم خلائف الأرض" وفوق كل ذلك الإنسان حمل الخلاقة والأمانة من إرادته واختياره لم يكن هناك جبر "إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان" بناء على استقلاله الذاتي والإرادي إنه مأجور على ما عمل هو بنفسه ولا ينفعه ما عمل غيره وبالعكس حسب الآية الكريمة "ليس للإنسان إلا ما سعى" ثم عمل السعي لا يقف عنده مكانًا وزمانًا. ولا تجعله الأنانية المطلقة عرضة للضياع شوقًا منها فيه بل للفرد أي الأنانية المحدودة حرية القول والعمل "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" (أنظر للتفاصيل محاضرة محمد إقبال الرابعة). وإذا نضجت هذه الأنانية الذاتية وتكاملت لفرد، إنه أدّى حق الحياة وأوفى غاية تخليقه. ومعنى تكامل الأنانية الذاتية هو الاتصال الكامل بالأنانية المطلقة لا في معنى الفناء كما تزعم به الفلسفة الوجودية بل مع الحفاظ على تفرده الذاتي. وإذا حصل لها هذا المعنى سهل عليها تسخير الكون وحتى تسخير الأنانية المطلقة بمعنى أنها تميل إلى الأنانية المحدودة. كما قال جلّ مجده "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى" و"يد الله فوق أيديهم" هذا هو مفهوم التسخير التام والاتصال بالأنانية المطلقة الذي هو مقصد الحياة البشرية.

أما السؤال، كيف يحقق هذا الغرض النبيل وماذا يجب على الفرد أن يعمله لتحقيق الغرض المنشود؟ سؤال هامّ وأيم الله. أجاب شاعرنا على هذا السؤال بأنه ممكن التحقيق بخلق المقاصد والطموح في الحياة الباطنية والخارجية. ثم يقترح الشاعر المجدد بالحركة والعمل والحنين إلى التمنيات والشوق البالغ في رفع مستوى الأنانية الذاتية عن طريق الحب والشعور والعاطفة والوجدان لا عن طريق العقل والفكرة الجافين المحدودين. يقول:

| ما ز تخليق مقاصـــــــد زنده ايم | از شعـــــــــــــاع آرزو تابنده ايم |
|---|---|
| زنده را نفى تمنا مرده كـــــــــــرد | شعله را نقصان سوز أفسرده كرد |

تعريب: تتدفق فينا الحياة بواسطة الطموح والنشاط، ونستنير بنور التمنيات ولمعها، من يئس من الطموح لقد مات ولو كان حيًا في أعين الناس فإنه كمثل شعلة خسرت حراقتها فخمدت (أسرار خودي)

يعتقد الفيلسوف أن الحياة هي حركة وتغيّر كلها فكل مظاهر الحياة تقتضي الحركة والتغير واستنبط به

في محاضرة له (المحاضرة السادسة لمحمد إقبال) على ضرورة الاجتهاد في الدين في كل عصر إذا اقتضت به الضرورة. ولا يرى أن الاجتهاد في الإلهيات الإسلامية والشريعة النبوية، قد انغلق بابه. أما الحصول على هذا الحب وذلك الحنين في سبيل تخليق المقاصد في الحياة يجب على الفرد من أجله أن يتخلق بخلق من تكاملت له أنانيته الذاتية وها هو الإنسان الكامل في شعر محمد إقبال ويمثله في أروع صوره وأكمل صفاته شخصية محمد رسول الله ﷺ يقول:

| در دل مسلم مقام مصطفى ست | آبروئ ما ز نام مصطفـــى ست |
|---|---|
| روز محشر اعتبـــــــار ما ست او | در جهان هم پرده دار ماست او |

تعريب: يكنّ المسلم حبّ محمد ﷺ بين جنبيه حبًا لاهوتيًا وله مكانة عظمى في صميم كل مسلم والحق أننا نعتز باسمه ﷺ، وعليه الاعتماد يوم الحشر (أسرار خودي).

وأيضًا يقول:

| توهم از بار فرائض سر متاب | برخورى از عنده حسن المآب |
|---|---|

تعريب: لا يثقل عليك التكاليف الشرعية فإذا فعلت ذلك سوف يكون لك الحظ والنصيب من الآية الكريمة "عنده حسن المآب".

كما زعم إقبال أن هناك ثلاث مراحل في سبيل تكامل الأنانية:

المرحلة الأولى: هي الإطاعة والخضوع الكامل للسنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام يقول:

| شكوه سنج سختئ آئيں مشو | از حدود مصطفى بيروں مشو |
|---|---|

تعريب: لا تشكو حدود الله والتكاليف الدينية، ولا تتجاوز عما جاء به محمد ﷺ أي سنته.

والمرحلة الثانية: هو الإمساك عن الهوى النفسانية والقدرة التامة على الصبر ومخالفة النفس. وإذا اجتاز المرء عن هاتين المرحلتين، فاز بالمرحلة الثالثة وهي نيابة الله تعالى وخلافته في الكون فإن حصلت له هذه الملكات يخضع له الكون بكل ما فيه من خفايا وظواهر ومظاهر الطبيعة وما بعدها وإنما خلق الله العالم ليسخر الإنسان عن طريق تكميل أنانيته قال تعالى: "وسخر لكم ما في الأرض جيمعًا" ويرى الشاعر أن مظاهر الحياة كلها مرهونة للأنانية لولاها لما كانت الأجرام والأجساد تتدفق بالحياة. يقول:

| پيكر هستى ز آثار خودى ست | هرچه من بينى ز أسرار خودى ست |
|---|---|

تعريب: كل ما ترى من الأشياء والمادة وجودها مرهونة للأنانية (أي فلسفة معرفة الذات أو معرفة الذات مجرد تسبّب للوجود)

وفي نظر إقبال هناك صفات تحكم الأنانية وأخرى توهنها، أما من الخصائل النافعة المحكمة فمنها الحب والفقر أي الغنى عن السؤال والصبر والشجاعة وكسب الحلال والحركة الدائمة إلى خلق العالم الذاتي في العالم المادي وذلك لأن الشاعر يعتقد أن عمل الخلق والإبداع جارٍ غير ثابت وهذا هو مفهوم الآية الكريمة "كل يوم هو في شأن" فإن فازت أنانية الفرد بمرتبة نيابة الله في الكون عليها أن يمثل صاحبه وإذا جمدت خمدت ولو كانت حية في أعين الناس وهذه الأنانية الفردية لا تنضم إلى الأنانية المطلقة في مرتبة النيابة ولا تنجذب فيها يقول:

| به بحرش گم شدن انجام ما نیست | اگر او را تو در گیـــری فنا نیست |
|---|---|

تعريب: ليست نهاية الأنانية أن تفني استقلالها الذاتي باتصالها بالأنانية المطلقة فإن اتصلت أنانية الفرد بها أي عرفت نفسها فعرفت ربها ولا يكون هذا الانضام والاتصال فناء الذات أو أنانية الفرد (أسرار خودي)

نعم يقول:

| حرف "إني جاعل" تقـــــــــــدير أو | از زمين وآسمـــــــــان تفسير او |
|---|---|
| مرگ وقبر حشر ونشر احوال اوست | نور ونار آن جهاں اعمال اوست |
| از وجودش اعتبــــــــــــار ممكنات | اعتدال او عيـــــــــــار ممكنات |
| آنچه در آدم بگنجـــــــد عالم ست | آنچه در عالم نگنجد آدم ست<br>(جاويد نامه) |

أما من الأخلاق الموهنة فمنها الخوف والسؤال والعبودية والفخر بالنسب والرهبانية يقول:

| زهد وتقوى چيست اے مرد فقير | لا طمع بودن ز سلطان وأميـــر |
|---|---|
| گر بدست آيد تراگنج ونقـــــود | ورنه داری همت عالی چه سود<br>(أسرار خودي) |

تعريب: يصف الشاعر الأنانية قائلًا: يكرم الله تعالى شأنه الأنانية باستخلافها في الأرض "إني جاعل

في الأرض خليفة" وكل ما ترى بين السماء والأرض فليس ذلك إلا تفسيرها– الموت والحشر والنشر كلها من أحوالها وكوائفها فهي لا تزال حية يطرأ عليها هذه الأحوال كما أنها تجزى بالنار أو النور أي الجنة أو جهنم في العالم الباقي لولاها لما كانت للمسكنات ثقة وقيمة — اعتدالها عيار الممكنات فان انحرفت عن الاعتدال فسد نظام الكون. والذي يسع هذا الكون العظيم هو الإنسان بواسطة إكمال الأنانية والذي لا يستطيع الكون مع كل وسعته وفسحته أن يسمعه فهو الإنسان. ملخص القول العالم محيط بالآدم ولا يستطيع العالم أن يحيط به. (مقتبس من جاويد نامه)وله غير ذلك من العقائد الفلسفية المتعلقة بالدين كما أنه يزعم أن الجنة وجهنم هما حالتان وليستا من الأماكن أما جهنم فهي حالة تحقيق خسران الفرد ونارها تصل إلى القلب وها هي نار شعور اليأس والحرمان واستنبط بقوله تعالى شأنه "نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة" وكذا الجنة هي مشاهدة المرء بفوزه وأنه يؤكد كل تأكيد ويجهر به جهرًا إن الاجتهاد في مبادئ أصول الدين والشريعة ضرورية في كل عصر وتحدث عن التصوف فانتقد نقدًا مرًّا على بعض رجاله المعاصرين والمتقدمين والحقيقة أنه لا ينكر التصوف الإسلامي القرآني بل يندّد على ما زادوا عليه من بدعات وخرافات وتطرف بعضهم في ترك الدنيا.

**مدى تحقيق آماله والسبيل إليه:**

لا شك أن محمد إقبال شاعر عبقري، شاعر الطموح والحب والإيمان. إنه أحدث هزة في الأفكار والآداب في معظم البلاد الإسلامية وأوسعها ويتجاوز تأثيره إلى أقطار بعيدة ويسمع له صدى عبر العالم الإسلامي، وصدق في وصف شعره الشيخ الكبير السيد أبو الحسن علي الندوي:

"هذا الشعر تهتز له المشاعر وتتوتر له الأعصاب ويجيش له القلب وتثور له النفس حتى تكاد تحطم السلاسل وتفك الأغلال وتتمرد على المجتمع الفاسد وتصطدم بالأوضاع الجائرة وتستخف بالقوة الهائلة".هذا صحيح ولا شك ولكن كما ذكر الدكتور عابد حسين في شعر محمد إقبال:

"والحق أن شاعرًا من أشعر شعراء العالم لا يستطيع فوق ذلك أن ينفخ روح الحياة في جسد ميت ولكن لا يرجى من أمثال هؤلاء الشعراء الكبار قيادة أمة أحياها من شعره في مختلف ميادين الحياة المعقدة" (هندوستاني مسلمان آئينۂ أيام ميں)

اعتقد أن الناس عكفوا على شعر إقبال وأعجبهم روعته وابتكاره وتناول بعضهم فلسفته وحلّله تحليلًا نقديًا ولكن فلسفته الجديدة أو رسالته التجديدية قد اختفت وراء روعة الفن وسحر الكلام والآن لا نجد أحدًا فهم الإسلام أو نال سعادة مرجوّة عملًا بما جاء به إقبال من رسالته التجديدة اللهم إلا امتلأ صدره حرارة وحماسة، أما الشاعر نفسه فهو فاق الناس جميعًا من ناحية حبه وإخلاصه للغاية وهي نشر

رسالته وإنما يتفاضل الجميع بقوة الحب والإخلاص لغايتهم— إذا فاق أحدهم الآخر فإنما يفوقه الإخلاص لأن الغاية أو الموضوع حلّ في قرارة نفسه وسرى منه مسرى الروح وملك عليه فكره وقلبه وقهر شهواته فشاعرنا عكف على إظهار ما جاش به صدره عكوفًا صرفه عن الجمع بين القول والفعل، والظاهر والباطن — ومن شأن المجدد الرباني أن يفعل أكثر من أن يقول، ويعمل أولًا بما يبلّغه.

**خاتمة البحث:**

وكما هو المعلوم أنّ هناك عدة جهات لفكرة محمد إقبال فله نظريات في السياسة والاجتهاد تتجلى معظمها في محاضراته التي ألقاها في مختلف المدن— أما ما يتعلق بالمحاولات التجديدية في الدين فنجدها أيضًا بالصراحة والوضوح الكامل في محاضراته أو رسالاته إلى معاصريه وأما شعره فلا نجزم بالقول أن هذا الشعر عقيدته لمجال التوسع في الشعر فكثيرًا ما يهزّ الشعر أوتار القلوب لجماله الفني وإذا وجدنا ذلك المعنى في النثر ربما نرفضه أو نعترف بقيمته العقلية على الأكثر.

فإن تناول أدبَه أحدٌ من ناحية الفن والتوجيه الفني ويراجع المصادر النثرية له فإنه يجد لشدة دهشته أن هذا الأدب يتحول في نهاية المطاف إلى الفلسفة الفنية ولا يكتسب الدارس شيئًا من أمل مرجو بل يرجع بخفي حنين بعد هذا الجهد المكلّ والتعب المضني ويظل تائهًا في دنيا الآراء المتضاربة والنظريات الفلسفية الغامضة يخبط خبط عشواء دون أن يهتدي إلى الحق والصواب سبيلًا. فالحق، والحق أحق أن يقال، أن إقبال لم يوفق لتأسيس مدرسة مستقلة في الإلهيات الإسلامية، تقوم على ساقها وتتمسك بها جماعة للحصول على السعادة المرجوة فالضرورة تقتضي الآن أن لا نتناول فكرة إقبال من ناحية الفن والفلسفة فقط بل نحاول تحقيقه عمليًا وهذا التحقيق متعذر المنال كما اعتقد لو لم تكن هناك معاهد خاصة تعتني بتجسيد ما أوصى به إقبال من تثقيف الجيل المسلم الناشئ عمليًا يعرف قيمته ومكانته، لا تهتم بتحليل آرائه الشعرية والفلسفية فحسب.

واقترح على تلك المعاهد التي ستتولّى تجسيد فكرة إقبال عمليًا أن لا تضيع وقتها الثمين في طلب إنسان مثالي كامل لتتخذه دليلًا له بناء على أن دنيا العمل غير عالم الفكر والخيال وتستفيد بكل من يخضع للسنة النبوية وله إلمام تام بها فإن هذا الإنسان ولي من أولياء الله في عصرنا هذا، من تمسك به لقد تمسك بالدين وحقق له بعض ما ينويه إقبال ولو لم يفهم رسالة إقبال المغلقة ومن وقف عن العمل حتى يجد ذلك الإنسان الكامل فعلًا، الذي صوّره إقبال محلًّى بالصفات التي تتكامل بها الأنانية فإنه: أضاع العمر في طلب المحال.

# العلوم الثلاثة الازمة المتلازمة "التفسير والحديث والفقه"

## تاريخها والعلاقة بينها

## THE THREE MUTUALLY COMPLEMENTING ISLAMIC SCIENCES - TAFSIR, HADITH AND FIQH - THEIR RELATIONSHIP AND HISTORICAL OVERVIEW

د.سيف الله بوتو*

د.عبدالعزيز نهريو**

**ABSTRACT:**

*Tafsir (Quranic Exegesis), Hadith (Prophetic Traditions) and Fiqh (Islamic Jurisprudance) are main and inter-related branches of Islamic Sciences. This article shows how they are inter-related to each other and to which extent it is important for a scholar who wants to be expert in Islamic Sciences to learn these sciences. By looking at the creation and development process of these sciences it is clearly evident that these three branches are so closely inter-related to one another that if some scholar wants to specialise in any of these three he can not do it without mastering other two. We have adopted a simple methodology for the preparation of this article. We first of all have defined each of the above three branches literally and terminologically. Then showed the historical back ground of each. Then proved the co-relationship of these three branches of Islamic sciences and finally provided the list of reference books we have benefitted from for the preparation of this article.*

**KEYWORDS:** Tafsir, Fiqh, Sciences, Hadith, Co-relationship

**الكلمات المفتاحية**: التفسير , علوم ,الفقه ، الحديث , العلاقة

**مدخل**:

إن شريعة الإسلام نعمة عظيمة من نعم الله عز وجل, فلا نجاح للانسان والسعادة في الدنيا والآخرة الا بإتباع الشريعة واول مرحلة إتباعها هى طلب علمها التي اشار اليها الرسول عليه الصلوة والسلام بقوله طلب العلم فريضة على كل مسلم.[١] والمراد بالعلم العلم الشرعى المقصود بالذات ومداره على التفسير والحديث والفقه كما ذكره ابن حجر في الفتح.[٢]

* أستاذ مساعد ،شعبه علوم الاساسي ، جامعه قاعد عوام بي نظير آباد ، السند

** أستاذ مساعد ، سجل سرمست كلية الحكومية ، حيدرآباد ، السند

فهذه العلوم الثلاثة علوم اساسية تدار حولها بقية العلوم. وهي أمهات الفنون وما يتبعها فوسائل. وقد ذكر السيوطي اجماع العلماء على ان التفسير من فروض الكفايات واجل العلوم الثلاثة الشرعية فمراده من " العلوم الثلاثة الشرعية" هي علوم القرآن وعلوم الحديث وعلم الفقه كما صرح به المحشي.[٣] وكما ذكر ان هذه العلوم الثلاثة هي اشرف العلوم.[٤] و عد أحمد بن علي بن ثابت الرفاعي الحسيني هذه العلوم الثلاثة من "العلم الجامع الأتم".[٥] وقال علي القاري نقلا عن خواجه عبيد الله السمرقندي أن ثلاثة علوم علم التفسير والحديث والفقه هي خلاصة العلوم المتداولة.[٦]

وقال ابن الجوزي ان من تلبيس ابليس إشغاله جمهور أهل اللغة والأدب بعلوم النحو واللغة عن معرفة ما يلزمهم عرفانه من العبادات... و عن ما هوأفضل من علوم التفسير والحديث والفقه.[٧] وقال المناوي في شرح حديث *إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة قال مجالس العلم* " وقال غيره أراد العلوم الثلاثة التفسير والحديث والفقه".[٨] حتى حصر العلم الشرعي في هذه العلوم الثلاثة.[٩]

وعنى الأسيوطي ب"علماء الشرع" اهل التفسير والحديث والفقه.[١٠] فبهذه العلوم الثلاثة يعرف المسلم أمور دينه وينور أفكاره و يحفظ بها دينه ونفسه وعقله ونسله وماله الذي هو مقصود الشرع.

قال ابن حجر "والمراد بالعلم العلم الشرعي الذي يفيد ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته والعلم بالله وصفاته وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه".[١١]

نظرا لأهمية هذه العلوم الثلاثة اردنا ان نقدم مختصرا من تاريخها ونستكشف علاقة بعضها ببعض فبذلنا جهدنا حتى المقدور ان نجعله صحيحا و نافعا لنا و للقارئين فالسعي عن العبد والنتيجة والقبول عن المعبود الواحد الصمد.

اخترنا المنهج البسيط في هذا البحث وهو عرفنا اولا كلا من التفسير والحديث والفقه لغة و اصطلاحا ثم اوردنا مختصرا من تاريخ كل منها ثم ذكرنا العلاقة بين هذه العلوم الثلاثة واخيرا اوردنا المصادر والمراجع التي استفدنا منها في اعداد هذه المقالة.

**التفسير:**

**تعريفه:**

– التفسير لغة: هو تفعيل من الفسر وهو البيان والكشف ويقال انه قلب من السفر يقال أسفر الصبح إذا أضاء وقيل ايضا انه أخذ من التفسرة التي هي اسم لما يعرف به الطبيب المرض.[١٢]

و اصطلاحا: هو اسم لعلم يبحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع. ولا احتياج الى بيان المناسبة بين المعنيين الاصلي والمنقول اليه.[١٣]

**الحاجة الي التفسير:**

"واما بيان الحاجة إليه فلأن فهم القرآن العظيم المشتمل على الأحكام الشرعية التي هي مدار السعادة الأبدية وهو العروة الوثقى والصراط المستقيم أمر عسير لا يهتدي إليه إلا بتوفيق من اللطيف الخبير حتى أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم على علو كعبهم في الفصاحة وإستنارة بواطنهم بما أشرق عليها من مشكاة النبوة كانوا كثيرا ما يرجعون إليه بالسؤال عن أشياء لم يعرجوا عليها ولم تصل أفهامهم إليها.... ولا شك أنا محتاجون إلى ما كانوا محتاجين إليه وزيادة". [١٤]

**تاريخ التفسير الذي بدأ مع نزول الوحي:**

والتفسير هو أول العلوم الإسلامية التي ظهرت في بداية الاسلام، إذ قد ظهر التعمق فيه في زمن نبينا عليه الصلاة والسلام، اذ كان بعض الصحابه يسألونه عن مفاهيم بعض الآيات الخفية والمشكلة التي خفى عليهم مفهومها الحقيقي واشكل عليهم الادراك الصحيح كما سأله الخليفة الثاني العادل عمر بن الخطاب رض عن معنى الكلالة، وهو أيضا رأس العلوم الإسلامية و أشرفها بلا ريب.

والخبر عن تصنيفه ان عبد الملك بن جريج ( ٨٠ – ١٤٩ هـ) كان اول من قام باهتمامه فاورد في كتابه الروايات التفسيرية لآيات كثيرة المرويات عن أصحاب عبد الله ابن عباس مثل مجاهد و عطاء. وصنفت بعض التفاسير التي نسبت روايتها إلى عبد الله بن عباس، لكن تكلم أهل الفن فيها. منها "تفسير محمد بن السائب الكلبي" (ت ١٤٦ هـ) عن أبي صالح عن عبد الله بن عباس، وهي أوهى الروايات لان أبا صالح قد رمي بالكذب فإذا انضم إلي هذه الرواية رواية محمد بن مروان السدى عن الكلبي فتكون سلسلة الكذب، أريد بذلك ضد ما لقبه اهل الفن بسلسلة الذهب، وهي رواية مالك بن انس عن نافع مولى ابن عمر عن عبد الله بن عمر. [١٥]

فمن جملة هؤلاء من اختار فى التفسير نهجا آخر وهو بطريق ما ينقل و يُروى عن السلف , المعروف بالتفسير بالمأثور، فمالك ابن أنس كان أول من صنف في هذه الطريقة و محمد بن جرير الطبري في تفسيره المسمى بجامع البيان في تأويل القرآن وهو أشهر أهل هذه الطريقة فيما هو بأيدينا وكذلك الداودي تلميذ عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي في طبقات المفسرين.

ومنهم من اختار الطريقة النظرية كأبي علي الفارسي وأبي إسحاق الزجاج ، واشتغل كثير بنقل الروايات الإسرائيليات فى القصص ، فكثرت الموضوعات في مؤلفاتهم ، إلى أن جاء عالمان كبيران في عصر واحد وفي منطقتين بعيدتين عن بعضهما ببعض بعد المشرق والمغرب , احدهما الشيخ عبد الحق بن عطية فألف هو تفسيره المسمى ب"المحرر الوجيز" بالمغرب بالأندلس والثاني العلامة أبو القاسم محمود بن عمرو بن احمد جارالله المعروف بالزمخشري ، بالمشرق , الذي الف تفسيره المسمى ب"الكشاف عن حقائق

التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل" المشهور ب"الكشاف". كلا العالمين يلتفتان الى التفسير اللغوى للآيات ويأتيان بما يدل على هذا التفسير اللغوي من كلام العرب ويذكران كلام المفسرين السابقين.[١٦]

قسم الدكتور محمد حسين الذهبي تاريخ التفسير في المراحل الثلاثة وفي الخطواة الخمسة:

المرحلة الأولى للتفسير: هو عهد النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه. كان اعتماد الصحابة فى هذا العهد فى تفسير القرآن المجيد على أربعة مصادر:

١: القرآن الكريم نفسه.

٢: الرسول عليه الصلاة والسلام.

٣: الاجتهاد وقوة الاستنباط.

٤: أهل الكتاب

المرحلة الثانية: تتم مرحلة التفسير الأولى بانتهاء عهد الصحابة، وتبدأ المرحلة الثانية للتفسير من عصر التابعين الذين قرأوا على الصحابة الكرام وحصلوا على اكثر معلوماتهم عنهم.

المرحلة الثالثة للتفسير وهو عصر التدوين للتفسير: تبتدأ هذه المرحلة للتفسير مع بداية عصر تدوينه، و تمتد من أواخر العهد الامويّ الى أوائل العهد العباسي.

الخطوة الاولى للتفسير:

في هذه الخطوة كان التفسير يُتناقل بطريق الرواية، بان الصحابة ينقلون عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، كنقل بعضهم عن بعض. و روى التابعون عن الصحابة. كرواية بعضهم عن بعض.

الخطوة الثانية:

وهي بعد عصر الصحابة والتابعين حيث ابتدأ التدوين لحديث رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فكانت أبواب متفرقة في كتب الحديث وكان التفسير علما على حدة بل كان عنوانا من جملة عناوين الحديث التي احتوى عليها الحديث ولم يُؤلّف على وجه الاستقلال بأن يفسر القرآن سورة سورة و آية آية من بدايته الى نهايته.

الخطوة الثالثة:

انفصل في هذه الخطوة تفسير القرآن عن حديث الرسول عليه الصلوة والسلام ، فأصبح علماً قائماً بنفسه ، و فسرالقرآن آية آية ورُتّبت التفاسير على حسب ترتيب المصحف الشريف.

الخطوة الرابعة:

ثم إن التفسير رفع بعد ذالك قدما رابعة لم يتقدم بها على حدود التفسير بالمأثور وان كانت روايته قد

تكاثرت بالإسناد فقام كثير من الناس بتصنيف التفسير بنموذج جديد وهو نموذج اختصار الاسانيد ونقل المرويّات دون ان تُنسب الى من قالها , فحلّ الوضع في التفسير وكثر الزيف والتبس الصحيح بالضعيف والعليل.

الخطوة الخامسة:

فبعد أن اقتصر تدوين التفسير على المرويّات المنقولة عن السلف , تجاوز بهذه الخطوة الواسعة الى تفسير الادراك العقليّ (التفسير بالرأي) بالتفسير النقلى. فهى أوسع الخطوات وأفسحها، امتدت من العهد العباسى إلى يومنا هذا.[١٧]

**الحديث:**

**تعريفه:**

لغة: الجديد ويجمع على احاديث على خلاف القياس

اصطلاحا: ما أضيف إلى النبي عليه صلواة الله وسلامه من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.[١٨]

و قال المباركفوري: الحديث: لغة: الجديد، واصطلاحاً: هو ما أضيف إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خُلقي أو خِلقي، أو ما أضيف إلى النبي – عليه الصلاة والسلام – أو إلى من دونه من الصحابي والتابعي كذلك.[١٩]

**تاريخ تدوين الحديث:**

رأي الدكتور يوسف القرضاوي عن تاريخ تدوين الحديث:

ومن الثابت بيقين لدي الباحثين المتخصصين اليوم ان تدوين السنة لم يبدأ في رأس المأة الأولي للهجرة، كما قيل يوما, بل ان للتدوين اطوار بدأت منذ عصر النبوة ونمت بعد ذالك, كما دلت علي ذالك الدراسات العلمية الموضوعية.[٢٠]

قسم نور الدين عتر تاريخ الحديث في سبعة أدوار:

"علوم الحديث" تدرج عبر التاريخ يبين أدواره التي مر بها حتى يومنا هذا ، وهي أدوار سبعة نوردها اختصارا في التالي:

الدور الأول: يبدأ من زمن الصحابة رضي الله عنهم ويمتد إلى نهاية القرن الأول من الهجرة ويقال هذا الدور دور النشوء:

نشأ علم الحديث في هذا الدور بوجهين:

١.حفظ الحديث: كان الصحابة على إدراك ووعي للحديث النبوي الشريف، لتوفر الأسباب، والدواعي لحفظ الحديث ولا كلام في أن العرب هم أمة أمية التي لا تعرف القراءة والكتابة. ومن المعلوم

ان الأمي معتمد على ذاكرته فتنمو وتقوى لتسعفه حين الحاجة ، لذلك عرفوا بالحفظ و الذكاء العجيب.

٢ – كتابة الحديث: الكتابة كما هي من أهم وسائل حفظ المعلومات ونقلها للأجيال صارت من اهم وسائل نشأ الحديث بعد حفظه. ولقد وردت الاحاديث الكثيرة المتواترة عن كثير من اصحاب النبي عليه الصلاة والسلام في إثبات وقوع الكتابة للحديث النبوي الشريف في عهد نفسه عليه الصلاة والسلام ,كما روى الامام البخاري عن أبي هريرة رض: "ما من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام أحد أكثر حديثا عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب".

وقعت الكتابة في مرحلتين.

المرحلة الأولى: هي مرحلة جمع الحديث لان بعض الصحابة كان يكتب ما سمعه من رسول الله عليه الصلوة والسلام في صحف شخصية دون أن تتداول بين الناس , بدأت هذه الكتابة باذن الرسول عليه الصلاة والسلام و منذ عهده. ومما ورد كتابته من الحديث في عهده عليه الصلاة والسلام:

١ -: صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص كتبها لنفسه المشهورة بالصحيفة الصادقة

٢ – صحيفة علي بن أبي طالب: المشتملة على أحكام فكاك الأساري و على العقل. وهي صحيفة صغيرة.

٣ – صحيفة سعد بن عبادة الصحابي الجليل –١٥هـ.

٤ – رسالاته عليه الصلاة والسلام المتعلقة بتدبير شؤون الأقاليم الإسلامية وأحوالها. كتبها إلى أمراء وعمال الأقاليم المختلفة

٥ – رسالاته عليه الصلاة والسلام إلى أمراء العرب وعظمائه وإلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام كرسالته إلى المقوقس بمصر وإلى ملك الروم هرقل ، وغير ذلك.

٦ – معاهداته و عقوده مع الكفار كصحيفة المعاهدة بين المسلمين واليهود وغيرهم فى المدينة في دستور التعايش , و كصلح الحديبية، وصلح تبوك وغير ذلك

٧ – رسالاته التي أمر بها عليه الصلاة والسلام لبعض من الصحابة لامور مختلفة، كخطبته التي كتبها لأبي شاه اليماني.

ولكن الصحف والكتب المذكورة كانت بين أيدي الناس بمنزلة المذكرات فلما كثر قراء القرآن وحفاظه و انتشرت علومه وأمن على القرآن أن يلتبس به غيره عند الناس أو أن لا يفي بكفاية المجتمع وقع إقبال الأمة على تدوين الحديث بأمر الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز وتداولت صحفه المكتوبة بين الناس.

الدور الثاني: ومن هنا يبدأ الدور الثاني وهي المرحلة الثانية للكتابة. اكتملت في هذا الدور علوم الحديث

إذ وجدت كلها واحدا واحدا وخضعت للقواعد المتداولة بالعلماء. وذلك من مبدأ القرن الثاني إلى أول الثالث.

فمن اهم الامور التي جدت في هذا العصر :

١ – ضعفت ملكة الحفظ في الناس

٢ – كثرة الاحاديث ودخول القوادح الكثيرة والعلل الظاهرة والباطنة فيها وطوالة الاسانيد وتشعبها بسبب بعد العهد وكثرة حملة الحديث لان حمل جماعات كثيرة الحديثَ عن كل من الصحابة وتفرقوا فى البلاد.

٣– ظهور الفرق المنحرفة عن الطريق النبوي الشريف الذي كان عليه الصحابة رضي الله عنهم وارضاهم ومن تبعهم بإحسان، كالخوارج والمعتزلة والجبرية وغيرهم. فتحرك علماء الامة لمقابلة هذه الضرورات ووضعوا لكل طالع ما يسد الخلل الحاصلة ومن ذلك:

١ – التدوين الرسمي، فقد شعر عمر بن عبد العزيز بالضرورة التي لا غنى عنها للإدّخار كنوز النبوة فامر علماء الأمصار المختلفة تحت خلافته ان يجمعوا و يكتبوا ما عندهم من الحديث ويدونوه ان لا يضيع بعد ذلك. فكتب أبو بكر بن عبد الرحمن و الزهري وغيرهما ما في آفاقهم من الحديث، وجمعت الأحاديث في المصنفات والجوامع ، كمصنف عبد الرزاق ت ٢١١ھ ومصنف حماد بن سلمة ت ١٦٧ھ وكجوامع سفيان الثوري ت ١٦١ھ ، معمر بن راشد ت ١٥٤ھ و سفيان بن عيينة ت ١٩٨ھ.

٢ – توسع العلماء في جرح الرجال وتعديلهم وفى الطعن فيهم لكثرة شوائب الضعف من جهتين : الضعف فى الحفظ و انتشار البدع و الأهواء . فتفرغ جماعة من الأئمة كسفيان الثوري ٬ شعبة بن الحجاج ت ١٦٠ھ و عبد الرحمن بن مهدي ت ١٩٨ھ وغيرهم لنقد الرجال والكلام عليهم واشتهروا به.

٣– توقف العلماء في قبول الحديث ممن لم يعرف به.

٤ – تفحّصوا الأحاديث لإجلاء الخفايا والمستورات وإظهار الخبايا ووضعوا لكل صورة جديدة قاعدة وصيغة تعرفها وتبين حكمها فتكاملت أنواع الحديث ووجدت كلها واتخذت اصطلاحاتها الخاصة.

الدور الثالث: دور تدوين علوم الحديث بالتفريق وكان ذلك من القرن الثالث من الهجرة إلى نصف القرن الرابع الهجري.

والقرن الثالث وهو عصر التدوين للحديث وعلومه على وجه الكمال والتمام. في بداية هذه الدور افرد العلماء بتصنيف حديث الرسول عليه الصلوة والسلام ، فابتكروا لذلك مصطلح "المسانيد" سرّدوا فيها

الاحديث النبوية الشريفة حسب أسماء الصحابة الذين رووا الاحاديث عن رسول الله عليه الصلوة والسلام، فالأحاديث المروية عن عبد الله بن عباس مثلا تجمع كلها في مكان واحد تحت عنوان مسند ابن عباس .

ثم جاء البخاري وقام بجمع الأحاديث وترتيبها حسب حسب الابواب ليكون الرجوع اليها امرا سهلا ويتيسر التفقه فيها. فصنف كتابه المشهور المسمى ب "الصحيح البخاري" على نحو هذا الترتيب والتسريد. وجاء بقية الستة وهم من تلامذته سوى النسائي فوضع كل منهم كتابه على الأبواب، و اختار حسن الاختيار، ولو انهم لم يشترطوا الصحة لتصانيفهم في رواية الحديث وعلومه ، ولذلك كانت مدرسة البخاري مفضلا على غيرها. ثم جاء ابن خزيمة "٣١١ھ" و ابن حبان "٣٥٤ھ" وسلكا طريقة الشيخين في اشتراط الصحة فى الحديث.

الدور الرابع: عصر يمتد هذا الدور من نصف القرن الرابع الهجري إلى مبدأ القرن السابع , وقع فيه التآليف الجامعة وانبثق فيه فن علوم الحديث مدونا حيث حيث اعتنى العلماء في هذه الفترة باستدراك ما فات السلف وجمعوا مؤلفاتهم المتفرقة فى الفن الواحد واعتمدوا في ذلك على المنقولات عن العلماء السابقين بالاسناد اليهم شأن من كان قبلهم من السالفين فالفت كتب كثيرة لا تزال مراجع للناس دون استغناء ولا رغبة عنها، ومن أهمها:

١ – "المحدث الفاصل بين الراوي والواعي" تأليف القاضي أبو محمد الرامهرمزي الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد ت ٣٦٠ ھ.

٢ – "الكفاية في علم الرواية" للخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي ت ٤٦٣ھ.

٣ – "الإلماع في أصول الرواية والسماع"، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي ت ٥٤٤ھ.

٤ – "معرفة علوم الحديث" للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري ت ٤٠٥ھ.

٥ – "المستخرج" لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ت ٤٣٠ھ..

٦ – "ما لا يسع المحدث جهله" هي رسالة صغيرة لأبي حفص عمر بن عبد المجيد الميانجي ت ٥٨٠ھ.

الدور الخامس: وهو عهد وصول تدوين الحديث حدّ الانتهاء والتمام وذالك من القرن السابع الى القرن العاشر. في هذا العهد بلغ تصنيف الحديث الشريف قمّة الكمال و ذروة التمام وتمَّ وضع المؤلفات التي اكتملت بها أنواع العلم الشريف، وجمع إلى ذلك تحرير المسائل و تهذيب العبارات بدقة. وكان مصنّفوه من كبار الأئمة الذين استوعبوا الحديث حفظا ووعيا وتشرَّبوا فنونه وأحوال أسانيده ومتونه روايةً ودرايةً.

ومن أهم المؤلفات في هذا الدور بعد علوم الحديث:

١ – "الإرشاد" تأليف الإمام النووي يحيى بن شرف الدين ت ٦٧٦ھ..

٢ – "التبصرة والتذكرة" منظومة تشتمل على ألف بيت للإمام الحافظ عبد الرحيم بن الحسين ت ٨٠٦هـ..

٣ – شرح للحافظ العراقي أيضا وضعه على كتاب ابن الصلاح: "التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من كتاب ابن الصلاح" ويسمى "النكت" أيضا.

٤ – شرح العسقلاني الحافظ أحمد بن علي بن حجر ت ٨٥٢هـ "الإفصاح على نكت ابن الصلاح" وهو يوجد في الهند في شكل المخطوط.

٥ – "فتح المغيث شرح ألفية العراقي في علم الحديث"، للسخاوي الحافظ شمس الدين محمد ت سنة ٩٠٢هـ.

٦ – "تدريب الراوي شرح تقريب النواوي" للسيوطي الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ت سنة ٩١١هـ.

٧ – "نخبة الفكر" وشرحه "نزهة النظر" كلاهما للحافظ ابن حجر.

الدور السادس: وهو عصر الجمود و الركود. وقد امتد ذلك من القرن العاشر إلى أوائل القرن الحاضر من الهجرة. في هذا الدور توقف الابتكار في التصنيف والاجتهاد في مسائل العلم عموما وكثرت المختصرات في علوم الحديث نثرا وشعرا ، وبدأت المناقشات اللفظية لعبارات المؤلفين السابقين بدون التعمق والتبحر فی الموضوع تحقيقا أو اجتهادا. ومن اهم التأليفات التي الفت في هذا الدور:

١ – "المنظومة البيقونية"، للبيقوني عمر بن محمد بن فتوح الدمشقي ت "١٠٨٠هـ"

٢ – "توضيح الأفكار" للأمير الصنعاني محمد بن إسماعيل ت "١١٨٢هـ".

٣ – شرح النخبة المسمى بنزهة النظر والمعروف باسم شرح الشرح للهروي الشيخ علي بن سلطان القارئ ت "١٠١٤هـ".

الدورالسابع: دور النهض والتنبه في العصر الجاري. من مبدأ القرن الحالي من الهجرة إلى يومنا هذا، وفيه وقع تنبه الأمة للأخطار المحيطة الناشئة حيث اتصل العالم الإسلامي بالشرق والغرب، فقد أثار المستشرقون السنة باظهار شبهات حولها وادخال دسائس فيها وتلقفها اناس ضعفاء الايمان والعقيدة النفوس من عبيد الأجنبي،مما اتقضى تأليف أبحاث حولها والرد على أغاليط المستشرقين وافتراءاتهم، فرد العلماء بهذه المطالب الباطلة الضالة عن الصراط المستقيم بتصنيف وتأليف الكتب المبتكرة النافعة نذكر بعضا منها فی التالي:

١ – "قواعد التحديث" للشيخ جمال الدين القاسمي

٢ – "مفتاح السنة". لعبد العزيز الخولي

٣ – "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي"، للدكتور مصطفى السباعي، وهو كتاب مفيد يبحث عن

هؤلاء المستشرقين وموافقهم الباطلة ضدّ الاسلام والسنة ويُظهر عنادهم وجحودهم لقبول الحق وإن كان قد اقيمت عليهم البراهين والدلائل.

٤ – "الحديث والمحدثون" للشيخ الدكتور محمد محمد أبو زهو

وهكذا تعاقبت سلسلة المساعي العلمية متكاثرة و متتابعة لأخذ الحديث النبوي الشريف وإبلاغه تلقّيا وامتثالا , فنّا وعلما , رواية ودراية , قراءة وشرحا منذ خير القرون النبوي إلى زماننا هذا. فيمكن الآن لكل احد في ايّ وقت شاء ان يجد الطريق الى معرفة الحديث الصحيح السليم والتفريف بينه وغيره حتى بلغنا الأحاديث النبوية نقيّة عن كل ضعف وصافية عن كل وضع وتدليس وهذه هي الكرامة التي كرّم الله بها هذه الامة في قوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}.[٢١]

## الفقه:

**تعريفه:**

لغة: العلم بالشيء والفهمُ له.[٢٢]

وفى الاصطلاح: هو العلم بالأحكام الشرعية العلمية المكتسبة من ادلتها التفصيلية بالاستدلال.[٢٣]

**تاريخه:**

### الأطوار التي مر بها الفقه الإسلامي :

**وقد مر الفقه الإسلامي عن أطوار متعددة يتداخل بعضها في بعض:**

**الطور الأول : هو في عصر النبوة المشتمل على عهديه المكي والمدني. كان يُعتمد في هذا الطور كل الاعتماد على الوحي ، حتى إن المسائل التي اجتهد فيها الرسول عليه الصلاة والسلام أو اجتهد فيها أصحابه في حضرته أو غيبته ثم علمها فأقرها أو أنكرها تعتمد على الوحي. ومن هنا يتّضح ان هذا العصر لم يقبل ايّ اثر لفقه جديد غريب من هنا او هناك لان الرسول عليه الصلوة والسلام كان اميا لم يكن يعرف القراءة ولا الكتابة فلم يرجع الى ايّ استاذ ولا معلم قط , وقد وُلد وترعرع في قوم اكثرهم اميّون جُهّال لا علاقة لهم بالقانون الرمانيّ او نحوه. ولم يكن في هذا القسط من العهد تدوين شئ غير القرآن الكريم ومنع الرسول عليه الصلاة والسلام عن كتابة ما يقوله من دون القرآن مخافة التباس كلام الله بكلام الرسول عليه الصوة والسلام كما حدث بسوبق الامم. فلم يدون في هذا الدور إلا القرآن الكريم.**

الطور الثاني : عهد الصحابة : يتميز هذا العهد بكثرة الأحداث التي حدثت بعد عهد النبوة ، لكثرة

الفتوحات واختلاط المسلمين بغيرهم من الأمم التي لها أعراف التي لم توجد فى العرب . وكان يتميز هذا العهد بوجود الصحابة الذين عرفوا بالفقه واحاطوا به واصبحوا مراجعا للناس في نزول الحوادث . وكان منهم من كثّروا في الفتاوى وَهم لا يتجاوزون ثلاثة عشر شخصا . نذكر منهم : عمر و عليا و عائشة و عبد الله بن مسعود و عبد الله بن عباس و معاذ بن جبل و زيد بن ثابت و عبد الله بن عمر إلخ. وفي صدر هذا العهد ، وبالخصوص في عهد الخليفتين الاوليين أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ظهر الإجماع مصدراً ثالثاً سوى الكتاب والسنة واصبح مرجعا لمن جاء بعدهما. و في هذا العهد أيضا وقع تدوين القرآن العظيم فقط، فان السنة وفتاوى الصحابة في المسائل المختلفة المستحدثة كانت تنقل حفظا في الصدور ، إلا أن بعض الناس كانوا يدوون بَعْضَ هذه الأمور لانفسهم لتكون تذكرة لهم.

الطور الثالث : طور التابعين الذي هو طور امتداد لعهد صغار الصحابة ، مع ان قد اشترك أكثر من الصحابة والتابعين في حروب الفتنة يتميز هذا العهد بوجود مدرستين : إحداهما بالحجاز ، فكان اعتماد هذه المدرسة في الاجتهاد عَلَى نصوص من كتاب وسنة ، ولا ترجع إلى الأخذ بالرأي إلا نادرا لوجود المحدثين بالوفرة هناك. والأخرى بالعراق. فكانت هذه المدرسة ترجع إلى الرأي كثيرا وكان عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه و ارضاه عميد هذه المدرسة. فاستمر على طريقه تلامذته ، كعلقمة النخعي اولهم واشهرهم ، ثم من بعده إبْراهيم النخعي الذي تخرج أئمة هذا المذهب عليه. لكن لا يلزم من هذا ان اهل مَدرسة الحجاز كانوا لا يعملون بالرأي اصلا بل الحقيقة خلاف ذالك كفيها ربيعة بن عبد الرحمن الذي كان يعتمد على الرأى كثيرا حتى اشتهر بربيعة الرأي وكان شيخ الإمام مالك , وايضا في مدرسة العراق كان عامر بن شراحبيل المشهور بالشعبي الذي كان يكره الأخذ باالرأي.

الطور الرابع : وهو عصر بقية التابعين وعصر تابعي التابعين العظام الاولين يمكن ان يبدأ هذا الطور في نهاية القرن الاول الهجري وبداية القرن الثاني وتمتاز بانها قد شُرِع فيها تدوين السنة مخلوطة بفتاوى الصحابة وغيرهم من التابعين وذالك بما امر امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز قد سبق ذكره في تاريخ الحديث حيث يبدأ هذا الدور من عهده رح . و بدأت تظهر المسالك و المذاهب الفقهية المتفرقة المتميزة في نهاية هذا الطور. كما أن هذا الطور شهد تطور التدوين ، فبعد أن كان التدوين مختلطا وممتزجا بدأ يأخذ طريق الترتيب والتنظيم ، وكان هذا الطور طليعة للطور الخامس.

الطور الخامس : طور الاجتهاد و طور الأئمة الكبار الكرام. يبدأ هذا الطور مع بداية اليقظة العلمية الناشئة في الدولة الإسلامية من أواخر عهد الأمويين إلى نهاية القرن الرابع من الهجرة تقريبا. هذا الطور يتضمّن عصر الأئمة الكبار والقدوة المنتسبين ومجتهدي المذاهب وصاحبوا الترجيح. وكذالك يتناول هذا العهد عهد تدوين المسالك الفقهية على وجه علمي دقيق. وهو أيضا عهد ظهور الفقه التقدِيري

المشهور عند اهل العلم بالفقه الافتراضي , فكانت مدرسة العراق اكثر وأعظم في هذا النوع الفقهي من قبل ظهور أبي حنيفة رحمه الله تعالى عنه وتلامذته.[٢٤]

**العلاقة بين هذه العلوم:**

لقد ثبت العلاقة والصلة والالتزام بين هذه العلوم الثلاثة العظيمة متى نظرنا الى مختصر تاريخها لأننا قد وجدنا ان هذه العلوم الثلاثة قد نشأت و نمت متلازما و مقارنا في الأدوار المختلفة من القرن الاول الى يومنا هذا. ويدل عليه ايضا بعض آى القرآن واحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام و اقوال العلماء نذكرها فيما يلي:

**ذكر الحديث والفقه في آية من القرآن:**

وَلو رَدّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الَّذِين يستنبطونه منهم.[٢٥] يدل لفظ" إِلَى الرَّسُولِ" علي الحديث و لفظ "يستنبطونه" علي الفقه.

**العلاقة بين القرآن والسنة:**

"فاالقرآن هوالدستورالذي يحوي الاصول والقواعد الاساسية للاسلام:عقائده و عباداته و اخلاقه و معاملاته وآدابه, والسنة هي البيان النظري والتطبيق العلمي للقرآن في ذالك كله".[٢٦]

اثبات علم التفسير والفقه في حديث الرسول عليه الصلوة والسلام حيث دعا لعبد الله بن عباس رض بالفقه والتفسير قائلا: *اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل*.[٢٧]

وقال ابن الجزي في التسهيل:

"واما الحديث فيحتاج اليه المفسر الى روايته وحفظه لوجهين: الأول ان كثيرا من الآيات في القرآن نزلت في قوم مخصوصين و نزلت بأسباب قضايا ووقعت في زمن النبي عليه الصلاة والسلام من الغزوات والنوازل والسؤالات لابد من معرفة ذالك ليعلم في من نزلت الآيت و متى نزلت فان الناسخ يبني على معرفة تاريخ النزول لان المتأخر ناسخ للمتقدم.. الثاني انه ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام كثير من تفسيرالقرآن فيجب معرفته لان قوله عليه السلام مقدم على اقوال الناس".[٢٨]

اكبرصلة الفقه مع التفسير والحديث كونه مستنبط من أدلة الكتاب والسّنّة.

وقد أوضح عبد المحسن بن حمد العباد البدر في كتابه " أهمية العناية بالتفسير والحديث والفقه " أهمية الجمع بين معرفة الحديث والفقه، وأن الفقيه لابد له من الحديث، والمحدّث لابد له من الفقه، نقلا عن الإمام أبي سليمان الخطابي في مقدّمة معالم السنن:

"وقد رأيت أهل العلم في زماننا قد حصلوا حزبين، وانقسموا إلى فرقتين: أصحاب حديث وأثر، وأهل فقه ونظر، وكل واحدة منهما لا تتميّز عن أختها في الحاجة، ولا تستغني عنها في درك ما تنحوه من

البغية والإرادة؛ لأن الحديث بمنزلة الأساس الذي هو الأصل، والفقه بمنزلة البناء الذي هو له كالفرع، وكل بناء لم يوضع على قاعدة". وقال ايضا: "ومن أهم المهمات لطالب العلم أن يكون في دراسته جامعاً بين الحديث والفقه، بين الدليل والمدلول، فلا تكون دراسته متمحضة في معرفة كثرة الطرق للأحاديث، مغفلة معرفة المسائل الفقهية وأقوال أهل العلم فيها، وفي مقابل ذلك لا تكون مهمته منحصرة في معرفة المسائل الفقهية دون عناية بمعرفة أدلتها وترجيح الراجح فيها؛ لأنه إذا أخلّ بجانب الفقه فاته الكثير من معرفة مسائله وأحكامها، وإن أخلّ بجانب الحديث فاته العلم بأدلة المسائل الفقهية". [٢٩]

**صلة الفقه بالتفسير وعلوم القرآن:**

قال محمد مصطفوي في فلسفة الفقه: " يمثل الكتاب الكريم المصدر الاول والأساس للفقه الاسلامي ولا مجال للفقيه الا بالرجوع الى القرآن... ومن الواضح هن هناك علاقة راسخة ومتبادلة بين علمى التفسيروالفقه, فالتفسير يزود الفقه بقواعد و ضوابط التفسيربهدف آيات الأحكام والسنة النبوية في حين ان الفقه يزود التفسيربما وصل اليه من استناجات فقهية واكتشافات دلالية من خلال الجهد الفقهي , ومن هنا فان علمى التفسيروالفقه يتبادلان فيما بينهما الوسائل والتقينات المتصلة بمجالي التفسير والدلالة. هذه هي العلاقة التقليدية القائمة بين القرآن والفقه والقرآن والسنة". [٣٠]

**علاقة الفقه بالتفسير(بواسطة اصوله):**

"واما اصول الفقه فانها من ادوات تفسيرالقرآن وانها لنعم العون على فهم المعاني وترجيح الاقوال وما احوج الى معرفة النص والظاهر والمجمل والمبين والعام والخاص والمطلق والمقيد وفحوى الخطاب ولحن الخطب ودليل الخطاب وشروط النسخ ووجوه التعارض واسباب الخلاف وغير ذالك من علم الاصول". [٣١]

**صلة الفقه بعلوم الحديث:**

قال المصطفوي: "وفي مطلق الأحوال هناك مرحلتان في تعاطي الفقهاء للحديث: المرحلة الأولى: التثبت من اصل صدورالحديث وتحديد موقعه بين نظائره وهي من مهمات علماء الحديث وعلم الحديث يتكفل بهذه المهمة تحديدا, علم رجال الحديث ودرايت الحديث... المرحلة الثانية. البحث عن دلالة الحديث وتحديد المراد منه وهو ما يصطلح عليه ب "فقه الحديث" وهو مهمة اساسية لعلماء الفقه و علم الفقه. وعليه فان علم الفقه يحتاج الى علم الحديث ليثبت العرش ومن ثم يأتي دورالفقه كي ينقش عليه باستخدام ادوات التفاهم ولاستنتاج, فعلم الحديث يكتشف النص للفقه ودور الفقه هو الكشف عن الحكم من النص المكتشف". [٣٢]

وقال الحافظ ابن حجر:

"والمراد بالعلوم هنا العلوم الشرعية وهي:التفسير، والحديث، والفقه.وإنما صار أكثرتوجا، لاحتياج كل من العلوم الثلاثة إليه.أما الحديث فظاهر. وأما التفسير، فإن أولى ما فسر به كلام الله تعالى – ما ثبت عن نبيه – عليه الصلاة والسلام – "ويحتاج الناظر في ذلك إلى معرفة ما ثبت مما لم يثبت". وأما الفقه فلاحتياج الفقيه إلى الاستدلال بما ثبت من الحديث دون ما لم يثبت، ولا يتبين ذلك إلا بعلم الحديث".[٣٣]

واخيرا قول عبد الله بن المبارك يجمع فيه التفسير والحديث والفقه :

"ليكن الذي تعتمد عليه الأثر ، وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث".[٣٤]

**الختام:**

قد ثبت من الدراسة السابقة العلاقة بين هذه العلوم الثلاثة و انكار وجود العلاقة والالتزام بين هذه العلوم والإهمال عنها ينتجي بظهور فرق باطلة كما اشار اليه الملا القاري في كتابه "الرد على القائلين بوحدة الوجود" ذكرا عن المعتزلة "وما أسخف عقول هؤلاء حيث تركوا مطالعة كتب التفسير والحديث والفقه..."[٣٥] وفي مقام آخر " وأما التعليق بالخيالات العقلية والتوهمات النفسية الخارجة عن الأدلة النقلية فليس هذا إلا مذهب الحكماء الفلسفية ومن تبعهم من المعتزلة والخوارج وغيرهم من الأصناف الردية كالوجودية والإلحادية والحلولية والاتحادية والدهرية والمعطلة والمجسمة وأمثال ذلك من المشارب الكفرية فالواجب على العبد أن يعتقد اعتقاد أهل السنة والجماعة إما بطريق التقليد وإما بطريق التحقيق والتأييد ثم يشتغل بعلم التفسير والحديث والفقه التي هي العلوم الشرعية".[٣٦]

## المراجع والحواشي:

[١] القزويني محمد بن يزيد ابو عبد الله , سنن ابن ماجه , دار الفكر بيروت بدون سن الطباعة ج ١ ص ٨١.

[٢] العسقلاني احمد بن علي بن حجر , فتح الباري , دارالمعفرة– بيروت ١٣٧٩ هـ , ج ١ ص ١٤١.

[٣] السيوطي عبد الرحمان بن ابي بكر جلال الدين , الاتقان في علوم القرآن , دار ابن كثير– دمشق , ١٩٨٧ , ج ٢ ص ١١٩٥.

[٤] السيوطي عبد الرحمان بن ابي بكر جلال الدين , الحاوي للفتاوى , دار الكتب العلمية– بيروت , ٢٠٠٠ م , ج ١ ص ٢٤٥.

[٥] الرفاعس احمد بن علي بن ثابت , البرهان المؤيد , دارالكتاب النفيس– بيروت ١٤٠٨ هـ , ص ٨٨.

[٦] القارئ ملا علي بن سلطان محمد الهروي, الرد على القائلين بوحدة الوجود , دار المأمون للتراث–دمشق ١٩٩٥ , ص ٩٢.

[٧] ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي , تلبيس ابليس , دار الفكر للطباعة–بيروت ٢٠٠١ م ص ١١٣.

[٨] المناوي زين الدين عبد الرؤف , التيسير بشرح الجامع الصغير , مكتبة الامام الشافعي–الرياض ١٩٨٨ م ج ١ ص ٢٥٨.

[٩] المناوي زين الدين عبد الرؤف , التوقيف على مهمات التعاريف , دار الفكر– بيروت ١٤١٠ هـ , ص ص ٥٢٤.

[١٠] الأسيوطي المنهاجي شمس الدين محمد بن احمد , جواهر العقود , دار الكتب العلمية– بيروت , ١٩٩٦ م , ج ١ ص ٣٦٨.

[١١] العسقلاني , فتح الباري , ج ١ ص ١٤١.

[١٢] السيوطي , الاتقان , ج ٢ ص ١١٨٩.

[١٣] ابن عاشور محمد طاهر بن محمد , التحرير والتنوير , مؤسسة التاريخ العربي– بيروت ٢٠٠٠ م , ج ١ ص ١٠.

[١٤] الآلوسي ابو الفضل محمود , روح المعاني , دار احياء التراث العربي–بيروت بدون سن الطباعة , ج ١ ص ٥.

[١٥] ابن عاشور , ج ١ ص ١٣.

[١٦] المصدر السابق ج ١ ص ١٤.

[١٧] الذهبي محمد حسين الدكتور , التفسير والمفسرون , مكتبه وهبيه–القاهرة بدون سن الطباعة , ج ١ ص ٢٨–١٠٨, مختصرا وملخصا.

[١٨] محمود الطحان , تيسير مصطلح الحديث , قديمي كتب خانه–كراتشي بدون سن الطباعة , ص ١٤.

[١٩] المباركفوري عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد , مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح , ادارة البحوث العلمية–بنارس الهند ١٩٨٤ م , ج ١ ص ٣٧٩.

[٢٠] الدكتور يوسف القرضاوي , المرجعية العليا فى الاسلام , مكتبة وهبيه–القاهرة بدون سن الطباعة , ج ٢ ص ٥٨.

[٢١] نورالدين عتر , منهج النقد في علوم الحديث , دارالفكر–دمشق ١٩٩٧ م , ص ٣٧–٧٢ ملخصا.

[٢٢] محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري , لسان العرب , دار احياء التراث العربي–بيروت ١٩٨٨ م , ج ١٠ ص ٣٠٥.

[٢٣] ابن نجيم زين الدين , البحرالرائق شرح كنز الدقائق , ايج ايم سعيد كمبني–كراتشي بدون سن الطباعة , ج ١ ص ٣.

[٢٤] الموسوعة الفقهية الكويتية , دار السلاسل– الكويت ١٤٠٤ ھ ج ١ ص ٢٣–٣٢.

[٢٥] النساء: ٨٣.

[٢٦] القرضاوي , ج ٢ ص ٦٣.

[٢٧] احمد بن حنبل , مسند احمد بن حنبل , مؤسسة الرسالة–بيروت ١٩٩٩ م ج ٤ ص ٢٢٥.

[٢٨] ابن الجزي محمد بن احمد الكلبي الغرناطي الاندلسي , التسهيل لعلوم التنزيل , المكتبة العصرية–بيروت ٢٠٠٣ م , ج ١ ص ١٦.

[٢٩] عبد المحسن بن حمد العباد البدر , فهرسة مكتبة الملك فهد الوطني–١٤٢٥ ھ , ص ٤٩–٥٠.

[٣٠] المصطفوي محمد , فلسفة الفقه , مركز الحضارة لتنمية فكر الاسلامي–بيروت ٢٠٠٨ , ص ٩٩–١٠٠.

[٣١] ابن الجزي , ج ١ ص ١٩.

[٣٢] المصطفوي , ص ١٠١–١٠٢ بتصريف يسير.

[٣٣] العسقلاني احمد بن علي بن حجر, النكت على كتاب ابن الصلاح , عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية–المدينة المنورة ١٩٨٤ م , ج ١ ص ٢٢٧.

[٣٤] البغدادي ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي الخطيب , الفقيه والمتفقه , دار ابن الجوزي بالسعودية ١٤١٧ ھ , ج ٢ ٤٤.

[٣٥] القارئ ملا علي, الرد , ص ٨٢.

[٣٦] المصدر السابق ص ٩٣.

# حكيم الإسلام المقرئ محمد طيب الديوبندي

## HAKEEM UL ISLAM QARI MUHAMMAD TAYYAB DEOBAND

السيدة فاطمة الزهراء*

**ABSTRACT**:

*Since the advent of Islam India has been proving to be cradle of outstanding personalities in different fields of Islam and Arabic language & Literature. The Arabs who came to India did not forget their language and literature, and after their arrival to India they found it a fertile land for Arabic poetry also. So they composed poems as well as they up brought some great poets of Arabic who found place in the famous collections of Arabic poetry. As regards the field of Islamic Studies India became the second great centre of Islam and its sciences.*

*There are numerous cities and districts in India which produced persona of their fields who excelled in different branches of Islamic Studies like Shah Waliullah of Delhi and his sons and grandsons, Allamah Siddique Hasan Khan and his followers, Maulana Qasim Nanautawi, Allamah Faizul Hasan Saharanpuri and his students, and Shibli Numani and his pupils. Being a great centre of Islamic sciences Deoband also produced several personalities in this field the most famous among them was Hakim Qari Muhammad Tayyib Deobandi. He wrote several books on Islamic Studies and contributed a lot to the progress and development of Darul Ulum of Deoband. The coming article is a simple attempt to highlight his services and to introduce him among the readers of the Journal.*

**KEYWORDS**: Darul Ulum, Deoband, Qari Muhammad Tayyib,Scholars

**الكلمات المفتاحية**: دار العلوم ، ديوبند ،قاري محمد الطيب ، علماء

**الملخص**:

لقد برز في الهند شخصيات جبارة في مختلف مجالات العلم والفن فالعلامة الشاه ولي الله الدهلوي وأولاده وأحفاد العلامة تراب علي وأشياعه والعلامة صديق حسن خان وأولاده وأحفاده والعلامة شبلي النعماني وتلامذته والإمام عبد الحميد الفراهي وأتباعه والعلامة عبد الحي الحسني وولده أبو الحسن علي

* كاتبة ومترجمة من مديرية أعظم كره، الهند

الحسني الندوي والشيخ عنايت رسول وعلماء تشرياكوت وآخرون غيرهم ممن تعتز بهم الهند وتفتخر بنبوغهم وبراعتهم في مختلف مجالات العلم والأدب والفن.

ومن بين هؤلاء الرجال الكبار العظام الشيخ حكيم الإسلام المقرئ محمد طيب الديوبندي. وديوبند مدينة علمية خصبة فقد أنجبت هذه المدينة العديد من علماء الإسلام وأدبائه وشعرائه وفوق تلك مدرسته "دار العلوم" هي كمثل جامعة إسلامية لا تبلغ شأوها الجامعات الإسلامية في الهند ولا في خارجها. فمعظم من يسمّي نفسه بالديوبندي إما ينتمي إلى مدينة ديوبند أو تخرّج من هذه الجامعة الإسلامية. وعددهم غير قليل. وحيثما ذهبوا أناروا شعلة العلم والفن والأدب.

هذه المقالة تلقي ضوءًا خاطفًا على حياة وخدمات هذه الشخصية الديوبندية العملاقة.

**مدخل في الموضوع**:

أنجبت الهند رجالًا بارزين ومشايخ كبارًا خلفوا مآثر ومحامد في مختلف المجالات والميادين فالشيخ الشاه ولي الله الدهلوي (1702-1762م) والشيخ فضل حق الخيرابادي (1797-1861م) والشيخ فيض الحسن السهارنفوري (1816-1887م) والشيخ بركة الله البهوفالي (1858-1927م) مسلمون هنود خلدت أسمائهم في صفحات التاريخ الإسلامي الهندي بفضل جهودهم المضنية في سبيل نشر الإسلام وعلوم أتباعه في بلاد الهند وخارجها. والشيخ محمد طيب الصديقي الديوبندي (1897- 17من يوليو1983م) أحد منهم فهو أحيى الإسلام في دياره كما ريّ العلوم والآداب والفنون في منطقته. إن خدماته جليلة إلى حد لا ينساها مؤرخ إسلامي في الهند أو في غيرها من البلاد. وفيما يلي لمحة عن سيرته ودراسة موجزة لأعماله ومآثره القيمة:

**حكيم الإسلام المقرئ محمد طيب الديوبندي، حياته وأعماله**:

**نسبه وميزته العائلية**: تنتهي شجرة نسبه إلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقد غادر بعض آبائه الشيخ محمد هاشم الصديقي منطقته في عهد الملك المغولي شاه جهان رحمه الله ونزل ب"نانوته" وأقام بها فأعطاه الملك العقارات وأجازه بالقيام بها. ينتمي إليه معظم عائلات صديقية في تلك المنطقة. شجرة نسبه هكذا:

محمد طيب بن الحافظ محمد أحمد بن محمد قاسم بن أسد علي بن غلام شاه بن محمد بخش بن علاء الدين بن فتح محمد بن محمد نقي بن عبد السميع بن محمد هاشم.

كانت تقيم هذه العائلة بنانوته ولكن عندما تولّى جد محمد طيب الشيخ محمد قاسم النانوتوي زمام

مسئولية دار العلوم بديوبند ارتحل إليها وأقام بها وذلك لأن والده كان ابنًا وحيدًا لوالده وكلاهما تزوج بها فولد حكيم الإسلام بـ"ديوان" ونشأ وترعرع بها.

لم يكن لهذه العائلة أي صيت ذائع وذكر جميل قبل جده الشيخ قاسم النانوتوي فهو الذي شاع ذكره في الآفاق لمجرد علومه وجهاده لاستقلال الهند في 1857م. إنه بذل نفسه ونفيسه في هذين الأمرين الجليلين فطوّر المدرسة الإسلامية التي بناها الحاج عابد حسين ثم بذل قصارى جهوده الجبارة للدفاع عن الإسلام والمسلمين الذين كانوا قد عانوا من اعتراضات وشبه من قبل اليهود والنصارى. لعبت هذه المدرسة دورًا بارزًا في نشر الثقافة الإسلامية في الهند وخارجها. ثم رقيّ المدرسة في حياة ولده الشيخ محمد أحمد الذي جعلها دارًا للعلوم كما نال لقب "شمس العلماء" من قبل الحكومة، الذي رجعه بعد مشورة علماء الدار. وعندما جاء عهد شيخ الإسلام أصبحت هذه الدار العلمية مضاهية بجامعة الأزهر. فكأن المدرسة التي بناها عالم مخلص أصبحت بفضل جهود عائلته جامعة إسلامية.

**مولده وتربيته:** ولد الشيخ في 1315هـ/1897م وسمّاه أهل عشيرته "مظفر الدين" و"خورشيد قاسم" اسمًا تاريخيًا. وبما أن مولده كان قد جاء مؤخرًا وبعد مدة طويلة وانتظار شديد بحيث قد مات ثلاثة إخوته في صغر سنّهم على التوالي. وكان مولده سببًا لدعاء أحد المشايخ المستجابة دعوتهم وهو الذي قد نبّأ عن كونه ولدًا ذكرًا وحافظًا للقرآن ومقريًا ومقتدى للناس وعالما كبيرًا وحاجًّا لبيت الله الحرام.

بدأ يتعلّم عندما بلغ سنّ القراءة بيد الشيخ ذو الفقار الديوبندي في مجلس تم عقده في 1322هـ وحضره معه شيخ الهند محمود حسن الديوبندي والشيخ فضل الرحمن والمفتي عزيز الرحمن والشيخ حبيب الرحمن. جميعهم دعوا الله لكونه عالما كبيرًا وتقيًا صالحًا.

بدأ الشيخ دراسته بتحفيظ القرآن وتلاوته بالتجويد عند الحافظ والمقرئ عبد الوحيد الذي دعي من الله آباد وأقام في بيته معلّمًا إياه تلاوة القرآن وتجويده وتحفيظه. حفظ الشيخ القرآن في عمر يتجاوز اثني عشر عامًا في 1326هـ. كان قد وهبه الله صوتًا جهوريًا مع لحنه الخاص الذي أجبر الشيخ أشرف علي التهانوي على أن بقدّمه ليصلّي بالناس وهو حاضر يقتدي به.

**دراسة اللغة الفارسية:** بعدما أتم تلاوة القرآن وتحفيظه بدأ يتعلم اللغة الفارسية عند الشيخ محمد يسن أبي الشيخ المفتي محمد شفيع. كان الشيخ محمد يسن بارعًا في اللغة الفارسية ولذلك فقد تضلع، عنده، من هذه اللغة كما تعلم عليه بعض الكتب في تجويد القرآن والرياضيات والفن الأخير قد برع فيه على منشي منظور أحمد. وهو كان أيضًا أحد إخوة الشيخ محمد شفيع رحمه الله. وكان له اليد الطولى في الرياضيات. ومما يجدر بالذكر هنا أن الشيخ محمد شفيع هو من علّات الشيخ محمد طيّب فكلا العالمين

قد تزامنت دراستهما كما تزامنت ولادتهما. وكلاهما كان من كبار علماء زمانهما. وكذلك تلمذ كلاهما على الشيخ أشرف التهانوي في المجال الروحي.

وبفضل هذا العالم الكبير للفارسية قد حصل له المعرفة التامة بهذه اللغة فجعل يقول الشعر كما انطلق يكتب بها فلما زار أفغانستان على دعوة ملكها ألقى الخطب بهذه اللغة كما تحدث معهم فيها فتأثر أدباء أفغانستان وشعراؤها بعلمه الفائق بهذه اللغة.

**معرفته للغة العربية وعلومها:** بعدما أتم دراسة اللغة الفارسية التحق بدار العلوم، ديوبند في 1330هـ وحصل على اللغة العربية وعلومها على الأساتذة البارعين في الهند وتفصيل الكتب التي قرأها والأساتذة الذين تعلم عليهم فيما يلي:

| أسماء الكتب | الأساتذة |
|---|---|
| 1. صغرى وكبرى وبداية المرقات | العلامة شبير أحمد العثماني رحمه الله |
| 2. المرقات وتهذيب وشرحه وقطبي ومير قطبي وسلم العلوم الملا حسن وسنن النسأي | العلامة البلياوي رحمه الله |
| 3. حمد الله وقاضي مبارك وسنن ابن ماجة | الشيخ رسول خان رحمه الله |
| 4. كافية | شيخ الهند محمود حسن رحمه الله |
| 5. شرح جامي | الشيخ نبيه حسن رحمه الله |
| 6. شرح الوقاية | الشيخ غلام محمد خان رحمه الله |
| 7. الهداية (أولين) وشرح منيري وغيرهما | الشيخ غلام رسول رحمه الله |
| 8. الهداية (أخيرين) | الشيخ إعزاز علي رحمه الله |
| 9. مشكاة وصحيح مسلم | على والده الجليل رحمه الله |
| 10. سنن أبو داؤود | الشيخ محمد ميان أصغر حسين رحمه الله |

| 11. صحيح البخاري | الشيخ أنور شاه الكشميري رحمه الله |
|---|---|

بعدما استفاد من هؤلاء الأساتذة الكبار تخرج من هذه الجامعة الإسلامية وجعل يفيد الناس من علمه الجم وعمله الصالح.

**تعيينه كمدرّس:** بعد ذلك تم تعيينه كمدرس في نفس الدار فجعل يعلّم الطلبة الكتب البدائية فعلّم "هداية النحو" و"القدوري" كما علّم غيرهما من الكتب الأخرى البدائية، وهذه هي من عادة المدارس والجامعات أن الأساتذة الجدد يعطون الفصول البدائية للتدريس لكي ينالوا التجربة التدريسية. ثم بعد مدة غير مديدة جعل يدرّس الكتب الأخرى العليا مثل "مشكاة المصابيح" حتى درّس "الجامع الصحيح للبخاري" عندما توفي الشيخ فخر الدين رحمه الله تعالى.

مما يتميز به الشيخ محمد طيب في مجال التدريس أنه كان يسهّل العلوم والفنون للطلبة فما كانوا يواجهون أي صعوبة في فهم الدروس واستخدامها وتطبيق الأصول في حياتهم اليومية. وكذلك لم تكن تنال محاضرته من عزة العلماء ولا من كرم الأئمة فكان يعظّمهم كثيرا كما كان يبجّلهم تكريما. إنه كان يسأل الطلبة أن ينتقدوا آرائه كما كان يطلب منهم أن يطالعوا ثم أن يسألوا عما صعب وأشكل عليهم من الأمور والقضايا العلمية فكانت الطلبة أحرارا في التعلم والتكلم.

كانت له رغبة شديدة في الكتاب العلمي الشهير في أسرار الشريعة "حجة الله البالغة" فكان يعلّمه بكل رغبة ونشاط حتى لم يفته تدريسه في كبر سنه، وهذا كما يدل على ولهه مع الشاه ولي الله وأعماله الرائعة على إمعان نظره في أسرار الشريعة وقدرته على فهمها وتفهيمها.

وكذلك كانت له نظرة ثاقبة فيما كتبه العلامة قاسم النانوتوي فهو كان يبيّن من مؤلفاته ما لم يستطع ببيانه أحد من الناس فكأن موته قد سبّب فراغا في ميدان العلم من هذه الجهة.

**حدة ذهنه وسعة علمه:** وبما أنه قد أعطي ذهنا حادا ثم أكثر دراسة الكتب العلمية من الأمهات والمصادر لاسيما الكتب التي تثير في الدارس قوة التفكير وتهدي إلى سبل استخراج الأسرار فقد بلغ ذهنه ما لم يبلغه غيره من العلماء والفضلاء وأعطى طلبة العلوم وعلماء الفنون ما لم يجدوه من غيره من مثل الكتب في علوم القرآن والحديث والفقه والعلوم الجديدة.

كان الشيخ يدرّس الأحاديث مثل أئمة الحديث فقد شهد من شهد تدريسه وبراعته فيه بمناسبة تدريس ختم الجامع الصحيح للبخاري. إنه بدأه من حديثه الأول ثم استمر واستمر حتى بلغ نهاية الجامع مشيرا إلى نظم الأبواب فيما بينها فكأن الكتاب كله منظم بعضه من بعض بنظم شديد بحيث يبطل المراد

ويفسد الهدف إذا حرفنا الأحاديث أو بدّلنا مواضعها. وهذا كله من جهود أستاذه العلامة أنور شاه الكشميري رحمه الله.

**في ميدان التصوف**: التصوف ليس إلا إصلاح الباطن وتطهير النفس وتزكيتها ومن طرقها العديدة "البيعة" فيقول الشيخ أبو بكر الغازيفوري مشيرا إلى مفهومها عند من يمارس هذه العملية:

"لا تهدف البيعة إلا إلى إصلاح النفس وباطن الإنسان وجعله طاهرا ومثقفا وذلك لأن نفس الإنسان تتدنس بمعايب عديدة من مثل التكبر والحرص والحسد والبغض والعداوة والعناد، تثير الفساد في الدنيا كما تبطل أخراه فالبيعة تهدف إلى كبح الأخلاق السيئة وتجلية الأخلاق الحسنة الخفية"[1]

ثم يقول عن عادة طلبة دار العلوم فيها:

"كان من عادة طلبة دار العلوم في ذلك الزمن إقامة العلاقة الروحية مع شيخ صالح ومن ثم إصلاح باطنه عن طريق تربيته"[2]

فبعدما تخرج الشيخ من دار العلوم بدأ ينال تربية روحية من شيخ الهند، رحمه الله، الذي قد رجع إلى الوطن من مالتا. ولكن من سوء الحظ أنه لم يوفّق حياة طويلة بعدها إذ فاجأه الموت بعدما قضى مدة ست سنوات فقط فبقي الشيخ الديوبندي محروما من تشرفه بالحصول التام على هذه الطريقة الروحية التي قد بدأها منذ قريب.

ثم تربى الشيخ على العلامة أنور شاه الكشميري الذي كان من خلفاء الشيخ الغنغوهي في هذا المجال. ولكنه لم يسنح له الفرصة الكاملة لقطع هذا الوادي إذ شدّ العلامة الكشميري رحاله إلى دهابيل فبقي الشيخ الديوبندي غير تام في هذا المجال مرة أخرى.

بينما كان الشيخ في البحث عن مرشد روحي كامل إذ توقف نظره على الشيخ أشرف علي التهانوي الذي كان يكرّمه كثيرا. اعتكف الشيخ في بيته وارتقى، بفضل تربيته، في كافة مراحل السلوك حتى شرّفه الحكيم التهانوي بالبيعة ثم بالخلافة فجعل الشيخ يصلح الناس وينوّر قلوبهم بالبركات الربانية.

**إدارة دار العلوم**: قام بإدارة هذه الدار عدد من رجال المسلمين الصالحين فالشيخ الحاج عابد حسين والشيخ رفيع الدين والشيخ حافظ أحمد والشيخ حبيب الرحمن العثماني والشيخ شبير أحمد العثماني رجال لا ينساهم التاريخ الهندي الإسلامي فقد أدّى هؤلاء مسئولياتهم خير أداء وقاموا بتقديم خدمات جليلة عن الدين وعن الوطن على السواء.

ففي البداية تم تعيينه كنائب مدير والده الكريم الشيخ حافظ أحمد بعدما أصابه المرض ولم يقدر على كبح الفتنة التي قد ثارت في زمنه ثم ناب مناب الشيخ العثماني، ولما توفي الشيخ حبيب الرحمن العثماني جعلته الهيئة مدير الدار، المنصب الذي تولاه لمدة نصف قرن تقريبا (حتى 1401هـ).

خلال هذه المدة الطويلة لإدارة الدار قام الشيخ بتطويرها من كل جانب فقام ببناء المباني الفخمة كما قام بتأسيس الكلية الطبية بها ومن ثم ازداد عدد الطلاب كما صعد عدد الأساتذة وهكذا طار، بفضله، صيت الدار في الآفاق كلها فزارها الطلبة من خارج الهند كما زارها الأساتذة والباحثون. فأعان كل منهم في تقدمها وبلوغها غايتها المنشودة.

كان لعادات الشيخ دور بارز في هذا العمل المبارك فقد وهبه الله صبرا جميلا ومصانعة مثالية فكان يسمع لكافة الشكاوى ويشكيها بكل اطمئنان وهدوء بال فهو الذي كبح الفتن الثائرة وهو الذي تحمل المحن الملمّة ولم يفتح شفتي شكواه ولا لسان الغضب. فقد صبر على هذه كلها لمجرد خير الدار ومن ثم خير المسلمين بأجمعهم.

لم يكن كذلك مع هيئة الأساتذة والموظفين فحسب بل كانت معاملته مع الطلبة معاملة الوالد مع أولاده بل حنان الأم لأطفالها فكان يشفق عليهم كما كان يحاول لتقدمهم ولزيادتهم علما وتقوى.

**ميزاته وخصائصه:** ولو كان الشيخ الديوبندي متصفا بخصائص جمة وميزات لا تحصى إلا أن بعض الخصائص قد أصبحت جزءا لا ينفك من شخصيته وهي تواضعه لذاته وحلمه وصبره على الأذى وخالص عبوديته وشفقته على الطلبة وتشجيعه للصغار فيكتب-مثلا-في كتاب رآه:

"قد غمرني السرور عندما سمعت عن المجلدين لكتاب "أنوار قاسمي". رأيت النسخة المبيضة والآن أنتظر الطباعة"[3].

ويقول عندما لم ينظر اسم المفتي ظفير الدين على "فتاوى دار العلوم" الذي قام بتدوينه:

"لابد من أن يذكر اسم من قام بتدوين "فتاوى دار العلوم" وذلك لأنه بذل جهود فهو يجدر بذكرها"[4]

**مؤلفاته ورسائله:** كان الشيخ محمد طيب مؤلفا محنكا كما كان عالما ربانيا فقد قام بتأليف عدد غير قليل من الكتب المهمة عن العلوم الدينية والقضايا المعاصرة. يقول المفتي محمد مشتاق التجاروي في عدد مؤلفات الشيخ محمد طيب:

"في هذه الحالة من الترحال في الآفاق قام الشيخ محمد طيب بتأليف مائة كتاب ما بين صغير وكبير،

يحتوي بعضها على بحوث لم يقدر على معالجتها إلا الشيخ رحمه الله"[5]

ويقول الشيخ أسير الأدروي عن أسلوب تأليفه وقيمة مؤلفاته:

"كان لسانه ينشر أزهار الألفاظ والمعاني وكان كلامه مملوءا بالروعة والغيرة مع السجع المناسب. وكان قد وفّق أسلوبا علميا خاصا كما حصلت له سعة المعرفة. اقرأ كتاباته تجد فيها شوبا من الفكرة ودررا من الحكمة ولآلي من الوعي الديني. وزد على ذلك سلاسة البيان ورواء الأدب".[6]

وفيما يلي ذكر موجز لبعض منها:

1. **اجتهاد وتقليد**: هذه القضية ليست ببديعة بالنسبة لنا ولمن يتعصب لمذهب واحد للفقه، والهند كذلك لم تكد تصون نفسها من هذه البلية فقد عاش فيها، منذ غابر العصر، فئتان متعصبتان في أفكارهما وآرائهما الدينية: فئة تقول بأن تقليد الأئمة لازم لرجل عادي بل لمن يجد فيه السعة والقدرة على فهم النصوص القرآن والأحاديث إلى حد بينما الفرقة الأخرى ترى أن التقليد لا يجوز لأحد حتى لرجل عادي فهي ترجح التفكير في تلك النصوص وحرية الاختيار لمذهب يراه المرجّح ولكل دلائل وبراهين تأخذ بناصيتها وتستدل بها. لم يمنع الشيخ الديوبندي ذاته من هذا الجدال فقد وقع فيه ولكن بأسلوب علمي جميل فرسالته هذه تأخذ تلك القضية بحيث يذكر هو أولا ما هو تقليد الأئمة ثم يمضي في بحوث أخرى حتى يكشف القناع عن ضرورة تقليد الأئمة. هذه الرسالة مهمة للغاية لمن يريد تقليد الأئمة أو رفضه.

2. **علم غيب**: وجدت في الهند فرقة تقابل التعاليم الموجودة في الأديان الأخرى فتدعي أن النبي الأمي محمدا صلى الله عليه وسلم يمتلك علم الغيب كما تدعي افرق الأخرى عن أنبيائهم ورسلهم. فنّد هذه الفكرة علماؤنا فقاموا بتأليف كتب قيمة عن هذا حتى بردت نارها والشيخ محمد طيب واحد منهم فهو ألّف هذا الكتيب في الرد على هذه الدعوى مثبتا أنه ليس للأنبياء صفة بهذا النوع من العلم بالغيب ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم أيضا غير قادر على هذا العلم إلا القدر الذي علّمه الرب ذاته. أثبت الشيخ دعاويه بدلائل ثابتة من القرآن والحديث.

3. **إسلام كا أخلاقي نظام (المنهج الإسلامي الخلقي)**: هذا الكتاب رد على سؤال راهب من روركي، كان يعتقد أن المنهج الخلقي للإسلام اسفل مما يوجد في الإنجيل الذي يمنع عن العادات السيئة بما فيها الزنى وكذلك طرح الراهب سؤالا عن زواج النبي من زينب زوجة متبناه

زيد رضي الله عنه فقد ارتكب ذنبا. ردّ الشيخ على هذين السؤالين في ضوء القرآن والسنة وتفاسير الصحابة رضي الله عنهم كما أثبت أن الصحف السماوية الأولى تم تحريفها. وفي النهاية ألقى الأضواء على القيم العليا المذكورة في القرآن الكريم والسنة الغراء. إن هذا الكتاب خير وسيلة للرد على اعتراضات اليهود والنصارى على الإسلام.

4. **حديث رسول كا قرآني معيار (مقياس القرآن لأحاديث الرسول)**: فتنة الإنكار بالأحاديث فتنة تم إثارتها من ولاية البنجاب ثم ازدادت هذه الفتنة ذياعا وانتشارا في الهند كلها حتى وجدت لها جماعة يكثر أتباعها يوما فيوما ونجد مؤلفاتهم مملوءة بالأقوال التافهة عن حقية الاستناد إليها وكثرة الأقوال المضادة والروايات التي لا سند لها ولا صلة مع العقول المثقفة. نظرا لهذه الفكرة الباطلة والثورة المنتشرة قام العلماء بالرد عليها وإخماد نارها فكتبوا مؤلفات كثيرة ورسائل لا تحصى. والشيخ محمد طيب أيضا شاركهم فيها فكتابه هذا حلقة من هذه السلسلة الذهبية. أثبت فيه الشيخ شدة استناد رواية الأحاديث وضرورتها في فهم القرآن ومبادئ الإسلام ثم قارنها من روايات التاريخ البشري الذي لا يتمتع من هذه الميزة كما ذكر مختلف أنواع الحديث من المتواتر والغريب وغيرهما. إن هذا الكتاب مهم للغاية في الموضوع.

5. **كلمة طيبة**: قد أثار بعض أعداء الإسلام الألداء اعتراضا على كلمة التوحيد "لا إله إلا الله محمد رسول الله" بأنها ليست عربية خالصة وأنها من مخترعات العجم ولذلك فلم يأت ذكرها في القرآن ولا في الأحاديث ولا في أقوال الصحابة رضي الله عنهم فقام الشيخ بالرد عليها وأثبت مجيء جزئيها في القرآن والأحاديث وأقوال الصحابة كما أشار إلى اتصال أحدهما بالآخر وذكر الأصول العربية الثابتة وأثبت كونها صادقة عليها. فهذه الرسالة قيمة للغاية من جهة الدين كما هي مهمة من جهة اللغة.

6. **التشبه في الإسلام**: هذا الكتاب شرح جميل لقوله صلى الله عليه وسلم: من تشبه بقوم فهو منهم" فقد ذكر الشيخ فيه حدود التشبه كما ذكر حدود الاختلاط والأضرار التي تلحق بقوم بعد التشبه المذكور في الحديث أعلاه. فقطع اللحية وما شابهه من الأمور والعادات داخل في التشبه بقوم كما أن التجارة وما شابهه من الأمور خارجة عنها. أثبت الشيخ في ضوء القرآن والأحاديث والتاريخ أن دمار قوم هو تشبهه من قوم ومن فعل ذلك فقد انمحى أثره من هذه البقعة المعمورة. إن هذه الرسالة لها قيمة علمية لاسيما في يومنا هذا فإن الشباب يقطع

اللحية أو يعفيها أو يبقي جزء منها لمجرد الآخرين لا لأن النبي الأمي قد سنّ ذلك.

7. **فلسفة نعمة ومصيبة**: هذه الرسالة ردّ على الشيوعية التي ترى أن النعمة أو النقمة هي لأجل التجارة ولا من الله الذي يفعل هذا لمجرد الامتحان. أفحمها الشيخ من جهتين–جهة النقل وجهة العقل فذكر الآيات القرآنية القائلة بفكرته كما أثب بالعقل اختلاف الغنى والفقر. إن هذه الرسالة شهادة للمؤلف على أنه عارف كبير للقرآن كما أن له اليد الطولى على الفلسفة والمنطق.

8. **آفتاب نبوت (شمس النبوة)**: هذه خطبة ألقاها الشيخ كشرح للآية الربانية: داعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا" ثم جمعها في صورة كتاب. إنه نموذج جميل أسلوبه السلس الجذاب ودليل قاطع على قدرته على الارتجال في الكلام عن الدين والكلام. إنه سيرة دعوية للنبي صلى الله عليه وسلّم.

9. **فطري حكومت**: هذا الكتاب المهم في جزأين. أولا ذكر فيه الشيخ حكومة الله الساذجة الفطرية وخصائصه وميزاته ثم ذكر أن الناس الذين هم من خلق الله وعباده ينبغي لهم أن يجعلوا حكومتهم متشابهة بحكومة خالقهم وربهم. ومعنى هذا الشبه بين الحكومتين أن حكومة الناس تكون هادئة وآمنة كما نجد في حكومة الرب جل مجده. فهي لا مملوءة بالحكمة فلا تواجه أي خلاف فيما بينها، فإدارة الحكومة طبقا لأوامر وإرشادات الرب شيء خالد وآمن.

وكذا ألّف "دعوت دين كى قرآني أصول" (منهج الدعوة القرآني) و"نسب أور إسلام" (النسب كما يراه الإسلام) و"تعليمات إسلام أور مسيحي إقدام" (التعاليم الإسلامية وإقدام النصرانية) و"إسرائيلي كتاب وسنت كي روشني مين" (بنو إسرائيل كما يراهم الكتاب والسنة) و"روايات الطيب" (روايات الطيب) و"مقامات مقدسة" (الأماكن المقدّسة) و"علماء ديوبند كا ديني رخ" (الجانب الديني في سير علماء ديوبند) و"مسلك ديوبند" (مذهب ديوبند) و"فلسفة نماز" (فلسفة الصلوة) و"شأن رسالت" (أمر الرسالة) و"شهيد كربلاء ويزيد" (شهيد كربلاء وأمر يزيد) و"إيك قرآن" (كتاب رباني وحيد).

**خاتمة الكلام:**

بدا من هذه الدراسة الوجيزة أن الحكيم المقرئ الشيخ محمد طيب الديوبندي كان من علماء دار العلوم بديوبند، الذين نشأوا وترعرعوا في بحبوحة العلم والأدب والفن، فنشأوا شبابًا بارعين وأدباء وكاتبين، ثم

جعل يخدم دار العلوم بديوبند فلم يأول أي جهد في خدمتها وتطويرها وتبليغها قمة العلم والصلاح. وبجانب هذه الجهود الجبارة فقد اعتنى هذا الشيخ الديوبندي بتأليف الكتب والرسائل العلمية في مختلف فروع العلم الإسلامي فألّف "اجتهاد وتقليد" (الاجتهاد والتقليد) و"علم غيب" (العلم بالغيب) و"إسلام كا أخلاقي نظام" (المنهج الخلقي للإسلام) و"حديث رسول كا قرآني معيار" (مقياس القرآن لأحاديث الرسول) و"كلمة طيبة" (الكلمة الطيبة) و"دعوت دين كى قرآني أصول" (منهج الدعوة القرآني) و"نسب أور إسلام" (النسب كما يراه الإسلام) و"تعليمات إسلام أور مسيحي إقدام" (التعاليم الإسلامية وإقدام النصرانية) و"إسرائيلي كتاب وسنت كي روشني مين" (بنو إسرائيل كما يراهم الكتاب والسنة) و"روايات الطيب" (روايات الطيب) و"علماء ديوبند كا ديني رخ" (الجانب الديني في سير علماء ديوبند) و"فلسفة نماز" (فلسفة الصلوة) و"شأن رسالت" (أمر الرسالة) و"إيك قرآن" (كتاب رباني وحيد) وغيرها من المؤلفات التي يخلد ذكرها على صفحات التاريخ الإسلامي.

## المصادر والمراجع

[1] مجلة "حسن تدبير" الفصلية ½ ص 29

[2] المجلة ذاتها، ½ ص 28

[3] المجلة ذاتها، ½ ص 40

[4] المصدر نفسه

[5] المصدر نفسه، ص 211

[6] المصدر نفسه، ص 122

# كلمة "الله"– معناها اللغوي ومدلولها الاصطلاحي

## THE LINGUISTIC MEANING AND TERMINOLOGICAL SIGNIFICANCE OF THE WORD "ALLAH"

**عبدالحمد آرائين** *

**بشير أحمد درس** **

**ABSTRACT:**

*The word "الله" is an Arabic word which means one who deserves to be worshipped and also one who loves its creature. The commentators of the Qur'an and scholars of Arabic and Islamic studies differ about its origin. Some of them said that its origin is "وله" while the others said that its origin is "أله". Due to their basic difference in opinion the meaning of this word also differed. The first one means to love whereas Allah loves his creature and does not hate them while the other means to deserve to be worship whereas Allah is the only who deserves to be worshipped and none deserves it.*

*The Pre-Islamic Arabs knew this word since their existence. They believed in one who is higher than all but they differed about how to reach him so some of them made deities while the others didn't. Citations from them have been given in this article.*

*Apart from it, this word has some qualities whereas Allah is he who created the universe, he nourishes it, he supports it and one day he will ask them what they did in the world. This them has also been supported by the Qur'anic verses.*

**KEYWORDS**: Allah, Qur'anic, Pre-Islamic, Arabs, Origin

**الكلمات المفتاحية**: الله ، القرآن الكريم ، الجاهلي ، العرب ، المنشأ،المصدر

**الملخص**

* أستاذ محاضر سجل سرمست كلية الحكومية ، حيدرآباد ، السند

** أستاذ محاضر جامعة مهران، خيرپور ميرس حرم الجامعة ، السند (رحاب خير بور)

كلمة "الله" كلمة عربية اختلف المفسرون في اشتقاقها وأصولها فمرة ذكروها من وله بينما ذكروها من أله مرة أخرى وهناك جماعة ترى أنها تشتمل على كلتا المادتين. وعندما نرى كلام العرب الجاهلي نجدها مستخدمة لديهم ومعروفة فقد استخدمها الشعراء الجاهليون العرب بمن فيهم زهير وامرؤ القيس وعمر وغيرهم من الشعراء العرب الجاهليين.

يبدو من دراسة هذه الكلمة لديهم أنهم اعتبروا ذاتًا أعلى يمكن الوصول إليه مباشرة كما يمكن الوصول إليه عن طرق الآلهة ونجد كلتا الفكرتين لدى هؤلاء الشعراء. ولكن القرآن يخالف إحدى الفكرتين بأن الله أحد صمد يمكن الوصول إليه مباشرة ولا حاجة إلى أي وسيلة بشرية كانت أو غير بشرية.

ولهذه الكلمة صفات ومتطلبات تمت الإشارة إليها في القرآن الكريم كما دلّ عليها المفسرون قبلنا ولقد استدللنا بكل من المفسرين وأقوالهم وآرائهم. وستجدون تفاصيل هذه الفكرة في الأسطر التالية إن شاء الله تعالى.

## المدخل إلى الموضوع:

من المفردات المهمّة التي استخدِمت في القرآن الكريم الكريم كلمة "الله". جائت هذه الكلمة في كافة سور القرآن الكريم بل معظم آياته تبتدئ بذكرها وتنتهي عليها فكأن هذه الكلمة أصبحت موضوعًا مركزيًا لمحتويات القرآن الكريم والحق كذلك فإن القرآن الكريم موضوعه المركزي الله جلّ جلاله سواء كان الحديث عن المعاد أو الرسالة أو الدنيا أو الآخرة، في كل حديث يتمركز ذات الله جل جلاله فهو الذي جعل الكون وهو الذي خلقنا وهو الذي أرسل الرسل وهو الذي سيسأل عما قدّمناه من خير أو شرّ فوجوده هو الوجود ولا أحد سواه، لا هنا ولا هناك. الكل فانٍ ويبقى وجهه سبحانه وتعالى.

تحدّث العديد من المفسّرين وأصحاب المعاجم عن هذه الكلمة وأصلها وشرحوها شرحًا لغويًا كما أن العديد من الباحثين حاولوا الحديث عن صفاتها ومتطلباتاه الأخرى وسيكون حديثي مشتملًا على كلا الجانبين؛ اللغة والشرح، نبدأ باسم الله الرحمن الرحيم.

## أصل هذه الكلمة:

اختلف اللغويّون حول أصل هذه الكلمة ومادتها فيرى البعض أنها من وله بينما الآخرون يرونها من أله إلا أن كلًا منهما يرجعان إلى أن معناها هو الذي يجدر بالعبادة. يلخّص قولهم الشيخ أمين أحسن الإصلاحي كما يلي:

"هي كلمة "إله" فدخلت عليها لام التعريف، قد اختصت هذه الكلمة منذ بدايتها لمن هو خالق السماوات والأرض وغيرها من الخلق. عرف مفهومها ذلك عربُ الجاهلية قبل أنْ نزل بها القرآن فكانوا، مع شركهم المشهور، لا يزنون واحدًا من آلهتهم بما وزنوه تعالى فكانوا يعترفون أنّ الله هو خالق السماوات والأرض وما سواها، هو الذي جعل الشمس والقمر، وهو الذي سخّرهما، وهو الذي ينزّل الغيث من السماء، ويرزق البشر كلهم فكانوا يعبدون آلهة غير الله لمجرد زعمهم الباطل أنهم أولياء الله، وشفعاؤهم لديه. نقل القرآن هذه الأفكار بإسهاب، ولأجل الإيجاز ننقل فيما يلي آيتين أو ثلاثة: "ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى". (سورة الزمر: ٣) وقال تعالى: "ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخّر الشمس والقمر ليقولنّ الله فأنى يؤفكون. الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إنّ الله بكل شيئ عليم. ولئن سألتهم من نزّل من السماء ماءً فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولنّ الله". (سورة العنكبوت:٦١-٦٣) وقال كذلك: "قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحيّ من الميّت ويخرج الميّت من الحيّ ومن يدبّر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون". (سورة يونس: ٣١)".[1]

**استخدامها لدى شعراء العرب الجاهليين:**

ولقد استخدمت هذه الكلمة لدى عرب الجاهلية بكل صفاتها وأنهم لم يكونوا يعنون بها غير الله تعالى فيقول الشاعر الجاهلي الشهير زهير بن أبي سلمى:

| | |
|---|---|
| ألا أبلغ الأحلاف عني رسالة | وذبيان: هل أقسمتم كلّ مقسم |
| فلا تكتمنّ الله ما في نفوسكم | ليخفى ومهما يكتم الله يعلم[2] |

ويقول كذلك:

| | |
|---|---|
| أ لم تر أنّ الله أهلك تبّعًا | وأهلك لقمان بن عاد وعاديا[3] |

ويقول عمر بن أبي ربيعة القرشي:

| | |
|---|---|
| فوالله ما للعيــش ما لم ألاقكم | وما للهوى إذما تزارين من طعم |
| أ لم تعلمي ما كنت آليت فيكم | وأقسمت لا تخلين ذاكرة باسمي[4] |

ويقول خالد بن زهير:

| ألذ من السلوى إذاما نشورها[5] | وقاسمها بالله جهـدًا لأنتم |
|---|---|

**سعة معنى هذه الكلمة:**

ولكن الدراسة المتأنية للآيات القرآنية تجبرنا على أن نأخذ معنًى آخر لهذه الكلمة وهو الذي يحرى بأن يقوم بالتحليل أو التحريم، ويتم اتباع أحكامه وشرائعه فقد جاء في سورة الفرقان:"أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلًا".[6]

يقول العلامة جار الله الزمخشري مفسّرًا هذه الآية الكريمة:

"(أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلًا)، من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر لا يتبصّر دليلًا ولا يصغى إلى برهان فهو عابد هواه وجاعله إلهه فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودًا إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى أفتتوكل عليه وتجبره على الإسلام"[7].

أي الذي يتبع هوى نفسه يجعلها إلهًا له فالبديهي أن هوى النفس لا تعبد بل تتبع فكأن كل متبَع إله ومن اتبع الله فهو إلهه فكأن الإله هو المتبع/المعبود.

ويقول الحافظ ابن كثير شارحًا هذه الآية:

"(أرأيت من اتخذ إلهه هواه) أي مهما استحسن من شيء ورآه حسنًا من هوى نفسه كان دينه ومذهبه كما قال تعالى (أفمن زيّن له سوء عمله فرآه حسنًا فإن الله يضلّ من يشاء) الآية ولهذا قال ههنا (أفأنت تكون عليه وكيلًا) قال ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يحضر الحجر الأبيض زمانًا فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني وترك الأول"[8].

فكأنهم لم يكونوا يعبدون الأصنام بل كانوا يعبدون هوى أنفسهم فعبدوا صنمًا ما دامت أرادت أنفسهم وتركوه عندما شاءت أنفسهم صنمًا آخر فعبدوه وقد كانوا يفعلون كذلك طول حياتهم فكأنهم كانوا يعبدون هوى أنفسهم بدلًا من الإله المعبود الحقيقي.

ويقول الإمام فخر الدين الرازي مفسّرًا لهذه الآية:

"والمعنى أنه سبحانه بيّن أن بلوغ هؤلاء في جهالتهم وإعراضهم عن الدلائل أنما كان لاستيلاء التقليد عليهم وأنهم اتخذوا أهوائهم آلهة فكل ما دعاهم الهوى إليه انقادوا له سواء منع الدليل منه أو لم يمنع –– اتخذ إلهه هواه معناه اتخذ إلهه ما يهواه –––– قوله اتخذ إلهه هواه ويفيد الحصر أي لم يتخذ لنفسه

إلهًا إلا هواه"[٩].

أي كان شرك المشركين الحقيقي أنهم اتخذوا هوى أنفسهم آلهة فكانت هوى أنفسهم إلههم الحقيقي وما اتبعه من الآلهة المختلفة قد خلقها هذا الهوى فجعلوها كيفما وحيثما شاء هوى أنفسهم فكأن الهوى هو الإله لديهم لا شيء غيره.

وقد فسّر هذه الآية صاحب "تفسير روح المعاني" تفسيرًا قيّمًا نودّ أن نقتبس منه ما يلزم اقتباسه:

"––––أي رأيت الذي جعل هواه إلهًا لنفسه بأن أطاعه وبنى عليه أمر دينه معرضًا عن استماع الحجة الباهرة وملاحظة البرهان المنير بالكلية على معنى انظر إليه وتعجّب منه –––وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الآية "كلما هوى شيئًا ركب وكلما استثنى شيئًا أتاه ولا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى فالآية شاملة لمن عبد غير الله تعالى حسب هواه وأطاع الهوى في سائر المعاصي وهو الذي يقتضيه كلام الحسن فقد أخرج عنه عبد بن حميد أنه قيل له أفي أهل القبلة شرك فقال نعم المنافق مشرك إن المشرك يسجد للشمس والقمر من دون الله تعالى وإن المنافق عبد هواه ثم تلا هذه الآية، المنافق عند الحسن مرتكب المعاصي كما ذكره غير واحد من الأجلة وقد أخرج الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما تحت ظل السماء من إله يعبد من دون الله تعالى أعظم عند الله عز وجل من هوى يتبع[١٠]، ولا يكاد يسلم على هذا من عموم الآية إلا من اتبع ما اختاره الله تعالى لعباده وشرعه سبحانه لهم ي كل ما يأتي ويذر".[١١]

وقد اتبع صاحب هذا التفسير رأي غيره من المفسرين بأن هوى النفس هو المعبود وكلما يعبد من دون الله يعمل وراءه هذا الهوى الداخلي، وهكذا يدل ما ذكرناه من الحديث النبوي الشريف أن الذي يخلّ بسبيل عبادة الله تعالى هو الهوى المتبع، فلا يمكن الخلاص من عبادة هذا الإله إلا إذا كان المرء بعيدًا عنه وعابدًا لله جل جلاله.

**إجابة على سؤال:**

وعسى أن يثور هنا سؤال: هذا معنى مجازي للإله فالإله يعني هو المعبود أو الذي يستحق العبادة، نعم لا ننكر هذا المعنى لكلمة الإله بل نريد التوسع في هذا المعنى فمن لا ينظر في كلام العرب أو القرآن والحديث أو أقوال العلماء السلف أو من تأثر بالغرب في تحليل معنى كلمة أو حدودها فالعبادة يتسع معناها اتساع معنى الحياة فيدخل فيها العبادة والعبودية والطاعة كلها.

ولأجل اعتراض هؤلاء الناس قد أدخل العلامة أبو الأعلى المودوي صفة الله الحاكمية والربوبية والمعبودية في صفة كونه معبودًا وهكذا فلم يقم العدل بين الأسماء الحسنى لله تعالى. ولنقرأ ما كتبه العلامة أبو الأعلى المودوي:

"كل ما ذكرناه من معاني الإله يوجد بينهما ترابط فمن يشرك أحدًا في معنى فوق الطبعي فيعتبره ظهيرًا وحاميًا وقاضيًا على الحاجات ومجيبًا على الدعاء ونافعًا وضارًا فهذا يعني أن ذلك الرجل يشترك الله جل جلاله في القدرة قليلًا أو كثيرًا، وهكذا إذا خاف أحدٌ أحدًا أو يتقيه ويرى أن رضاه يفيده كما أن سخطف يضرّ به فلا يرى فيه سوى أنه يعتبره قديرًا على شيء وكذا من يلجأ إلى أحد غير الله فيريد منه القضاء على حاجته فلا يفعل سوى أنه يعتبره مشتركًا في صفة الله القاضية على الحاجة وهكذا إذا أراد اعتبر أحدٌ أحدًا حاكمًا ويتبع ما يأمره وينتهي عما ينهاه عنه فهو يعتبره قادرًا فروح الألوهية هو القدرة والسيطرة سواء كانت سيطرته فوق الطبيعيًا أو عاملة في هذه الدنيا". [١٢]

ثم يقول العلامة المودوي تحت عنوان "الاستدلال بالقرآن":

"وبناء على هذه الفكرة للسيطرة ركّز القرآن عنايته على قدرة الله وقدرة غير الله فيثبت القرآن أن الكون كله تحت قدرة ذات واحد وهو الذي خلقه وهو الذي ينشئه وهو الذي يسيطر عليه، وهو الآمر وهو الناهي، وعلى هذا فكل شيء يعبده ويتبع أمره ونهيه فلا يجري فيه حكم أحد سواه فلا يشرك بحكمه أحدٌ فلا إله سواه تعالى وإذا لم يكن إله سواه فكل ما تفعله من دعاء أو استدعاء أو شيء آخر خاطيء لا يجوز وينبغي أن يكون لله الواحد القهّار" [١٣].

اقرء هذين المقتبسين مرارًا وتكرارًا تجد أنما قدّمه العلامة المودودي هو الذي يريد القرآن أن يقدّمه، ونستدلّ على ما تقدّم بآيات قرآنية تالية:

"وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم. وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون" [١٤].

"خلق السماوات والأرض بالحق تعالى عما يشركون. خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين. والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ––– ويخلق ما لا تعلمون" [١٥].

"يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنّى تؤفكون" [١٦].

"قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرّف الآيات ثم هم يصدفون. قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون"[١٧].

"وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون. قل أرأيتم إن جعل الله عليكم اليل سرمدًا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون. قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدًا إلى يوم القيامة من غله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون"[١٨].

"قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير. ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير --- قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم"[١٩].

"خلق السماوات والأرض بالحق يكوّر اليل على النهار ويكوّر النهار على اليل وسخّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمّى ألا هو العزيز الغفّار. خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون"[٢٠].

"أمّن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ء غله مع الله بل هم قوم يعدلون. أمّن جعل الأرض قرارًا وجعل خلالها أنهارًا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزًا ء إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون. أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ء إله مع الله قليلًا ما تذكّرون. أمّن يهديكم في ظلكات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته ء إله مع الله تعالى عما يشركون. أمّن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض ء إله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين"[٢١].

"تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا. الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدّره تقديرًا. واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئًا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا"[٢٢].

"بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شبء عليم. ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل"[٢٣].

"ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشدّ حبًا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعًا وأن الله شديد العذاب"[٢٤].

"قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات ايتوني بكتاب من قبل هذا أو اثارة من علم إن كنتم صادقين. ومن أضلّ ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون"[٢٥].

"لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله ربّ العرش عما يصفون. لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون"[٢٦].

"ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذًا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون"[٢٧].

"قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذًا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلًا. سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا"[٢٨].

هذه، وهناك آيات لا تحصى في القرآن تدل على أن الله خالق هذا الكون بدون مساعدة ورازقه وحاكمه وبيده كل شيء وهو سيحاسب من خلق حسابًا لا يقدر أحد على أخذ يده وإمساكه عنه. وعلى هذا فهو يستحق بأن يلجأ إليه الناس ويدعوه حين البلايا. يقول الله جل جلاله فيما يلي:

"الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم"[٢٩].

وجاء في سورة يونس: "إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبّر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكّرون"[٣٠].

وجاء في سورة الأعراف: "إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين"[٣١].

وجاء في سورة الأعراف: "طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلًا ممن خلق الأرض والسماوات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت

الثرى وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى"[٣٢].

وجاء في سورة المؤمنون: "قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكّرون قل من رب السماوات وربّ العرش العظيم سيقولون الله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون –––– ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذًا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون"[٣٣].

وجاء في سورة الحشر: "هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدّوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون. هو الله الخالق البارئ المصوّر له الأسماء الحسنى يسبّح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم"[٣٤].

فاتضح من هذه الآيات أن كلمة "الله" لا تعني المعبود فقط بل معناها زائد على هذا وهو يحيط بكل صفات الله جل جلاله من الحكم والربوبية والألوهية والأمر والنهي والقدرة وما إلى تلك من صفات الرب تعالى.

**خلاصة البحث:**

اتضح من هذا البحث الوجيز أن العرب كانوا يعرفون ذات الله جلّ جلاله منذ كما كانوا يعرفون أبناءهم وإخوتهم وذوي قرباهم وكانوا يعطونه حق ما استحق إلا أنهم كانوا يشركون إلى صفاته وكمالاته من الآلهة من قد وضعوه بأنفسهم فكانوا يتقربون إلى الله عن طريق هذه الآلهة ولهذا كانوا ينذرون لهم ويقدّمون إليها ما استطاعوا من النذور.

وكذا اتضح أن كلمة الله كلمة تحطوي بين دنبيها حقيقة العبادة وحقية اللجوء إليه في كل أمر ومصيبة وآفة سماوية كانت أو غير سماوية، إنها كلمة لا يمكن لكلمة أخرى أن تكون بديلها ومثيلها فهي كلمة خاصة لذات الرب جل سبحانه.

وكذا ثبت أن لهذه الكلمة صفات من الخالقية والمالكية والقهر والرحمة والعزة وأن الذات الذي يستحق هذه الكلمة هو خالق هذا الكون ومالكه ورازقه وربه وهو سيحاسب المخلق يوم القيامة.

## المراجع والحواشي

[١] الشيخ أمين أحسن، الإصلاحي، تدبر قرآن، شركة تاج، دلهي، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م، ٢٠/١

[٢] ديوان زهير بن أبي سلمى، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٨١

[٣] ديوان زهير بن أبي سلمى، ص ١٠٧

[٤] شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة القرشي، بيروت، ١٩٢١م، ص ٢٤٣

[٥] السكري، شرح أشعار الهزليين (تحقيق: عبد الستار مزاج)، دار العروبة، القاهرة، ١٣٨٤هص ٢١٥

[٦] سورة الفرقان: ٤٢

[٧] الكشاف (تفسير سورة الفرقان)

[٨] تفسير ابن كثير (تفسير سورة الفرقان)

[٩] التفسير الكبير (تفسير سورة الفرقان)

[١٠] ولقد نشر كتاب "مسائل السلوك من كلام ملك الملوك" ألّفه الشيخ أشرف علي التهانوي في هامش التفسير "بيان القرآن" للشيخ التهانوي نفسه وهذا الكتاب يدّل عل القضايا المتعلقة بالتصوف المأخوذة من التصوف، نقل الشيخ التهانوي هذا الحديث تحت هذه الآية فالاسم الذي اتخذه الشيخ التهانوي لتسمية هذاالكتاب الدال على التصوف هو ملك الملوك أي الملك الأعلى أي الذي يفوق هذه الآلهة الصغرى.

[١١] تفسير روح المعاني (تفسير سورة الفرقان)

[١٢] العلامة أبو الأعلى المودودي، مصطلحات القرآن الأربعة الأساسية، مركزي مكتبة إسلامي، دلهي الجديدة، ١٩٩٩ص ١٩-٢٠

[١٣] المصدر نفسه، ص ٢٠

[١٤] سورة الزخرف: ٨٥

[١٥] سورة النحل: ٤-٥ و٨

[١٦] سورة فاطر: ٣

[١٧] سورة الأنعام: ٤٦-٤٧

[١٨] سورة القصص: ٧٠-٧١

[١٩] سورة سبأ: ٢٢-٢٣ و٢٧

[٢٠] سورة الزمر: ٥-٦

[٢١] سورة النمل: ٦٠-٦٤

[٢٢] سورة الفرقان: ١-٣

[٢٣] سورة الأنعام: ١٠٢-١٠٣

[٢٤] سورة البقرة: ١٣٩

[٢٥] سورة الأحقاف: ٥

[٢٦] سورة الأنبياء: ٢٣

[٢٧] سورة المؤمنون: ٩١

[٢٨] سورة بني إسرائيل: ٤٣

[٢٩] سورة البقرة: ٢٨٥

[٣٠] سورة يونس: ٣

[٣١] سورة الأعراف: ٥٤

[٣٢] سورة طه: ١–٨

[٣٣] سورة المؤمنون: ٨٤–٩١

[٣٤] سورة الحشر: ٢٢–٢٤

# الإسراء والمعراج في الآداب الإسلامية

**ISRA AND MIRAJ IN THE LIGHT OF ILSAMIC ARTS**

د. أحمد عبد القادر الشاذلي [١]

## ABSTRACT:

*Isra and Miraj are two words which mean the night journey of the Prophet Muhammad (PBUH) to the sacred mosque (Baitul Maqdis) and then to the Heaven where he met some messengers and prophets of Allah and discussed them some issues. There are two groups among the Muslims. One believes that this journey happened in real while there ia another group which believes that it was a dream.*

*Apart from this conflict there is a group of scholars and poets including sufis which has made this journey a simbole through which they go to the Heaven and meet the great persona of their fields. If the scholar is an Arabic poet he meets the great Arabic poets like Imru-ul-Qais, Antarah and amny others. But if the person is a sufi he meets those who believe in his thought and discuss the issue with those who deny it. He also meets Allah.*

*This article is an analytical and critical study fo such works (both poetic and prose) in Arabic, Persian, Turkisha and Urdu.*

**KEYWORDS:** Isra , Miraj, Baitul Maqdis, Arabic, Persian, Turkisha , Urdu

**الكلمات المفتاحية** :الإسراء، المعراج ، بيت القدس ، العربية ،والفارسية، والتركية ، الأردية

## ملخص البحث

الإسراء والمعراج قضية قد تفرّق فيها الجماعة الإسلامية فرقتين فالأولى تؤمن بقوعها في الحقيقة بينما الأخرى تقول إنها حدثت في الخيال فلم يبلغ الرسول صلّى الله عليه وسلّم إلى السماء ولم يلق الله جل جلاله.

وبغض النظر عن القضية هل وقع هذا أم لم يقع هناك جماعة من الأدباء والصوفية والشعراء قد ذهبت بها مذاهب شتى فالكتّاب مثل أبي العلاء المعري كتبوا مؤلفات في رحلتهم الخيالية إلى الجنة كما هناك

[١] عميد، كلية الآداب، جامعة المنوفية، مصر

صوفية نظموا الأبيات في رحلاتهم الروحية والسلوكية إلى الجنة وإلى لقائهم مع من يؤيدون فكرتهم أو من ينكرن ما يرون.

ففي كل لغة أدب قد استفاد من هذا واستفاض ففي العربية كتب ألّفت عن هذا كما ألّفت كتب ودواوين في الفارسية والتركية الأردوية. في هذه المقالة الوجيزة أخذت بعض مؤلفات الأدباء العرب والفرس والهنود وقمت بتحليل ما ذكروا فيها وتخيّلوا ودراستها دراسة نقدية.

هذه دراسة ممتعة ستفيد القرّاء فيما ذهب أدباء العالم بهذه القضية إلى مذاهب عديدة ولوّنوا هذه الواقعة ألوانًا شتى.

## مدخل إلى الموضوع

ورد الإسراء في سورة الإسراء في قوله تعالى "سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير". وورد في سورة النجم "والنجم إذا هوى ما ضلّ صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علّمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى".

جاءت قصة الإسراء والمعراج جملة في القرآن، وأوردت الأحاديث النبوية تفصيلًا للقصة إلا أن التفصيل لم يكن أيضًا إلا إجمالًا فما رواه النبي صلّى الله عليه وسلّم فقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن النبي صلّى الله عليه وسلّم ركب البراق وهو دابة بيضاء فوق الحمار ودون البغل حتى بيت المقدس وصلّى ركعتين ثم ركب المعراج وصعد إلى السماوات السبع حتى سدرة المنتهى فرأى الحق سبحانه وتعالى وأوحى إليه وفرضت الصلاة وعاد إلى الأرض في ليلته.

وجد الأدباء المسلمون ضالتهم في قصة الإسراء والمعراج فنسجوا من خيالهم ما شاء لهم قصصًا شعرًا ونثرًا، ومرت القصة بمراحل:

١. مرحلة التفسير: وهي مرحلة التعليق على الأخبار وتفسيرها وشرح بعض معانيها.
٢. إدخال التحسينات اللفظية والتعبيرات المجازية.
٣. الصياغة الشعرية والنثرية بأسلوب نثري مرسل مع إضافة بعض اللوحات الفنية والصور الجميلة

والتشبيهات التي تخدم الأحداث.

٤. مرحلة دخول القصة حيز التفسير الصوفي الرمزي، ومن هنا بدأت القصة تأخذ أبعادًا ومحاور جديدة لم يتوقف الأديب عند الإسراء والمعراج النبوي بل خرج إلى آفاق خيالية بعيدة عن القصة وأصبحت الروح وصعودها وتطهيرها وتنقيتها من الأدران الحياتية هي مغزى المعراج.

**معراج أبي يزيد البسطامي**: وكان أول معراج صوفي هو معراج أبي يزيد البسطامي الشاعر الصوفي (ت ٢٦١هـ) والذي صوّر عروج روحه إلى السماء وصولًا إلى الله ومرّ بالسماوات السبع حتى وصل إلى المحيط الأعظم الذي يستقر عليه العرش الإلهي، وقد أدرك الحق سبحانه وتعالى أن مراده هو الوصول إلى الله وعندما اختاره الله صفيًا وحبيبًا ورأى بجوار النبي صلّى الله عليه وسلّم وطلب منه أن يعود إلى الأرض ويبلغ سلامه إلى أمته ويدعوهم إلى عبادة الله.

**الإسراء إلى المقام الأسرى لابن عربي**: ويقرّر ابن عربي في معراجه المسمّى "الإسراء إلى المقام الأسرى" أنه يعالج عروج الروح إلى السماء ويكشف الصوفي أسرار صعود روحه إلى الله وقد كتبه شعرًا ونثرًا وقصته تتناول خروجه من الأندلس إلى القدس وقد قابل شابًا ذا طبيعة روحانية ويقوده شخص آخر أثناء صعوده إلى السماء من القدس ويصفه بأنه مبعوث العناية الإلهية الذي صعد معه إلى السماوات السبع حتى وصل إلى الحضرة الإلهية.

وقصة ابن عربي في رمزها الصوفي تبرز الصوفية على أنهم في تأملاتهم الروحية يصلون إلى الحضرة الإلهية والبراق هو رمز للحب الإلهي، والقدس هي أول مراحل العروج حيث يتطهر المسافرون الطارقون لأبواب السماء، ويصعدون إلى سدرة المنتهى حيث الإيمان الحق وكشف الحجاب.

وفي الفتوحات الملكية لابن عربي اختصار للمعراج النبوي حيث صعد المؤلف وجادل الأنبياء في العقيدة والشريعة والطريقة والتصوف والعرفان.

والعروج عند ابن عربي يمرّ بمراحل سبع صعودًا إلى السماوات السبع، وفي كل سماء يتعلم الإنسان مبادئ أخلاقية مرتبطة بما للقمر من تأثير روحي على الأجسام، وفي السماء الثانية لعطارد يتلقاه عيسى ويحيى ويتعرف على حقيقة "كن" وهكذا في كل سماء حتى ينتهي إلى الحضرة الإلهية.

يعتمد معراج ابن عربي على الرمز الصوفي وأفكار المتصوفة مع مزجها بالأفكار الفلسفية وهي موسوعة رمزية.

**رسالة الغفران لأبي العلاء المعري**: أما رسالة الغفران لأبي العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ) والتي سبقت ما

جاء به ابن عربي فقط صوّرت الإسراء والمعراج في سورة مبسطة جاءت في رسالة أرسلها المغربي لعلي بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح تناول فيها الأدب والفلسفة والتاريخ والفقه واللغة والنحو والتصوف.

كان مقصده من رسالته أن يعبر عن رحمة الله الواسعة التي تعم وترحم الناس جميعًا ومنهم الشعراء المتحررون في عقيدتهم وجاءت الرسالة على قسمين:

الأول: رحلة ابن القارح إلى السماء حيث وجد الجنة بمباهجها وأشجارها وظلالها وأنهارها ولبنها وعسلها وأمنها وسلامها ويرى التائبين وقد جلسوا يتحاورون في ود وصفاء ورأى ابن القارح الشعراء ورجال الأدب واللغة يتناقشون، ويركب دابته ويسير في الجنة فيلتقي بالأعشى وشعراء الجاهلية وقد غفر لهم ربهم وتشفع لهم محمد صلّى الله عليه وسلّم.

ويرى حفلة سمر في الجنة تغنى فيها وترقص الحور العين بعضهن من أهل الأرض ويرى ضروب النعيم عليهن بعد أن تبن وتاب الله عليهن.

ويرى الحطيئة والخنساء في آخر الجنة ثم يرى إبليس بين الجنة والنار في أغلاله فيسأله إبليس عن مهنته فيقول صناعة الأدب فيرد عليه: بئس الصناعة تهب عيشًا قليلًا لا يقيم أود العيال وكم أهلكت أمثالك.

ويرى في النار بشارًا وامرأ القيس وعنترة وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد والأخطل ويمل الحوار مع أهل النار فيعود إلى قصره ونسي أن يحاور المرقش والمهلهل والشنفري وتأبط شرًا.

وفي القسم الثاني من رسالة الغفران يتناول المعري أسئلة ابن القارح عن الزمان والمكان والتناسخ ومذاهب الحلول ويجيب عليها.

كان الحوار بين بطل المعراج وهو شخص عادي وبين الآخرين حوار أدبي ولغوي يتناول قضايا اللغة والأدب وقد ابتعد عن المسائل العقائدية، وقد أغضب المعري العامة بإدخاله بعض الشعراء والمحببين إليهم النار.

وقصة المعراج كما جاءت في رسالة الغفران هي محاكاة للإسراء والمعراج ولكنها تختلف عنها تمامًا. إنما البناء الهيكلي واحد.

**ابن الشهيد الأندلسي ورسائله:** وفي القرن الخامس الهجري نرى المعراج عند ابن شهيد الأندلسي في رسالته التوابع والزوابع والتوابع هم الجان والزوابع هم الشياطين، وقد ورد نصها في كتاب الذخيرة في

محاسن أهل الجزيرة لابن بسام في زيارة لوادي الجنة حيث التقى الجني زهير مع توابع الشعراء والكتاب البارزين أمثال امرئ القيس وطرفة والبحتري وأبي نواس والجاحظ والمتنبي وعبد الحميج الكاتب وبديع الزمان الهمذاني.

وتأثير قصة الإسراء والمعراج أوضح من حيث التكوين مع اختلاف بين الموضوع ومحتوياته.

وعلى شاكلتها نجد تأثير قصة المعراج على حي بن يقظان لابن سينا ولابن طفيل الأندلسي وللسهروردي، وقد أثرت هذه القصة على الآداب العالمية تأثيرًا كبيرًا لما تحتويه من أفكار فلسفية وصوفية عالية.

## الإسراء والمعراج في الأدب الفارسي

**سنائي الغزنوي وسير العباد إلى المعاد**: وفي الأدب الإسلامي الفارسي يحظى موضوع الإسراء والمعراج بمكانة عالية حيث اهتم شعراء التصوف بالقصة والموضوع، ومن منهم لم ينظم القصة ضمن معناها في أشعاره وقد جاء سنائي الغزنوي، أبو المجد مجدود بن آدم، على رأس هؤلاء الذين تأثروا بقصة الإسراء والمعراج وقد نظمها في منظومته "سير العباد إلى المعاد" والشبه كبير بين هذه المنظومة والكوميديا الإلهية لدانتي.

وموضوع المنظومة يدور حول هبوط النفس البشرية بأمر إلهي إلى الأرض وهذه النفس مهيأة للقيام بدورين أحدهما استلهام العالم العلوي وثانيهما الانفعال بالعالم السفلي وعلى النفس أن تغلب أحد الجانبين إما أن تسمو وتعلو أو تنحط وتهبط.

والنفس البشرية لكي تتغلب على نوازعها المادية تسعى للعروج لمرشد بأخذ بيدها وينفذها من هذه الحيرة وهنا يظهر الشيخ النوراني المرشد ليأخذها إلى عالم حيوانات وبشر وهوام ولا بد أن تتحرر النفس من هذه الرذائل.

تبدأ رحلة العروج بالتخلص من عنصر التراب لأنه أثقل العناصر حيث المستنقعات وقطعأن الذئاب والكلاب والفئران والثعابين والخناذير، وهي رذائل مليئة بصفات البخل والحسد.

والمرحلة الثانية هي مرحلة عنصر الماء حيث البحر الواسع الذي يخشاه الإنسان (المريد) فيشجعه المرشد لاجتيازه بالتخلص من كل ما يمت بعالم التراب، ويتجه نحو البحر حيث يرى جماعة تمثل الكسل وهم يفتحون أفواههم في بلاهة انتظارًا لقطرات الندى، وهم في كسل عقلي ووجداني.

ويخرج وادي النار حيث السحرة ويخشى المريد ويشجعه الشيخ فيعبره إلى عالم الأفلاك وهو عالم بين الكون والفساد وعالم الملكوت، بين عالم الفناء وعالم الخلود وهذا يمر بكواكب الزهرة والمريخ والمشتري وغيرها من الكواكب ويصل إلى دائرة العقل الكلي.

**ابن سينا وقصيدته العينية:** ويتناول ابن سينا في قصيدته العينية سعي الروح للصعود من الجسم الفاني إلى عالم الخلود بقوله:

| | |
|---|---|
| هبطت إليك من المحل الأرفع | ورقاء ذات تعزز وتمنع |
| وصلت على كره إليك وربما | كرهت فراقك وهي ذات توجع |
| تبكي إذا ذكرت عهود بالحمى | بمدافع تهمي ولم تتقطع |
| إذا عاقها الشرك الكثيف وحدها | قفص عن الأوج الفسيح المربع |
| فلاي شيء أهبطت من شامخ | عال إلى قعر الحضيض الأوضع |
| إن كان اهبطها الإله لحكمة | طويت على الفذ اللبيب الأروع |
| وهبوطها إن كان ضربة لازب | لتكون سامعة بما لم تسمع |

**فريد الدين العطار ومنظومته منطق الطير:** وتأتي قصة المعراج عند فريد الدين العطار في منطق الطير في منظومة طولها أربعة آلاف بيت تدور حول هجرة ثلاثين طائرًا "سي مرغ" إلى اللقاء سيمرخ والطيور ترمز للمريدين أهل الصوفية السالكين، والعنقاء هي الحق سبحانه وتعالى.

تدور القصة حول اجتماع ثلاثين طائرًا يتزعمهم الهدهد وقد قرّروا الوصول إلى العنقاء، وعندما تقرر ذلك أخذ كل طائر يلتمس عذرًا حتى لا يسافر هذا السفر الطويل فاعتبر البلبل والببغاء والطاؤوس والحجلة والبجعة والهما (وهو طائر أسطوري وهمي) والصقر والعصوة.

وتمثل هذه الأعذار أعذار البشر وأخذ الهدهد يرد على أعذار الطيور ويضرب المثل والحكاية، وتقرر الطيور المشاركة في الرحلة بزعامة الهدهد، وهو رسول الهداية إلى بلقيس وقومها.

سلك الطيور الثلاثون سبعة أودية هي وادي الطلب والعشق والمعرفة والاستغناء والتوحيد الحيرة والفقر والغنلء وتمكنت خلال هذه الأودية من التخلص من قيود النفس وأمراضها ووجدت ضالتها حين نظرت في آخر الرحلة إلى نفسها فوجدت صورتها فهي (سي مرغ) هي نفسها "سيمرغ" والوديان السبعة

هي المقامات التي يمر بها المريد للوصول إلى الله وتعبر هذه المنظومة عن فكرة الصوفية حول "الفناء في الله".

**الإسراء والمعراج في الأدب التركي والأردي:** وفي الأدب التركي جاءت قصة المعراج ضمن أشعار شعراء التركية ولكنها لم تصل إلى مستوى ما وصلت إليه عند أدباء الفرس.

وكانت منظومة محمد إقبال "جاود نامه" (رسالة الخلود) تدور حول فكرة العروج ومنها نجد إقبال هو المريد الذي اتخذ جلال الدين الرومي شيخًا مرشدًا له للوصول إلى الحضرة الإلهية، وجلال الدين الرومي هو إمام أهل التصوف الذي دعا المسلمين إلى العشق وقد انتشرت دعوته في طريقته المولوية والتي انتشرت في تركيا والبلاد العربية.

وقد قام إقبال بعرض عروج الإنسان بالروح ةالجسد معًا خلافًا لما أورده ابن عربي من عروج الروح فقط وهنا تشابه كبير بين الرومي ومحمد إقبال في فكرة الإحساس بالغربة وقرب الذات الإلهية وقوة العشق وتحقيق الخلود وحقيقة الموت ومبدأ الحركة.

التف أدباء المسلمون للنهل من قصة المعراج واتخاذها رمزًا يبثون فيها أفكارهم وثقافتهم التي ورثوها إسلاميًا أو محليًا أو تأثرًا من ثقافات أخرى إلا أن الأثر الإسلامي كان أكثر وضوحًا حين بهتت المؤثرات الأخرى.

# المقامات الهندية، دراسة تحليلية

## MUQAMA AL-HINDIYYA (ANALYTICAL STUDY)

د. أنيس الرحمن خرّم*

**ABSTRACT**:

*This valuable manuscript, reserved in rear book section of National Library of Government of India, Kolkata is an important source about Indian history, civilization and culture. The writer " As-Sayyad Abu Baker bin Mohsin Ba'abud Al-Alvi is a great Arabic scholar who came from Yemen and settled in Surat, Gujrat, wrote a book, in 1128 A.H, namely " Al-Muqama Al-Hindiyya. " المقامة الهندية" on the pattern of Maqama ( story), after visiting India and deeply Studying its civilization, culture and social system. The manuscript contains on fifty one Stories and each and every story's name is on the cities of Indian Sub-content and its region.*

**KEYWORDS:** Muqama Al-Hindiyya, manuscript, Mohsin Ba'abud Al-Alvi, Arabic, scholar

**الكلمات المفتاحية:** المقامات الهندية ، مخطوطة، محسن باعبود العلوي،العربية ، علماء

**الملخص**

لعبت الهند وأبناؤها دورًا رياديًا وفعالًا في كل صنف من أصناف الأدب العربي فلهم قسط وافر في الشعر العربي كما لهم حظ وافر في النثر العربي كما لهم مساهمات جليلة في النحو العربي والصرف وهكذا لهم دور كبير في تحقيق المخطوطات وتدوينها وإعادة النظر فيها. ولو قمنا بذكر هذه كلها لطال البحث ولضاق المجال. فنقصر هنا على مجموعة مقامات ما زالت مخطوطة حتى الآن وهي كتبها العا لم الجليل والأديب الكبير السيد أبو بكربن محسن باعبود العلوي السورتي الذي قدم من اليمن الميمون وسكن بمدينة "سورت" بولاية غجرات الهندية، على منوال وأساليب مقامات بديع الزمان الهمداني ومقامات الحريري والمقامات الزينية وأكملها في سنة ١١٢٨ للهجرة. وفيها واحدة وخمسون مقامة وكل منها يحمل اسمًا من أسماء مدن شبه القارة الهندية أو مناطقها، ويذكر فيها عن ثقافات الهند وتقاليد سكانها وعاداتها ومعتقداتها. هذه المخطوطة النادرة توجد في قسم النوادر من المكتبة الوطنية الهندية بمدينة كلكتا، وهي تشتمل على اثنتين وستّين ورقة.

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة العالية، كولكاتا، بنغال الغربية

إن هذه المجموعة كما تدل على طول باع الهنود في المقامات كذلك فهي أيضًا تشير إلى أنهم لم يتخلفوا في أي مجال من مجالات اللغة العربية وآدابها. إن كذلك دليل علمي قوي على ثقافة الهند وحضارتها وما اعتادوا عليها من العادات والتقاليد والمراسم. وفيما يلي دراسة موجزة لهذه المجموعة ولحياة صاحبها التي لم نقف عليها إلا قليلًا نادرًا.

**المدخل في الموضوع:**

هذه المخطوطة النادرة الموجودة في قسم النوادر من المكتبة الوطنية الهندية بمدينة كلكتا، تشتمل على اثنتين وستّين ورقة، كتبها العالم الجليل والأديب الكبير السيد أبو بكربن محسن باعبود العلوي السورتي الذي قدم من اليمن الميمون وسكن بمدينة "سورت" بولاية غجرات الهندية، على منوال وأساليب مقامات بديع الزمان الهمداني ومقامات الحريري والمقامات الزينية وأكملها في سنة ١١٢٨ للهجرة. وفيها واحدة وخمسون مقامة وكل منها يحمل اسمًا من أسماء مدن شبه القارة الهندية أو مناطقها، ويذكر فيها عن ثقافات الهند وتقاليد سكانها وعاداتها ومعتقداتها.

**موجز عن المؤلف:**

لم تتوفر المعلومات عن الحياة العلمية والأدبية لمؤلف هذا الكتاب في كتب التراجم من عصره مثل "سبحة المرجان في آثار هندوستان" و"أبجد العلوم" و"تذكرة علماء الهند" والمراجع الهندية المعروفة التي تنطق عن أحوال العلماء في عصره إلا في "نزهة الخواطر في بهجة المسامع والنواظر"، وفيها ورد ذكره في أربعة سطور فقط، وهي: "الشيخ العالم الكبير العلامة أبو بكر بن محسن باعبود العلوي السورتي أحد الأدباء المشهورين من أهل اليمن الميمون، قدم الهند وسكن بمدينة "سورت" له "المقامات الهندية" فيها خمسون مقامة، عزى روايتها إلى الناصر بن الفتّاح ونشأتها إلى أبي الظفر الهندي، صنّفها سنة ثمان وعشرين ومئة وألف"(١) وهكذا لا نجد ذكر أي كتاب آخر له غير المقامات في أمهات المصادر، أمثال "معجم المؤلفين" لعمر رضا كحالة و"إسهام الهند في الآداب العربية" لزبيد أحمد الهندي، بالرغم من أن هذين المصدرين الأساسيين يبحثان عن علماء الهند وإسهاماتهم في مجال اللغة العربية والدراسات الإسلامية ولكنهما صامتان عن مؤلف هذا الكتاب. أمّا المتأخرون المعاصرون كأمثال الدكتور أحمد إدريس والدكتور سيد رضوان علي الندوي اللذين قاما بأعمال جليلة في مجال اللغة العربية وآدابها في الهند وكلاهما قد كتبا عن المقامات الهندية بالتفصيل في كتابهما "الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين" وفي "اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية الباكستانية عبر القرون" على التوالي. ولكنهما اعتمدا فيما كتبا عن مؤلف هذا الكتاب على "نزهة الخواطر في بهجة المسامع

والنواظر" لعبد الحي الحسني، وهو ما ذكرناه في بداية المقال، وبناء على ذلك نجد أن المصدر الوحيد للمعلومات عنه ليس لدينا إلا "نزهة الخواطر في بهجة المسامع والنواظر"، لا غير، وهذا الكتاب الذي يذكر فيه المؤلف عن قدومه إلى الهند وحنين وطنه بقوله: "فيقول خادم خدّام الحديث النبوي السيّد أبو بكر بن محسن باعبود العلوي: لما رماني البين لسهام الاغتراب. وفارق بيني وبين الوطن والأحباب خرجت ذات يوم بعد صلاة العصر إلى متنزه مع أدباء العصر واستصحبت معي المقامات الحريرية والنوابغ والمقامات الزينية(٢) وكان معنا جماعة ليس تعلق بعلوم العربية والاطلاع على النكت الأدبية"(٣) فإذا يتضح لنا في ضوء هذا الكتاب أنّه عاش في الهند غريب الديار وبعيدًا عن الأصدقاء والأحباب، وكتب للهنود في أسلوب أسهل من المقامات الأخرى.

وهكذا لا نستطيع أن نقول بالضبط عن مولده ووفاته. ولكن في نهاية المخطوطة نجد سنة كمالها وهي عام ١١٢٨ للهجرة، كما جاء في هذه العبارة "قال سيدنا مولانا العالم العلامة الأديب السيد الجليل عبد الله بن جعفر مدبر سلّمه الله تعالى مؤرخًا عام إنشاء هذه المقامات:

| | |
|---|---|
| تجلّت فجلت براعته | ورافت فرفت عبارته |
| هام مقامات السعادة | علت بالمزايا بحالاته |
| ومنها التي عام تحريرها | حوت كل كنز مقاماته |

سنة ١١٢٨ للهجرة. (٤)

فهذا يدل على أنه قد توفي بعد هذا العام.

يقول الدكتور أحمد إدريس في كتابه "الأدب العربي في شبه القارة الهندية": "ولم يعرف تاريخ هجرته إلى الهند، ولكن أسلوبه في مقامات الهندي يدل على أنّه وصل إليها في سنّ مبكر وعاش بها حتى فسدت عربيته، وغلب عليه لسان الهند"(٥)

**المقامات الهندية:**

قد ذكر هذا الكتاب كثير من الباحثين والمحققين مثل الدكتور أحمد إدريس في "الأدب العربي في شبه القارة الهندية حتى أواخر القرن العشرين" والدكتور سيد رضوان علي الندوي في "اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية الباكستانية عبر القرون" باسم "المقامات الهندية" و"مقامات الهندي" ولكن الاسم المكتوب لهذا الكتاب في المخطوطة التي قام بنقلها ونسخها السيد الحسيب بأمر منشي محمد حسن

هو "المقامات الهندية" وهكذا ذكر العلامة عبدالحي الحسني في كتابه "نزهة الخواطر في بهجة المسامع والنواظر" كما سبق ذكرها. وفي المخطوطة توجد ختمان: ختم المكتبة الجلالية، بهار(٦)، بمديرية بردوان من ولاية بنغال الغربية. وختم مكتبة إمبيريل (Imperial Library)، المكتبة الوطنية لحكومة الهند في عهد الإنكليز، مع ذكر التاريخ ٠٤-Dec ٢٢. معنى هذا أنّ تسجيلها في المكتبة المذكورة قد تمّ في هذا العام وقبل ذلك كانت في المكتبة الجلالية.

وفي النهاية يذكر الكاتب السيد الحسيب تاريخ تكميلها في اللغة الفارسية ولكن لا يوجد فيه ذكر السنة. والعبارة هي: "تمام شد اين كتاب بتاريخ جهار ودهم شهر شوّال روز سه شنبه بعون الهي بموجب فرمايش منشي محمد حسن سلّمه الله تعالى دام إقباله."(٧) أي: تم نقل الكتاب (من النسخة الأخرى) بأمر محمد حسن سلّمه الله تعالى دام إقباله، يوم الاثنين في الرابع عشر من شهر شوّال بعون الله تعالى. وهذا أيضًا غير واضح، هل نقلها السيد الحسيب من المخطوطة الأخرى أو من الكتاب الذي طبع باسم "مقامات الهندي" من مطبعة الأتاليق بدلهي، سنة ١٢٩٢هـ(٨)

والكتاب يشتمل على واحدة وخمسين مقامة وتحمل كلها اسما من أسماء المدن شبه القارة الهندية أو منطقتها كمقامة بنكالة والكشميرية وهكذا. والمقامات هي كما تلي: المقامة الأولى السورتية والثانية أحمد نكرية والثالثة بيجافورية والرابعة السكرية والخامسة أحسن آبادية والسادسة حيدراآبادية والسابعة أورنك أبادية والثامنة البرهانبورية والتاسعة اللاهورية والعاشرة السرهندية والحادية عشرالتنسيرية والثانية عشر الكرنالية والثالثة عشر شاه جهانا بادية والرابعة عشر الأكرادية والخامسة عشر باني بتية والسادسة عشر أحمدابادية والسابعة عشر مراد آبادية والثامنة عشر البنارسية والتاسعة عشر الجونفورية والعشرون الملتانية والحادية والعشرون أجميرية والثانية والعشرون الكشميرية والثالثة والعشرون البنكالية والرابعة والعشرون البتنية والخامسة والعشرون القواليرية والسادسة والعشرون الصريحية والسابعة والعشرون البارية والثامنة والعشرون شمس آبادية والتاسعة والعشرون الزولية والثلاثون إله بادية والواحدة والثلاثون الوجينية والثانية والثلاثون دقلورية والثالثة والرابعة والثلاثون الأودية واللكنوية والخامسة والثلاثون ظفرابادية والسادسة والثلاثون الكليانية، ويذكر في ضمن هذه المقامة "مقامة بندر كبنانة كما هو يقول: "روى الناصربن الفتّاح قال حداني حاد الرشاد والهدانة إلى البلد المعروف ببندر كبنانة، واجتمعت بمن فيها من الأخبار"(٩) والسابعة والثلاثون البرنكيرية والثامنة والثلاثون رسول نكرية والتاسعة والثلاثون البروجية والرابعون البرملية والحادية والرابعون المترية والثانية والأربعون الراجبورية والثالثة والأربعون البرارية والرابعة والأربعون الناقية والخامسة والأربعون كليان والسادسة والأربعون مرشدابادية والسابعة والأربعون هقلي

بندرية والثامنة والأربعون الخيبرية والتاسعة والأربعون التقميرية والخمسون السيالكوتية. واستخدم كلمة " المقالة" بدلًا عن المقامة من الثالثة والعشرون إلى نهاية المقامة الخامسة والأربعون.

ويعزو المؤلف رواية هذه المقامات إلى الناصر بن فتاح ونشأتها إلى أبي الظفر الهندي الذي أيضا يعرف أحيانًا أثناء حكاية القصة بالشيخ النجدي كما هو يقول: فقال هذا رجل خبيث له في الخبائث القديم والحديث، ويعرف تارة بالشيخ النجدي وأخرى بأبي الظفر الهندي"(١٠)

ويشير المؤلف في المقدمة بعد الحمد والصلاة إلى غاية تاليف المقامات بقوله: "فيقول خادم خدّام الحديث النبوي السيد أبو بكر بن محسن باعبود العلوي لما رماني البين بسهام الاغتراب، وفارق بيني وبين الوطن والأحباب خرجت ذات يوم بعد صلاة العصر إلى المنتزه، مع بعض أدباء العصر واستصحبت معي المقامات الحريرية والتوابع والزينية، وكان معنا جماعة ليس لهم تعلق بعلوم العربية ولا اطلاع النكت الأدبية، فنفرت طباعهم، حتى صار الواحد منهم لا يجيب من ناداه، ولا شك أن جهل شيئًا عاداه، عند ذلك أشار علي بعض من حضر بإنشاء مقامات يفهمها القاصي والداني، غير محتاجة ألفاظها إلى التفتيش في كتب اللغة والمعاني. فأنشأت هذه المقامات حسب الإشارة، وتجنبت الوحشي والغريب في العبارة. وعزوت روايتها إلى الناصر بن الفتاح ونشأتها إلى أبي الظفر الهندي. فليعذر الواقف عليها والناظر إليها. وهي وإن كانت غير محكمة الصياغة لا يخلو من ملح يعرفها أهل البراعة والبلاغة".(١١)

قد كتب المؤلف هذه المقامات، حينما كان هو مقيمًا في الهند بعيدًا عن وطنه اليمن الميمون، على منوال وأساليب المقامات الحريرية والمقامات الزينية ولكنه اجتنب وأعرض عن استعمال الكلمات الغريبة والنادرة والألفاظ والتراكيب الصعبة في العبارة التي يحتاج القارئ إلى تفتيشها وتشريحها في كتب اللغة والمعاني والبيان، لكي يتمتع بها القاصي والداني على حد سواء. ويشيرإلى ذلك في المقدمة بقوله: "فعند ذلك أشار علي من حضر بإنشاء مقامات يفهمها القاصي والدانى غير محتاجة ألفاظها إلى التفتيش في كتب اللغة والمعاني، فأنشات هذه المقامات حسب الإشارة، وتجنبت الوحشي والغريب في العبارة".(١٢) ولايستطيع القارئ أن يقول باليقين في ضوء هذاالكتاب، عن الحوادث والقصص والأحوال السياسية والدينية والتقاليد الهندية وعادات سكانها التي ذكرها العلوي على منهج المقامة، هل شاهدها بنفسه أو اكتفى بسمعها أو اعتمد على المصادر والمراجع الأخري؟ فلا أقول في ضوء العبارات بهذا الشان باليقين، إنه قد قام بزيارة المدن الهندية المذكورة جميعًا أو عددا منها التي تنتشر في طول شبه القارة الهندية وعرضها، إلا بعض الأحيان يحس القاري أنه قد زار المدينة بنفسه وعاش في بيئتها وتنفس

في مناخها وشاهد تقاليدها وعاداتها وانتقد على معتقدات أهلها وسكّانها وهنا أذكر علي سبيل المثال أحوال مدينة "هقلي بندر" بولاية بنغال الغربية في مقامة تعرف ب"هقلي بندرية". يقول المؤلف: "رأيت مجلسه (مجلس بيرزاده) قد ملي من كل مكروه ومحذور ورأيت أهل تلك الجهة يقبّلون مواضع أقدامه ويبالغون في تعظيمه واحترامه يأتون لرؤيته في العذوه الرواج ويعتقدون أنّ كل حرام له مباح حتى أنه لو طلب بنت أحدهم أو زوجته لأرسلها إليه ويرى أنّ المنة في ذلك عليه ورأيته يوما يأكل في أواني الذهب فقلت في نفسي ما إليه العجب ما بال أهل هذا الملك يظهرون بعض شعائر الإسلام ولا ينهون عن المكروه والحرام وسرت أن ادركت جماعتي الذين معهم أغراضي وبضاعتي ثم بعد مدة أقبل بطوله وأعلامه يرف به جمع من أتباعه وخدّامه وسحر أهل البلد بسحره وخدعهم بخدعه ومكره واستولى أولادهم وعيالهم فضلًا عن أماكنهم وأموالهم.(١٣) وفي هذه العبارة هو يحكي أحوال الضرائح (المزارات) في الهند، خاصة في مديرية هقلي وسحر بنغال، كأنه قد قضى أيّامًا فيها ورآها وشاهد جميع المكروهات والمنكرات والعجائب بنفسه ونظر إليها بنظرة غائرة واستدركها بالدقة والإمعان.

ويقول في مقامة اسمها قواليرية: "ساقتني المقاديرإلى الأحتياز بقلعة قوالير، فرأيتها كأنها تنام النجوم وتستر بالغيوم او تروم الاطلا ع على ما في اللوح من القضاء المحتوم، قد بعد في السماء مرتقاها–حتى يساوي ثراها مع ثراها– ممتنعة على الصلب والطالب، منصوبة على أضيق المسالك وأذعر المناصب، فاشتقت إليها والتفرج على ما فيها، فقيل لي إنّ ليس لأحد إذن في دخولها ونزولها لأن الملك إذا غضب على أحد أرسله إلى واليها ليحبسه في أعاليها ثم أنيّ بذلت شيئًا من مالي لبعض خدّام الوالي وألبسني لباس المؤكلين بالحبس وقال أدخل أنت مطمئنين النفس ولما دخلت اقشعر مني الإهاب لأن ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب ورأيت رجلًا ومنهم قد طالت أظافيرهم وشعورهم كأنّهم من الأموات".(١٤) هذه القلعة تقع على قمة جبل، وهذا أيضًا من الحقائق التاريخية أنّ الملوك في العصور الماضية، خاصة في العصور الوسطى كانوا يحبسون الأسارى والملك المنهزم في الحروب والمخلوع من عرشه في قلعة قوالير.

ويبين في المقامة الكشميرية عن تقاليد وعادات سكّان الولاية بمناسبة حفلة الزواج بهذه العبارة: "حضرت إملاك أمير كبير بمدينة كشمير ليلة أربعًا وتسع وعشرين من شهر صفر في السنة الرابعة من ولاية السلطان فرخ سير فدعا دعوة جفلى جمعت الأعالى والسفلى واجتمع بها البدو والحضر وأهل الوبر والمدر وبكرت قبل مجي الناس لتحصيل مكان عند الصدور والرأس ولما دخل القوم جميعًا وضاق بهم المجلس بعد أن كان وسيعًا، قدّم لهم الطعام في آنية الذهب والفضة والماء في أواني البلو من كل ما

تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وتشرح به الصدور والند والعنبر عليهم يدور وفي صدر المجلس ولدان أعارو الحسن للولدان والحور أحاط بهم الناس إحاطة الهالات بالبدور ويتعجبون مما حضّهم الله به من الكمال والبهاء والنور، فسألت عنهم فقيل إخوان العروس.(١٥)

ويقول في مقامته البنارسية: "سافرت مع رجال من فارس إلى مدينة بنارس، ورأيت بيوتها الوثيقة وحدائقها الأنيقة وفيها من الورود ما يشبه الخذود وربلها شقيق نضير وليس له من شفيق ولا نظير. وفيها البطيخ الأخضر والخيار والتوت الخاضت للأنامل والجلنار والنسيم الساري في الهياكل والماء العذب في حلل الأكواب رافل فأتخذت وطنًا وأخذت بها سكنًا ومكثت بها زمنًا أنتعم بالنعم الصافية والملابس الصافية الفروش الوثيرة"(١٦)

هذه المعلومات الدقيقة والأخبار الصحيحة عن الأماكن التاريخية والدينية والمدن الهندية التي تعرف بصنعتها الخاصة والتقاليد والعادات التي كانت رائجة وسائرة بين الناس والمذاهب والمسالك التي كان الناس يعتقدون بها ويمارسون عليها والملبوسات والطعام والأواني التي يلبسونها ويأكلونها فيها بمناسبة الأعياد والاحتفال يشير إلى أن المؤلف قد شدّ الرحال إليها وقضى الأيام معهم حتى اطلع على ظاهرهم وباطنهم.

روى الناصر بن الفتاح قال دخلت على حاكم إله آباد فرايته يسأل سيّاحًا عن أحوال البلاد فقال السيّاح أما في الحقيقة والمجاز فلم أر أحسن من أهل الحجاز وأما في العلوم الباطنة والظاهرة فلم أر أعرف من أهل مصر والقاهرة، في طهارة القلوب والتنزه عن الدرن فلم أسمع بأحسن من أهل اليمن وأما في التنعم في الملابس والطعام فلم أشاهد مثل إيران والشام أما في الغلظ والقساوة فلم أر مثل وادي سماوة وأما في النجدة والباس فلم أر مثل أهل الروم وفاس وأما في الحكم والصناعات التزيين والتحسين فلم أر مثل أهل الهند وأهل زيرا آباد والصين وأما في حسن البحث ولكن مع الشقاق فما رأيت كأهل العراق.(١٧)

في هذه المقامة هو يبين الأقوال السائرة والحكم المأخوذة من خبرة الحكماء والعلماء والسيّاح كسعدي الشيرازي والبيروني والإدريسي والمسعودي وابن بطوطه وغيرهم، والشائعة على ألسنهم وألسن الناس من عبر العصور.

ويقول بلسان ناصر بن الفتاح في مقامة برار: "دخلت إلى برار في يوم مات فيه كبير الكفّار ولذلك الكافر امرأة فائقة الجمال عديمة الشكل والمثال ولأجل محبها لبعلها والفخرعند ترابها عزمت على أن تحرق نفسها معه بالنار لتكسب ذلك الافتخار لأن من عاداتهم القبيحة أن المرأة إذا أحرقت نفسها مع

زوجها تموت على الملّة الصحيحة ويثبتون على موضع الحريق قبّة عالية ويضمحونها بالطيب والغالية وإذ هموا بإحراقها وعزموا فراقها بنوا من الحطب فيه عظمته وأحاطوا بها ليلًا وتجاف المرأة وتقصد الهزيمة ثم تقبل المرأة في حليها وحللها بعد وداع أقربائها وأهلها وتجلس في وسط الحطب وتصنع الميت على رجليها والنّاس ينظرون إليها ويتفرحون عليها وتضرم النار في الحطب من الأربعة الجوانب والخلق ما بين متفكر وضاحك ونادب".(١٨)

في هذه المقامة هو يشير إلي التقاليد الشنيعة والعادات القبيحة (ستي: "إحراق الزوجة مع نعش زوجها" التي كانت رائجة وسائرة في جميع أنحاء بلاد الهند وبقيت حتى في زمننا هذا، ولو نادرًا، لدى الهندوس، وخاصة لدى طبقة شتري وراجبوت.

وبما أنّ المؤلف في مقاماته يحكي قصص الاحتيال والخداع في معظم الأحيان ويسلك على أسلوب الفكاهة والسخرية بعض الأحيان وألّفها على منوال المقامة وسلك على أساليبها وبنيتها الخاصة، وهي حديث قصصي يرويه راو بليغ، ظريف، يتوسّل الاحتيال، ويتقن الخداع، تحصيلًا للعيش والارتزاق، ولكن بالرغم عن ذلك نجده في بعض مقاماته متأثرًا باالفكرة الرئيسية من مقامات الحريري والآخرين كما نجده في المقامة الأحمد نكرية يأخذ الفكرة الرئيسية من مقامة الحريري التبريزية، قد قام بتحريرها بعد تغييرها وتهنيدها في أسلوب ومنهج أضعف من مقامات الآخرين.

وفي مقاماته نحن نجد أنه يقول الشعر أيضًا حسب الأحوال والظروف لإظهار أحيلته وإثبات أقواله وإتمام حجته. فيصف جمال الهند ومحاسن بيئتها الرائعة وأزهارها الجميلة وعيونها الصافية العذبة في أشعار له عند قدومه الهند في مقامته السورتية:

| | |
|---|---|
| جنة الحسن هنا يا عاشقين | ذات أزهار و كأس معين |
| وورود تجتني في كل حين | أدخلوها بسلام آمنين (١٩) |

ويقول في مقامة تعرف بإسم الكليانية :

| | |
|---|---|
| من لم رسول الله مقتديا | فرجله في صراط الحق ما رسخت |
| ولو يسير على الافلاك قل | ويح نفسك يا هذا مسخت (٢٠ ) |

ويقول في مقامته الرابعة، وهي " السكرية"

| | |
|---|---|
| بين قوم لا يحسنون حديثا | بل ولم يعرفوا طريق الرشاد |

| | |
|---|---|
| لا يرون سيادة لشريف | دينهم في الورى كدين زياد (٢١) |

ويقول في مقامته "العشرون" وهي الملتانية:

| | |
|---|---|
| رأيت ظبيا وظبيا قد سمعت به | كلاهما كقضيب البان والأسل |
| الشمس عن إدراك حسنهما | والبدر قد أدركته لوعة الخجل |
| جاز اللطافة من فرع إلى قدم | هذا وذاك كهذا يا أخا النبل |
| فصرت في حيرة مما أكابده | أصبو لأيهما يا قلة الحيل |
| فأنشدتني لسان الحال ناصحة | بيتا بديعا له التقديم في المثل |
| خذ ما رأيت و دع شيئا سمعت به | في طلعت الشمس ما يغنيك عن زحل " (٢٢ ) |

وهو أيضًا يسخر من عقائد أهل التصوّف وينتقد على أعمالهم القبيحة وبعدهم عن الدين الحنيف والصراط المستقيم. لعله كان بسبب مذهبه وعقيدته كما ذكر المؤلف في المقدمة لنفسه "خادم خدّام الحديث النبويّ"(٢٣) ويقول المؤلف في مقامته "هقلي بندرية" بأسلوب سخريّ: "رأيت مجلسه (مجلس بيرزاده) قد ملي من كل مكروه ومحذور ورأيت أهل تلك الجهة يقبّلون مواضع أقدامه ويبالغون في تعظيمه واحترامه ويأتون لرويته في العذوه الرواج ويعتقدون أنّ كل حرام له مباح حتى أنه لو طلب بنت أحدهم أو زوجته لأرسلها إليه ويرى أنّ المنه في ذلك عليه ورأيته يوما يأكل في أواني الذهب فقلت في نفسي ما إليه العجب ما بال أهل هذا الملك يظهرون بعض شعائر الإسلام ولا ينهون عن المكروه والحرام".(٢٤)

**خاتمة البحث:**

إنّ المؤلف في مقاماته يحكي قصص الاحتيال والخداع على أساليب المقامة وبنيتها الخاصة، وهي حديث قصصي يرويه راو بليغ، ظريف، يتوسّل الاحتيال، ويتقن الخداع، تحصيلًا للعيش والارتزاق، وفي معظم الأحيان يسلك على منوال وأساليب مقامات بديع الزمان الهمداني ومقامات الحريري والمقامات الزينية وبعض الأحيان يختار أسلوب الفكاهة والسخرية ونجده في بعض المقامات قد أخذ الفكرة الرئيسية من مقامات الحريري والآخرين فغيّرها وهنّدها ثم قدّمها في أسلوب ومنهج له.

**المصادر والمراجع**

١ - عبد الحئي الحسني: نزهة الخواطر في بهجة المسامع والنواظر، الجزء الخامس،ص:٦ ، طيّب أكيدمي ، ملتان.

٢ - وهي من تاليف الشيخ شمس الدّين ابوالندى المعروف بإبن الصيقل الجزري المتوفى سنة ٧٠١ هـ ، كما ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون. (٢ / ١٧٧٥ )

٣ - السيد أبوبكر بن محسن باعبود العلوي السورتي: المقامات الهندية ( مخطوطة) ص: ١ ، المكتبة الوطنية ، كولكتا.

٤ - المصدرالسابق، ص: ٦٢

٥ - الدكتور أحمد إدريس: الأدب العربي في شبه القارة الهندية ، ص: ٣٧٧

٦ - قد أسس منشي صدرالدين في هذه القرية مدرسة لمولانا بحرالعلوم لما قدم هوإليهاعلى إلتماسه ومكتبتها كانت مملوءة بالكتب والمخطوطات العربية النادرة. أخذها الحاكم الإنجليزي لارد كارزن لمكتبة إمبيريل (Imperial Library) المكتبة الوطنية للهند في عهد الإنجليز وألآن جميع الكتب موجودة بإسم مجموعة (كتب) بُهار في المكتبة الوطنية بمدينة كولكتا.

٧ - السيد أبوبكر بن محسن باعبود العلوي السورتي: المقامات الهندية ( مخطوطة) ص: ٦١ ، المكتبة الوطنية ، كولكتا.

٨ - الدكتور سيد رضوان علي الندوي: اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية الباكستانية عبرالقرون، ص٢٧٤ ، مطبعة مكرّم، كراتشي، باكستان.

٩ - السيد أبوبكر بن محسن باعبود العلوي السورتي: المقامات الهندية ( مخطوطة) ص: ٤٤ ، المكتبة الوطنية ، كولكتا.

١٠ - المصدر السابق ، ص: ٤

١١ - المصدر السابق ، ص: ١

١٢ - المصدر السابق ، ص: ١

١٣ - المصدر السابق ، ص: ٥٨

١٤ - المصدر السابق ، ص: ٢٨

١٥ - المصدر السابق ، ص: ٢٥

١٦ - المصدر السابق ، ص: ١٩

١٧ - المصدر السابق ، ص: ٣٥

١٨ - المصدر السابق ، ص: ٥٣

١٩ – المصدر السابق ، ص: ٢

٢٠– المصدر السابق ، ص: ٤٢

٢١– المصدر السابق ، ص: ٥

٢٢– المصدر السابق ، ص: ٢٧

٢٣– المصدر السابق ، ص: ٠١

٢٤ – المصدر السابق، ص:٥٨

# الصِحافة العربية في الهند

## ARABIC JOURNALISM IN INDIA

أبو آدم فريد أحمد بن عبد الحفيظ الهندي [١]

(الحلقة الأولى)

**ABSTRACT:**

*Since ancient period Arabic was welcomed by the Indians. They learnt it and became wel versed in it. It is narrated that Kaurav and Padav carried out secret talks in Arabic. But when the Muslim reached India and they captured a great deal of this country they started promoting Arabic in a new way; they opened Arabic schools and made Arabic necessary in areas of Sind.*

*But after this Arabic journalism could not florish in Indis. The Muslims wrote books and composed poems in it but they did not start Arabic journalism. It began only in 19th century when 'Al-Nafa al-Azim lAhl-i-Haza al-Iqlim' was issued in 1871. It was followed by a huge number of journals and magazines which I have mentioned in this article.*

*This articles deals with the Arabic journalism since its birth till 2010. I have taken all journal and magazine with a short introduction to it pointing out its distinctions. In fact ninety nine percent of the Arabic journalism is supported by the private and personal efforts only a total of two-three journals are issued by the government. This is a thorough study of these journals.*

**KEYWORDS:** Arabic, journalism, India, journals, Muslims

**الكلمات المفتاحية:** الصِحافة ،العربية ، الهند، مجلات ، مسلمون

**الملخص**

ولو أن اللغة العربية وصلت إلى الهند في فجر تاريخها وانتشرت وتروّجت وتطوّرت حتى عمّها تدريسها والتأليف فيها. أما الصحافة العربية فقد ابتدأت فيها بصدور مجلة "النفع العظيم لأهل هذا الإقليم" في ١٨٧١م ثم توالت المجلات والصحف والجرائد وهي تصدر وتتوقف وتصدر حتى نرى اليوم عددًا هائلًا من المجلات والجرائد السنوية ونصف السنوية والفصلية والشهرية ونصف الشهرية. وليس هذا فحسب

[١] باحث، قسم شعبه علوم الاساسي ، جامعة دلهي، نيو دلهي، الهند

بل هناك مجلات لا تطبع بل هي تنشر إلكترونيًا فهنا مجلة "شفاء الصدور" و"الجامعة" و"البيان" و"مجلة كاليكوت" ومجلة "البشرى" ومجلة "البعث الإسلامي" ومجلة "التاريخ الإسلامي" و"مجلة الهند" ومجلة "الشروق" وغيرها مما لا يحصى عدّها حتى نجد أن مؤسسة واحدة تنشر العديد من المجلات.

هذه المجلات لها أهداف وغايات فمنها إسلامية، ومنها وطنية، ومنها ثقافية، ومنها علمية، ومنها بحثية، ومنها أدبية، ومنها تاريخية. والعجب أن معظم هذه المجلات لا تتمتع من دعم مالي من قبل الحكومة بل هي تصدر إما على النفقات الشخصية أو العامة. قمت في هذه المقالة بالتعريف الوجيز بمعظم المجلات الصادرة عن الهند والباكستان كما ذكرت هل هي تصدر الآن أم قد توقّف صدورها كما أشرت إلى ميزاتها وأهدافها والجهات التي تقوم بتدعيم نشرها وإذاعتها.

ولقد تركت فيها المجلات التي صدرت بعد السنة ٢٠١٠م وسأتناول مثل هذه المجلات بالبحث والدراسة فيما بعد إن شاء الله ومن أبرزها مجلة الهند التي قد غيّرت مجرى الصحافة العربية الهندية وأصبحت معلمًا لما صدرت بعدها من المجلات العلمية والأدبية. إنها مجلة قد حضيت بالتقدير والتقييم من قبل العلماء والباحثين العرب.

## مدخل في الموضوع:

كانت الصِحافة العربية قد بدأت في الهند البريطانية في آخر القرن التاسع عشر للميلاد عندما كانت الصِحافة الإنجليزية والصِحافة المحلية تحققان تقدمًا في تطورها، وفي جانب آخر، كانت الجرائد والمجلات الأردوية والفارسية تنشر أيضًا على نطاق واسع.

فهنا سؤال: ما هي الأسباب بالتي تخلفت بها الصِحافة العربية في الهند؟

وللإجابة على هذا نقول:

الأول: ما زالت اللغة العربية في ذلك الحين بالهند تُعَدُّ لغة مقدسة كسنسكريتية، فالعلوم الإسلامية التي كانت تُدْرَسُ في المدارس، هي كانت في العربية ولغة الدراسة فيها كانت أردوية. وعلاوة على ذلك، لم تكن العربية لغة التكلم والتفاهم لأبناء البلاد ولم تكن لهم روابط ثقافية مباشرة بالبلاد العربية لذلك هي ظلت محدودة في الدوائر العلمية العربية فقط. يقول الدكتور سليم الرحمن خان الندوي صاحب الكتاب "الصِحافة الإسلامية في الهند تاريخها وتطورها":

"كان يوجد فيها عدد قليل يقدر على التعبير بها حوارًا وكتابةً مع أن معظمهم يقدرون على قراءة الكتابات العربية وفهمها دون القدرة على التعبير بها، وهكذا أصبحت اللغة العربية غير نشيطة في هذه البلاد."[١]

ويكتب الدكتور سعيد الرحمن الأعظمي في كتابه "الصِحافة العربية نشأتها وتطورها":

"كان المسلمون فيها (في زاوية الخمول) يرون كفاية في قراءة القرآن الكريم ودراسة الأحاديث النبوية وفهم النصوص الشرعية...[٢] ومن ثم تركزت العناية حول قراءة الألفاظ العربية وفهم معانيها في أوساط دينية وعلمية ولا تجاوز رغبات الناس هذا الحد في مجال اللغة العربية، وكل شخص يحرز مكنة من هذه العناية كان يعتبر عالم اللغة العربية والبارع فيها، يحق له أن يشغل منصب التدريس وتعليم التفسير والحديث والأدب والبيان وما إلى ذلك."[٣]

والثاني: لم يع العلماء وأساتذة المدارس وطلابها وقراء العربية في ذلك العصر إلى وسائل الإعلام كليًا، ولم يدروا استخدامها للتبشير الإسلامي كما يستخدمونها لهذا العمل في هذه الأيام.

والثالث: لم تكن العربية لها دور في القيام بخدمة الصِحافة الوطنية في كفاح التحرير الهندي كما فعلت اللغة الأردوية والفارسية والهندية والبنجابية في خدمة المصالح المشتركة له.

والرابع: لم تكن المدارس والمنظمات الإسلامية قادرة على تمويل إصدار صحف ومجلات عربية قبل استقلال الهند. وفضلًا عن ذلك، لم تكن الصِحافة العربية عملية مربحة ونافعة ولم يتوقع الانتفاع بها كما تُعَدُّ الصِحافة الإنجليزية والأردوية والهندية وظيفة مهنية والانتفاع يتوقع بها.

**أول مجلة عربية في الهند القديمة:**

بسب الوجوه المذكورة لم تكن تصدر أية مجلة أو جريدة عربية بعد أن ظهرت الصِحافة الإنجليزية والمحلية. ولكن بعد تسع وأربعين سنة لصدور جريدة أردوية أولى "جام جهان نما" في عام ١٨٢٢م حقق بعض أهل العلم والمثقفين في الهند أهمية وسائل الإعلام واعتبرواها مصدرًا تبشيريًا لنشر العلوم الشرعية لذلك قاموا بإنشاء جريدة أسبوعية باسم "النفع العظيم لأهل هذا الإقليم". فهي اعتبرت أول جريدة عربية في شبه القارة الهندية لأن الباحثين لم يجدوا أية جريدة سوى هذه. و"النفع العظيم لأهل هذا الإقليم" أسَّسها الشيخ شمس الدين بمدينة لاهور وصدر العدد الأول لهذه الجريدة في ١٧ أكتوبر ١٨٧١م تحت رئاسة الشيخ مقرب علي.[٤]ومدير هذه الجريدة كان الفخري جي. دبليو. ليتنر (G.W. Leitner) ١٨٤٠–١٨٩٩م مسجل جامعة بنجاب (الذي كان له دور حاسم في تأسيس جامعة بنجاب بلاهور). وسُمِّيَتْ هذه الجريدة "النفع العظيم..." باسم صاحب المطبع "محمد عظيم".[٥]

لما اكتشف سيد جميل أحمد رضوي بعض الأعداد لهذه الجريدة أثناء عمله في مكتبة بنجاب بلاهور في عام ١٩٦٧م وطالعها خاصة عددها الثاني في ٢٤ أكتوبر ١٨٧١م بالتدقيق، عرف أن جريدة النفع العظيم يكون قد صدر عددها الأول في ١٧ أكتوبر ١٨٧١م وكانت تصدر أسبوعيًا من مطبع بنجابي باهتمام المنشي محمد شمس الدين.[٦] كما يسلط الضوء على هذا الشيخ محمد نعمان خان أستاذ العربية بالقسم العربي بجامعة دلهي فيقول:

"يوجد في مكتبة جامعة بنجاب بلاهور مجلدان محتويان على أعداد السنوات من ١٨٧١ إلى ١٨٨٥م من هذه الجريدة الباكرة في مجموعة "محبوب عالم". واكتشفها سيد جميل أحمد رضوي أثناء عمله في المكتبة في سنة ١٩٦٧م. وأشار إلى أنه لم يذكر هذه الجريدة إلا إمداد صابري (ت ١٩٨٨م) في تارخه للصحافة الأردوية ومحمد شمس الدين في سيرة والده. توجد الأعداد من العدد الثاني وتاريخه ٢٤ أكتوبر ١٨٧١م، ولأن هذه الجريدة تصدر أسبوعيًا فهذا يعني أن العدد الأول يكون قد صدر في ١٧ أكتوبر من تلك السنة. وكانت الجريدة تصدر من مطبع بنجابي (المطبعة البنجابية) باهتمام المنشي محمد شمس الدين (ت ١٩١١م)، وكان المنشي الولد الثاني للمنشي محمد عظيم (ت ٢٧ يناير ١٨٨٥م)، صاحب المطبعة البنجابية الذي كان يصدر أيضًا صحيفة باللغة البنجابية.

وكان مديدر جريدة "النفع العظيم" الفخري جي دبليو ليتنر (G.W. Leitner) ١٨٤٠–١٨٩٩م مسجل جامعة بنجاب بلاهور آنذاك وقد قام بدور فعال في تأسيس جامعة بنجاب بلاهور. وسميت الجريدة 'النفع العظيم...' باسم صاحب المطبعة "محمد عظيم."[٧]

ومن الملاحظ أن هذه الجريدة كانت تستمر بدون توقف إلى عام ١٨٨٥م ولكنها توقف صدورها فيما بعد في نفس السنة بعد أن توفي صاحب المطبع وناشرها المنشي محمد عظيم في ٢٧ يناير ١٨٨٥م.[٨] ويقول السيد الرضوي: "على هذا تكون الجريدة قد احتجبت بعد ١٨٨٥م وليس في ١٨٨٦م."[٩]

ومن العلوم أن الجريدة المذكورة كانت مشتملة على ثماني صفحات وفيما بعد ازداد عددها فأصبحت عشرة وتمت طباعتها على الحجر في المطبعة البنجابية بلاهور. وكل صفحة كانت تحمل خمسة وعشرين سطرًا في كل عمود.[١٠]

أما المواضيع التي تنشر فيها كانت دينية، أدبية واجتماعية وما إلى ذلك، هي تركز على مواضيع تعليمية واجتماعية تائيدًا لنظرية السير السيد أحمد خان التعليمية وحركته "جمعية علمية" الإصلاحية. وفوق ذلك، كانت الجريدة تحتوي على مقالات مترجمة من الإنجليزية إلى العربية وتقوم بالاهتمام بنشر آثار أدبية من الشعر العربي القديم وخدمات فحول الشعراء القدماء (باهتمام الشيخ كريم الدين. ت

١٨٧٩م. نائب مفتش المدارس في مديرية لاهور. يعني هو كان ينشر أحوال الشعراء العرب في ملحق مستقل في الجريدة) مع التركيز على أخبار البلاد العربية السياسية والثقافية في الوقت الذي انقطعت الهند من البلاد العربية.[١١] وتجدر الإشارة أن الجريدة كانت تعتني بالاطلاع على ما كان ينشر في الجرائد الهندية والإنجليزية كما يقول الأستاذ محمد نعمان خان:

"فنجد فيها إشارة إلى مختلف الجرائد المعاصرة مثل: "أردو غائد" كلكتة، و"أخبار عالم" ميرت، و"أنجمن بنجاب" لاهور، و"نور الأبصار" إله آباد... وكذلك نجد فيها الإشارة إلى الجرائد الإنكليزية الهندية والأجنبية مثل نيويورك تائمز... هوم نيوز لندن ... تائمز آف إنديا... لكناؤ تائمز وغيرها..."[١٢]

جاء في مجلد العام ١٨٧٢م أن الجريدة كانت تهتم بنشر حلقات ترجمة كتاب ليتنر بالعربية ثم هذه الحلقات كانت تنشرها في سنة ١٨٩٩م في شكل كتاب بعنوان "مقدمة الصرف" من مطبع شمس الهند (Shamsul Hind Press) ففيما عددها ١٢ مايو ١٨٧٤م نشرت مقالة من جريدة الجوانب المصرية التي انتقدت المسلمين بعدم رغبتهم في تعليم المرأة مستعرض المصرئين الذين يعلمون بناتهم. وكانت هذه الجريدة تؤيد نظريات السيد أحمد خان التعليمية بشدة.[١٣]

كانت محتويات الجريدة تشمل مناصرة الإسلام واهتمامها بتعليم المرأة وتأييد آراء السير سيد أحمد خان وفضيلة اللغة العربية والمواد الأدبية وذكر الوفيات والأخبار المحلية والأجنبية والأخبار من الجرائد الإنجليزية وعدد سكان العالم وتفاصيله.

بعد "النفع العظيم" لم تظهر في الهند أي مجلة أو صحيفة سوى "هداية الإخوان" وأول صحيفة في اللغتين عربي- مليالم بخط عربي ظهرت في بقاع كيرالا قبل قرن ونصف برئاسة السيد عبد الله كويا. وأول صحيفة أسبوعية مسماة "رفيق الإسلام" تم تأسيسها في عام ١٨٩٩م بيد الأستاذ سيد علي كوتي وبينما صدرت أول مجلة نسائية "نساء الإسلام" بإدارة المولوي كومو كوتي. ك. س.

ومن المجلات في عربي مليالم بخط عربي:

- تحفة الأخبار وهداية الأشرار لـ(السيد سناء الله مقدي)
- الهداية لـ(المولوي كومو كوتي)
- البيان لـ(بانغيل أحمد كوتي موسليار)

- الاتحاد لـ(إي . ك . مولوي)
- صلاح الإخوان لـ(الأستاذ سيد علوي كوتي)
- الإسلام لـ(المولوي وكم محمد)

ومن الملاحظ أن كل هذه المجلات سميت بالعربية لنشرها في خط عربي في اللغتين عربي – مليالم.[١٤]

**الصِحافة العربية في شمال الهند**

وبعد "النفع العظيم" صدرت مجلة "البيان" بالعربية الأردوية في مارس ١٩٠٢م في بلدة لكناؤ. ثم ظهرت مجلة "الجامعة" من مدينة كولكاتا عام ١٩٢٣م والتي أشرفها قائد التحرير مولانا أبو الكلام آزاد. هي استمرت سنتين ثم توقفت[١٥] وكذالك بقي مكان الصحافة شاغرًا من المجلات العربية وواجهت الصِحافة من مشاكل مالية وذهبت إلى الحاشية مرة ثالثة ولكن بعد تسعة أعوام نهض علماء دارالعلوم لندوة العلماء بإحياء الصحافة العربية وقاموا بتأسيس مجلة "الضياء" من دار العلوم التابعة لندوة العلماء في سنة ١٩٣٢م. كانت هذه مجلة إسلامية أدبية تلقلت عظيم الاعتراف من الأدباء والمثقفين في الهند وخارجها ولكنها بسبب الوجوه القاسرة احتجبت عام ١٩٣٥م.[١٦] وبعد ذلك ظلت الصِحافة إلى التوقف، لم تتم محاولات لتقديمها ولا ظهرت رغبات الناس إلى استئناف صدورها أو إصدار أي مجلة أخرى سوى مجلتي "العرب" و"النفير" اللتين كانتا تصدران تحت إدارة الصحافيين العرب من قبل الحكومة الهندية ولكن لم تكن لها صلة بحياة المسلمين بالهند ولا بقضايا المدارس الإسلامية العربية وآدابها[١٧] لذا اعتبرت تلك الفترات بفترة عقمت فيها الصحافة العربية بالهند وأصبحت اللغة العربية محدودة في المدارس فقطكما يذكر سعيد الأعظمي:

"احتجبت "الضياء" وبقيت الصحافة العربية حائرة بين الموت والحياة ولم تزل المدة تطول والأيام تنقضي والناس عنها في شغل والمدارس العربية في غفلة، وبدأ اليأس يسود على النفوس وتستولي الغفلة على الشعب ويتفرغ العلماء لشأنهم وينعزل الناس عن تعليم اللغة العربية وآدابها، حتى أصبحت فترة حاسمة بقي فيها الميدان الصحافي شاغرًا في الصِحافة العربية لا جهد فيه ولا محاولة غير بعض المجلات التي كانت تصدرها الحكومة الهندية من مجلة "العرب" و"النفير" تحت إدارة رجال من العرب، لا صلة لها بحياة الشعب الهندي ولا بلغة المدارس العربية وآدابها، وبعض المدارس العربية في الهند كانت تعتني بهذه اللغة الكريمة علمًا ولغةً وكانت تقوم بتدريسها أدبًا وفنًا ولكنها لم تكن متمتعة بحماية الحكومة، وإنما كانت تقوم بخدمتها بإعانة من فقراء المسلمين مما لا يستهان به."[١٨]

خلال هذه الظروف القاسية فكّر رجال العلم من ولاية بيهار عن الخسارة الإعلامية العربية بالهند واستعدوا لإخراج مجلة باسم "الصبح" خلال القرن العشرين. ولكن لسوء الحظ، لم تستمر هذه المجلة إلا لفترات قليلة وتوقفت إلى الأبد. وبعدئذ ظهرت مجلة "المرشد" في أبريل ١٩٣٥م وهي أيضًا توقفت بسبب عدم رغبة قراء العربية والمسلمين فيها.[١٩]

والمجلات والصحف العربية ظهرت بعد جريدة "النفع العظيم" وهي:

**٢ – مجلة "البيان"، مدينة لكناؤ، ولاية أوترابراديش، مارس ١٩٠٢م، (×)**

تأسّست مجلة "البيان" العربية الأردوية في مدينة لكناؤ وصدر عددها الأول في ٢٠ ذي الحجة ١٣١٩هـ الموافق لشهر مارس ١٩٠٢م.[٢٠] إنها مجلة شهرية علمية أدبية تاريخية سياسية وكانت تصدر تحت رئاسة الشيخ عبد الله العمادي وإشراف الشيخ عبد العلي المدراسي ولكن بعد فترة من الزمان تولى رئاستها وإشرافها شخصان آخران فأصبح الدكتور يوسف هارون المستشرق الألماني رئيس تحريرها ومنشئها السيد سليمان آفندي والسيد علي زيني كما يذكر عددها شعبان للبيان ١٣٢٨هـ:

تصدر "تحت رئاسة الفاضل الدكتور يوسف هارون المستشرق الألماني أستاذ الألسنة الشرقية في كلية عليكرة الإسلامية، لمنشئها السيد سليمان آفندي والسيد علي زيني"[٢١]

كانت هذه المجلة في البداية شهرية إلى مدة خمس سنوات ثم تحولت إلى نصف شهرية ولكنها في النهاية عادت إلى ما كانت عليه. بدأ إصدارها باللغتين العربية والأردوية ثم بعد فترة قليلة كانت تصدر في العربية فقط ولكن في المرحلة الأخيرة عندما ازدادت رغبات الناس في الأردوية أخذت تصدر في كلتا اللغتين لغة الضاد والأردوية.[٢٢] حينما طالعنا عدة أعداد لها، وجدناها محتوية على مواضيع باللغتين العربية والأردوية وبلغ عدد صفحاتها إلى أربع وأربعين وكانت تنقسم المقالات إلى ثلاثة أجزاء كما جاء في عددها الثاني ١٣٣٨هـ:

فالجزء الأول كان يتضمن مواضيع عربية خالصة كانت فيها أخبار الهند الهامة والجزء الثاني كان يتضمن مقالات عربية مع ترجمتها إلى الأردوية في العمود المقابل على نفس الصفحة. وكان يحتوي على مواضيع هامة عن العالم الإسلامي والهند والجزء الثالث كان يتضمن مواضيع أردوية خالصة وكان يحتوي على مقالات عن العالم الإسلامي والمسلمين الهنود ووالوطن الهندي[٢٣]

حظيت "البيان" قبولًا حسنًا في الدوائر العلمية في الهند وخارجها بسبب فنها الصحفي وطباعتها وإخراجها حسب الإمكانيات المتوفرة. أشاد الأدباء العرب ومثقفيها بعدما اطلعوا عليها، وهي كانت منصة لطلبة العربية في الهند حيث تعلموا أسلوبًا عربيًا حديثًا. إن لها دورًا رياديًا في خلق الذوق العربي في الجيل الجديد وإن لها فضلًا كبيرًا في التعريف بأوضاع المسلمين في العالم والهند خاصة وبحياتهم السياسية وإبلاغ أخبارهم إلى إخوانهم العرب ونقل أخبار العرب إلى الهند.

ومن الجدير بالذكر أن هذه المجلة كانت في تلك الفترة نقطة وصل بين مسلمي الهند والعرب، ومن أرجح القول أن مجلة "البيان" كانت مقدمة النشأة الثانية بعد توقف جريدة "النفع العظيم". إن "البيان" لعبت دورًا حاسمًا في إنشاء الجيل الجديد الذين أصدروا بعدها مجلات عربية أخرى متأثرين بها. كانت مجلة "الجامعة" و"الضياء" و"البعث الإسلامي" من سلسلة هذه المبادرة المعاصرة.[٢٤] لما طالعت ثلاثة عشر عددًا من هذه المجلة، وصلت إلى النتيجة أنها كانت نشرة أخبارية ومجلة بحوث دينية وثقافية وتاريخية. وبالجملة فهي كانت مجلة جامعة شاملة.

**مجلة "الجامعة"، مدينة كولكاتا، ولاية بنغال، ١ أبريل (١٩٢٣م-١٩٢٤م) (×)**

**خلفية تاريخية لإصدار مجلة الجامعة:**

إن السسب الرئيسي وراء إصدار مجلة "الجامعة" هو كان القيام ضد المؤامرة التي قام بها البريطانيون في إثارة حاكم بلاد الحجاز آنذاك الشريف حسين بن علي لإسقاط "الخلافة العثمانية التركية" في عام ١٩١٢م. وبهذا تبوَّأ حاكم الحجاز كملك على عرش الحجاز. ومن أجل هذه المؤامرة السياسية ازدادت أحوال الحجاز وجميع المعمورة العربية سوءًا. عندما اطلع مسلمو الهند على هذه المؤامرة ضد إخوانهم العرب و"الخلافة العثمانية التركية" اضطربوا بسبب سيطرة البريطانيين على الحجاز. كان الشريف حسين بهذا الصدد أدّى دورًا حاسمًا في تأدية هذه المهمة التي استكملت به. وفي غضون ذلك، كان مولانا أبو

الكلام آزاد قد سُجِنَ بعد أن أُعْتُقِلَ من قبل الإنجليز في ٢٠ ديسامبر ١٩٢١م. لما اطَّلع مولانا آزاد على هذه الأوضاع الخطيرة، ظلَّ محزونًا. ولكن عندما أُطْلِقَ سراحه في يناير ١٩٢٣م، اتخذ مولانا موقفًا حاسمًا لإنشاء مجلة عربية في الهند كي يشارك مسلمو الهند في معركة الحجاز بمقالاتهم ومواضيعهم القيمة في تغيير الرأي العام ضد حاكم الحجاز وفي تأئيد نظرية "الخلافة العثمانية التركية". فأصدر مولانا آزاد مجلة عربية باسم "الجامعة" في ١ أبريل ١٩٢٣م من مدينة كولكاتا. وهي كانت مجلة نصف شهرية تُصْدَرُ تحت إشرافه وإدارة الشيخ عبد الرزاق المليح آبادي.[٢٥]

كانت مجلة "الجامعة" تركزت على توجيه الأقطار العربية إلى معركة السياسة المحلية والدولية، وتشجيعهم على نيل الاستقلال من المستعمرين. وإن الهند كانت تدعِّم اتجاههم نحو الاستقلال كما يصرح مدير مجلة "الجامعة" الشيخ عبد الرزاق:

"إن العرب في رأينا خير أمم الأرض، وهم مخ العالم الإسلامي وقوامه، لا صلاح له إلا بصلاحهم ولا مستقبل له إلا بقيامهم، وذلك لأسباب لا تخفى على أحد ممن درسوا تاريخ المسلمين وحالتهم الماضية والحاضرة درسًا صحيحًا. هذه الحقيقة هي التي تسوقنا معشر مسلمي الهند إلى الاهتمام بالمسئلة العربية أكثر من غيرها من المسائل الإسلامية وهي التي حملتنا (الهنود) على أن لا نستريح إلا بعد أن نرى هذه المسئلة قد حلت حلًا صحيحًا".[٢٦]

ويقول آزاد في خطبته التي ألقاها في اجتماع لمؤتمر الجمعية الوطنية الكبرى:

"إن الهند تؤكد لمصر وسوريا وفلسطين والعراق ومراكش وجميع الأقطار الشرقية، إن مئات الملائين من القلوب بالهند متململة لنجاحها وفوزها، وأن الهنود بأجمعهم يتمنون لها الحرية والاستقلال كما يتمنونها لأنفسهم ... إن الهند تؤكد سكان البلاد العربية بأن صون استقلالهم وحفظ بلادهم من النفوذ الأجنبي لا يزال اليوم أيضًا غاية كبيرة بجهادها كما كان في سنة ١٩٢٠م الماضية وأنها لا تزال تجاهد وتناضل حتى لا يبقى في أي ناحية من البلاد العربية أدنى نفوذ للأجانب."[٢٧]

لما انتقدت مجلة "الجامعة" بمقالاتها السياسية الحادة على موقف حكومة شريف حسين، انتقد شريف حسين أيضًا مهاجمًا على صاحب الجريدة أبي الكلام خلال مجلته الحكومية "القبلة" حيث كتب فيها مستهزءًا بأبي الكلاب بدلًا من أبي الكلام، كما يوضح مدير مجلة "الجامعة":

"كانت مجلة "الجامعة" مجلة ثورية تتسم بالجرأة والأسلوب النقدي اللاذع لذلك كانت سببًا في هجوم كثير من المسلمين على الشريف حسين ابن علي مما أثار حميته ضد المجلة ونسي منصبه وبدأ يسبها في

مجلته الحكومية "القبلة" التي كانت تتميز بقراءها المثقفين حيث كتب فيها مستهزئًا بأبي الكلام آزاد ‘أبو الكلاب’ وكانت لغته لغة ركيكة وكنت قد سمعته يخطب في مكة المكرمة ففهمت من أسلوبه أن الكلمات التي نشرت في مجلة "القبلة" ضد "الجامعة" كان مما أملاه هو نفسه على كاتبه".[٢٨]

والملاحظ أن مجلة "الجامعة" كانت مثل شقيقتها اهتمت بنشر العلوم الإسلامية والدراسات الثقافية وتوجيه الأمة المسلمة إلى مسؤولياتهم وواجباتهم السياسية، وإلى إصلاح أحوالهم. ولكنها تركزت بوجه خاص على الظروف الساسية خلال ١٩٢٣م إلى ١٩٢٤م في الهند وتركيا والحجاز. وهي ثبتت ملتقى للأفكار السياسية ومصدرًا لتشجيع ابن سعود في سبيل طرد الشريف حسين وأسرته من بلاد الحجاز، وبهذا استكملت مهمة مجلة "الجامعة" التي أسِّسَت لأجلها ولأنها توقفت عن الصدور[٢٩] في ١٩٢٤م كما يقول الشيخ عبد الرزاق:

"كانت هذه الحركة (تأسيس الجامعة) صحيحة وفي الوقت المناسب، فبسببها اضطرب مسلمو الهند بصفة خاصة وعامة المسلمين الذين قاموا يناهضون الشريف. ليس هذا فحسب بل شجعت ابن سعود الذي كان يقدم القدم ويؤخر الأخرى خوفًا من الإنجليز، وحيث أوضحت له المجلة أنه من حيث السياسة الدولية أن الإنجليز لا يستطيعون مساعدة الشريف، ولهذا تشجع ابن سعود وشمّر عن ساعده وطرد الشريف حسين وأسرته من بلاد الحجاز. وبهذا انتهت مهمة مجلة "الجامعة" التي أسِّسَت من أجلها وهي تحرير الحرمين الشريفين من الشريف حسين، لذلك توقف إصدارها".[٣٠]

خلاصة القول أن المجلة الغراء كان لها دور حاسم في تغيير الرأي العام ضد موقف حاكم الحجاز الشريف حسين (الذي سانده البريطانيون إلى أن تربع حاكم الحجاز كملك على عرش الحجاز)، وفي تشجيع ابن سعود لطرد الشريف حسين وأسرته من الحجاز. إنها في مدة قصيرة، تركت أثرًا خالدًا على العالم الإسلامي والأقطار الشرقية ولا سيَّما على كل المعمورة العربية من حيث أتحاد الأمة المسلمة والأمم الشرقية سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا نحو المصالح المشتركة. وهي توقفت بعد أن انتهت مهمتها بعد حل قضية الحجاز.

**مجلة الضياء، ندوة العلماء، ولاية أوترابراديش، مايو ١٩٣٢م – ١٩٣٥م** (×)

مجلة الضياء كانت الفترة الممتدة لسبع سنوات بعد توقف صحيفة الجامعة في عام ١٩٢٤م إلى ١٩٣٢م خالية بصفة الصِحافة العربية اعتبرتها حركة ندوة العلماء غفلة إعلامية وخسارة للإسلام في الهند. لأن هذه الوسيلة الوحيدة كانت تربط مسلمي الهند بإخوانهم العرب وتنقل تطورات الفعاليات الدينية والقضايا الإسلامية إلى العالم الإسلامي العربي. لملأ هذا الفراغ قام علماء ندوة العلماء بإنشاء

مجلة "الضياء" الشهرية وصدر عددها الأول في محرم الحرام ١٣٥١هـ / مايو ١٩٣٢م من ندوة العلماء تحت إشراف العلامة السيد سليمان الندوي والشيخ تقي الدين الهلالي لرئيس تحريرها الشيخ مسعود عالم الندوي مع إشتراك الشيخ أبو الحسن الحسني الندوي والأستاذ مولانا ناظم الندوي. إن "الضياء" مجلة علمية أدبية تعليمية اجتماعية شهرية كانت تصدر في منتصف كل شهر عربي. صدرت في حين كانت اللغة العربية مقلدة للأساليب القديمة حافلة بالقيود اللفظية والتراكيب المعقدة ولم تكن للدارسين قدرة على التكلم والكتابة 'إلا في أمور طفيفة من الفقه أو أبحاث سمجة في المنطق' الذي يذكر العلامة سيد سليمان الندوي:

"هذه بلادنا الهند فيها نحو ثمانين مليوناً من المسلمين، وفيها نحو مليون من يفهم لغة القرآن ويعرفها، وإن لم تكن لهم قدرة على التكلم بها وتقدر مدارسهم العربية بألف من صغارها وكبارها، وطلبة العربية فيها نحو مائة ألف أو يزيدون...وعلى ذلك ما يؤلمنا ذكره ويشكونا نشره، إن هؤلاء الجم الغفير، والعدد الوفير، أكثرهم بكم عن التكلم باللغة العربية، ولهم عي عن الكتابة البديعة السلسلة المنسجمة، فضلاً عن الخطابة فيها مرتجلين، وليست كتابتهم إلا في أمور طفيفة من الفقه أو أبحاث سمجة في المنطق تمجها الآذان، ولا تسمن ولا تغني من جوع العلم..."[٣١]

في هذه الظروف الحائرة اتخذت حركة ندوة العلماء إجراءات قوية لاتصال الإعلام العربي الهندي بالإعلام العربي في الدول العربية عن طريق مجلة الضياء.

### الصحافة العربية في ولاية كيرالا – جنوب الهند

#### خلفية تاريخية:

الصِحافة العربية في ولاية كيرالا / جنوب الهند مرّت بمرحلتين: في المرحلة الأولى بدأت الصحف والمجلات في لغتين عربي – مليالم بخط عربي. والأسباب الرئيسية التي دفعت هذا العمل الصحفي إلى الأمام هو وجود المطابع في هذا الخط، واعتناء المسلمين به وهي كانت وسيلة وحيدة لتصدير المعارف الإسلامية والأخبار المحلية بين الشعب المسلم في الهند والعالم العربي فتلقت الصحف في ثنائي اللغة عربي –مليالم بخط عربي قبولًا لائقًا ونجحت في جذب أنظار القراء المسلمين. فأول صحيفة في عربي– مليالم ظهرت في بقاع كيرالا باسم "هداية الإخوان" برئاسة السيد عبد الله كويا. وأول صحيفة أسبوعية "رفيق الإسلام" أصدرها الأستاذ سيد علي كوتي في عام ١٨٩٩م. وصدرت أول مجلة نسائية "نساء الإسلام" بإدارة المولوي كومو كوتي. ك. س.

ومن أهم المجلات التي صدرت في الخط العربي هي:

- **تحفة الأخبار وهداية الأشرار** لـ(السيد سناء الله مقدي)
- **الهداية** لـ(المولوي كومو كوتي)
- **البيان** لـ(بانغيل أحمد كوتي موسليار)
- **الإتحاد** لـ(إي . ك . مولوي)
- **صلاح الإخوان** لـ(الأستاذ سيد علوي كوتي)
- **الإسلام** لـ(المولوي وكم محمد)

وتجدر الإشارة إلى أن كل هذه المجلات كانت تنشر بالعربية والمليالمية في الخط العربي.[٣٢]

وفي المرحلة الثانية بدأ دور الصِحافة العربية الخالصة في اللغة العربية بإصدار أول مجلة عربية شهرية "المرشد" وهي كانت تصدر تحت رعاية "جمعية العلماء بكيرالا". وصدر أول عددها في شهر محرم ١٣٥٤هـ/ أبريل ١٩٣٥م وقسنا هذا على المجلد الثاني، العدد ١٢، شوال ١٣٥٥هـ المصادف لشهر يناير ١٩٣٦م وإحدى المقالات منشورة فيها تحت "خاتمة السنة الثانية" تشير إلى تاريخ إصدارها.[٣٣] عندما درسنا ستة أعداد لمجلة "المرشد" من عام ١٩٣٦م إلى عام ١٩٣٨م، وصلنا إلى نتيجة أن هذه المجلة كانت مجلة عربية أولى صدرت في أبريل ١٩٣٥م من كيرالا / جنوب الهند.

كانت مجلة "المرشد" مجلة دينية علمية تصدر في كل شهر عربي تحت رعاية جمعية العلماء بكيرالا[٣٤]. هي تشتمل على ٤٠ صفحة، والعدد ١٢ للمجلد الثاني لعام ١٩٣٦م يحتوي على مواضيع عربية خالصة سوى واحد من المواضيع كان في لغة مليالم بخط عربي لم نفهمه والمواضيع الباقية الأخرى كانت في العربية الخالصة.[٣٥] وعندما درسنا خمسة أعداد أخرى وجدنا كافة المواضيع بالعربية الخالصة[٣٦] لذا اعتبرناها مجلة عربية خالصة.

وفي جهة أخرى اعتبر كافة كتاب العربية وباحثيها مجلة "البشرى" الصادرة في ١٩٦٣م كانت أول مجلة عربية خالصة كما يقول المحاضر عبدالجليل ت:

"فتولدت أول مجلة عربية في كيرالا، مجلة "البشرى" في عام ١٩٦٣م، والفضل في تأسيسها يرجع إلى المولوي محمد ك. ب. ولكن ما لبث أن توقف إصدارها بعد سنة من نشأتها (عام ١٩٦٤م)، ثم

استانف إصدارها تحت رعاية اتحاد معلمي العربية لولاية كيرالا (KATF) في سنة ١٩٦٧م. بل لم يطل عمرها إلا لسنوات قليلة..."

ولكن الدعوى المذكورة عن مجلة "البشرى" بكونها أول مجلة عربية صادرة في ولاية كيرالا في ١٩٦٣م ثبت خطأً تاريخيًا بعد اكتشاف مجلة "المرشد" في شهر أكتوبر ٢٠١٤م في مكتبة الجامعة الملية الإسلامية بنيو دلهي. والآن بإمكاننا أن نعتبر مجلة "المرشد" العربية الشهرية الصادرة في شهر أبريل ١٩٣٥م أول مجلة عربية في كيرالا / جنوب الهند و"البشرى" مجلة عربية ثانية صدرت في ١٩٦٣م.

**مجلة المرشد، ولاية كيرالا، محرم ١٣٥٤هـ / أبريل ١٩٣٥م (×)**

أول مجلة عربية شهرية "المرشد" كانت تصدر عن "جمعية العلماء" بكيرالا / جنوب الهند. وصدر أول عددها في شهر محرم ١٣٥٤هـ/ أبريل ١٩٣٥م. عندما درسنا ستة أعداد لهذه المجلة وخاصة المجلد الثاني، العدد ١٢، شوال ١٣٥٥هـ المصادف لشهر يناير ١٩٣٦م وإحدى المقالات المنشورة فيها تحت العنوان "خاتمة السنة الثانية" التي تشير إلى تاريخ إصدارها المذكور، وصلنا إلى نتيجة أنها تكون قد صدرت في شهر أبريل عام ١٩٣٥م.

كانت المجلة الغراء تشتمل على ٤٠ صفحة، والعدد ١٢ للمجلد الثاني ١٩٣٦م يحتوي على مواضيع عربية خالصة سوى واحد من الموضيع كان في لغة مليالم بخط عربي لم نفهمه والمواضيع الباقية الأخرى كانت في العربية الخالصة بخط عربي،[٣٧] ولكن عندما درسنا خمسة أعداد أخرى، وجدنا كافة المواضيع بالعربية الخالصة لذا اعتبرناها مجلة عربية خالصة.[٣٨] وإليكم بعض نماذجها:

"ما هو الواجب على مسلمي الهند حيث السياسة في الحالة الحاضرة الإنقلابية — ينبغي مع تعميم التعليم ونشر علم أصول الإسلام وفقه قوانين الشريعة في المسلمين (الذي هو الواجب الأول من الأعمال الواجبة التي يجب علينا أن نصرف قوانا وننفق أموالنا فيها —ذكر هذا الواجب الأول في العدد الماضي) ويجب أن يسعى ويجتهد في آن يكونوا مسلمين حقيقين متبعين للأحكام الإسلامية، عملًا وفعلًا، ...".[٣٩]

عنما درسنا ستة أعداد مذكورة لمجلة "المرشد"، وجدناها مجلة عربية دينية علمية مركزة على المعارف الإسلامية وسياستها الدينية وقضايا المسلمين وتعريف العالم الإسلامي والعربي بأحوال مسلمي الهند في العهد البريطاني. إن المواضيع المنشورة فيها في الفترة ما بين ١٩٣٦م إلى ١٩٣٨م لم تتأثر بنا بحيث الفن الصحفي ولكن عندما درسنا بعض المجلات العربية الأخرى الصادرة قبلها كمثل مجلة "البيان" الصادرة

في ١٩٠٢م ومجلة "الجامعة" الصادرة في ١٩٢٣م – ١٩٢٤م ومجلة "الضياء" الصادرة في ١٩٣٢م – ١٩٣٥م وجدناها أفضل من مجلة "المرشد" وأفصح منها من حيث صحة اللغة والبيان والفن الصحفي.

## المصادر والحواشي

[١]. سليم الحمن خان الندوي:الصحافة الإسلامية في الهند تاريخها وتطورها، ص. ٨٠

. سعيد الرحمن الندوي:الصحافة العربية نشئتها وتطورها، ص. ٣٧[٢]

. المصدر انفسه، ص. ٣٧[٣]

[٤]. (ألف) سليم الرحمن الندوي: الصحافة الإسلامية في الهند تاريخها و تطورها، ص. ٨١

(ب) أيوب تاج الدين الندوي: الصحافة العربية في الهند نشئتها وتطورها، ص. ٨٣

[٥]. محمد نعمان خان/ رئيس قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة دلهي: مقالته منشورة في مجلة ثقافة الهند: المجلد ، ٦١ ، العدد ٤، ٢٠١٠ ، ص. ٢ (أخطأ جميع مؤلفي العربية في كتابة اسم مدير جريدة النفع العظيم ولكن الأستاذ محمد نعمان خان كتب اسمه الصحيح وهو: الفخري جي. دبليو. ليتنر G.W. Leitner

. المصدر نفسه ،ص. ٢ [٦]

. المصدر نفسه، ص. ٢[٧]

[٨]. (أ) المصدر نفسه، ص . ٢ (ب) سليم الرحمن خان الندوي: الصحافة الإسلامية في الهند تاريخها وتطورها، ص. ٨٢

. المصدر نفسه، ص. ٣[٩]

١٠. (أ) المصدر نفسه، ص. ٣ (ب) سليم الرحمن خان الندوي: الصحافة الإسلامية في الهند تاريخها وتطورها، ص. ٨١

[١١]. (ألف) الصحافة الإسلامية في الهند تاريخها و تطورها، ص. ٨١– ٨٢ (ب) مقالة الأستاذ، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة دلهي، دلهي محمد نعمان خان، مجلة ثقافة الهند: المجلد ٦١، العدد ٤، ٢٠١٠ ، ٢

[١٢]. مقالة الأستاذ، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة دلهي، دلهي محمد نعمان خان، مجلة ثقافة الهند: المجلد ٦١، العدد ٤، ٢٠١٠، ص. ٦–٧

. المصدر نفسه، ص. ٨–١٠ [١٣]

. مجلة النور: العدد الأول ، محرم ١٤٣١هـ / يناير ٢٠١٠م ،ص. ١٠٤– ١٠٥[١٤]

. مجلة الضياء: العدد الأول ، المحرم الحرام, صف / المصدر نفسه، ص. ٨٦ [١٥]

. ندوة العلماء فكرتها و مناهجها، ص. ١٩[١٦]

[١٧]. نذر خدابخش، ص. ١٠٤

. الصحافة العربية نشئتها و تطورها، ص. ٥٥–٥٦[١٨]

[١٩]. نذر خدابخش، ص. ١٠٤

. الصحافة الإسلامية في الهند تاريخها و تطورها، ص. ٢٣٤[٢٠]

. (ألف) المصدر نفسه، ص. ٢٣٤–٢٣٥ (ب –مجلة البيان: عدد شعبان عام ١٣٢٨هـ)[٢١]

. (ألف) الصحافة العربية في الهند نشئتها وتطورها، ص. ٩٥–٩٦[٢٢]

ب). الصحافة العربية نشئتها وتطورها،ص. ٤٢(

(ج). نزهة الخواطر,ج ، ٨، ص. ٢٩٨

. مجلة البيان: العدد الثاني ، جمادي الأولى ١٣٣٨هـ، ص. ٤٤[٢٣]

. (ألف)الصحافة الإسلامية في الهند تاريخها وتطورها، ص. ٢٣٥–٢٣٧[٢٤]

(ب). الصحافة العربية في الهند نشئتها و تطورها، ص. ٩٧–٩٨

[٢٥]. (أ) الصحافة العربية في الهند نشئتها و تطورها، ص. ١٠٣ –١٠٤

(ب). لصحافة العربية نشئتها و تطورها، ص. ٤٣

[٢٦]. الصحافة العربية في الهند نشئتها و تطورها، ص. ١٠٧ – ١٠٨

[٢٧]. المصدر نفسه: ص. ١٠٨

[٢٨]. المصدر نفسه: ص. ١٠٦

[٢٩]. المصدر نفسه، ص. ١٠٧

[٣٠]. المصدر نفسه، ص. ١٠٧

. مجلة الضياء، محرم الحرام ١٣٥١هـ/ مايو ١٩٣٢م، العدد الأول، ص. ٤ –٥[٣١]

. مجلة النور: العدد الأول، محرم ١٤٣١هـ / يناير ٢٠١٠م ،ص، ١٠٤– ١٠٥[٣٢]

[٣٣]. مجلة المرشد : المجلد الثاني ، عدد ١٢ ، شوال ١٣٥٥هـ/ يناير ١٩٣٦م، ص. ١– ٤٠

[٣٤]. المصدر نفسه، صفحة الغلاف

[٣٥]. المصدر نفسه، ص. ١– ٤٠

[٣٦]. مجلة المرشد: (أ) المجلد الثاني، العدد ١٢ ، يناير ١٩٣٦م (ب) المجلد الثالث ، العدد ٣، مايو ١٩٣٧م (ج) المجلد الثالث ، العدد ٢ ، يونيو ١٩٣٧م (د) المجلد الثالث ، العدد ٣ ، يوليو ١٩٣٧م (ذ) المجلد الثالث، العدد ٧، نوفمبر ١٩٣٧م (ر) المجلد الثالث ، العدد ٩، يناير ١٩٣٨م، ص. ١ – ٤٠

[٣٧]. مجلة المرشد : المجلد الثاني ، عدد ١٢ ، شوال ١٣٥٥هـ/ يناير ١٩٣٦م، ص. ١– ٤٠

[٣٨]. مجلة المرشد: (أ) المجلد الثاني ، العدد ١٢ ، يناير ١٩٣٦م (ب) المجلد الثالث ، العدد ٣ ، مايو ١٩٣٧م (ج) المجلد الثالث ، العدد ٢ ، يونيو ١٩٣٧م (د) المجلد الثالث ، العدد ٣ ، يوليو ١٩٣٧م (ذ) المجلد الثالث ، العدد ٧ ، نوفمبر ١٩٣٧م (ر) المجلد الثالث ، العدد ٩ ، يناير ١٩٣٨م ، ص. ١ – ٤٠

[٣٩]. المصدر نفسه، المجلد الثالث ، العدد ٩ ، ذي قعدة ١٣٥٦ / يناير ١٩٣٨م ، ص. ؟؟

# خدمات الشاعر الاسلامی مولاناألطاف حسين حالی الأدبية

# LITERARY SERVICES OF ISLAMIC POET MAULANA ALTAF HUSAIN HALI

د.حافظ محمد شهبازحسن*

أ.د.ثناء الله بتو**

**ABSTRACT**:

*Altaf Husain Hali (1837-1914) is a great writer and well known Islamic poet.He was considered as a reformer of Urdu poetry. He uplifted the Muslims of sub-continent to learn the modern knowledge and science.Allama Iqbal built up a glorious building of the poetry on the base of national poetry which was founded by Altaf Husain Hali.He blew a new spirit among the Muslims.He wrote many valuable books for the renaissance of the Muslims. Some of Literary services of Altaf Husain Hali are following:Usul-e-Farasi(Principles of Persian), Tareekh-e-Muhammadi per munsifana rae(the true point of view about the Muhammadan history),Tuhfatul Ikhwaan(a gift for brothers),Tadbeer(way out plan).Taryaq-e-Masmoom(antidotevenomous),Tazkira Rahmania(Rahmania Memory),Jawahrat-e-Hali,Chup ki daad (Reward of patience),Hayat-e-Jawed(The Eternal Life),Hayat-e-Saadi (The Life of Saadi),Al-Deen-o-Yusr(The Easy Deen) ,Diwan-e-Hali, Rubaiyat-e-Hali, Sawanih Hakeem Nasir Khusro(Biography of Hakeem Nasir Khusro), Shikwa-e-Hind (complaint of India) ,Shawahid-al-Ilhaam,Appendix of Urdu Kulliyaat-e-Hali, Tabaqaat al-Ardh(Geological Strata) ,Kulliyaat-e-Hali(poetical works),Mathnawi Huqooq-e-Aulad,Majalis-Al-Nisaa (Company of Women) ,Majmooa Nazm Hali (Anthology of Hali,s poetry),Musaddas-e-Hali,Marthia of Hakeem Mahmood Khan (Elegy of Hakeem Mahmood Khan), Marthia Mirza Ghalib (Dirge of Mirza Ghalib), Maktoobat-e-Hali&Makaateeb-e-Hali (Letters of Hali) ,Maqalat-e-Hali (Articles of Hali), Muqaddama shiar-o-shairi(Preface of Poetry), Munajaat-e-Baiwa (Hymn of Widow),Maulood Shareef and Yadgar-e-*

*أستاذ مشارک،قسم الدراسات الاسلامية،جامعة الهند سة،لاهور

** عميد،كلية الدراسات الإسلامية الاسبق ، جامعة السند جامشورو

*Ghalib(Commemoration of Ghalib).*

**KEYWORDS:** Altaf Husain *Hali, Islamic poet, reformer,Literary services,books,articles,letters,poetry.*

**الكلمات المفتاحية**: ألطاف حسين هالي ، الشاعر الإسلامي ، المصلح ، خدمات الأدبية ،الكتب ،المقالات ،الرسائل ،الشعر .

قام حالي بأعمال مجيدة علمية، و كان شاعرا وناثرا، هو الشاعر القومي الأول للغة الأردية وللشعر الجديد- كان مولعا بالتأليف والتصنيف منذ الطفولة وقد ألف كتبا كثيرة في الشعر و النثر- هاكم ذكر بعضهاالمختصر كالتالي

**١ـحيات سعدى**

هذا الكتاب في أخبار الشيخ السعدي الشيرازي وقدم فيه كزا ملاحظات على شعره- هذا أول كتاب مهم في قسم التراجم أصولا باللغة الأردية (١) وطبع سنة ١٨٨٦م(٢)

طبع هذا الكتاب في حياة المؤلف حوالي عشر مرات-(٣)

**٢-(يادگار غالب (ذكريات غالب)**

هذا الكتاب يتحدث عن حياة مرزا أسد اللّٰه خان غالب الشاعر المشهورـ ألقى حالى النظرة النقدي على كل شعرهـ ''ياد گار غالب'' له مكانة سامية في الكتب النقديةـ(٥)

نشر هذا الكتاب سنة ١٨٩٧ م (۴)

**٣-حيات جاويد**

هذا الكتاب يتالف من جزء ين، ويتحدث عن أحوال أسرة سر سيد أحمد خان وطفولته وخؤولته في الجزء الأول-

وفي الجزء الثاني استعراض لمؤلفاته وأعماله (خدماته)-

قرر رام بابوسكسينه هذا الكتاب أكبر مآثر حالي-(۶)

نشر هذا الكتاب سننة ١٩٠١م (٧)

**۴-سوانح (ترجمة) حكيم ناصر خسرو**

هذه المقالة في اللغة الفارسية، وهي أول مقالة باللغة الفارسية عن حكيم ناصر خسرو في الهند وباكستان- نشرت عام ١٨٨٢م- (٨)

**۵-تذكره رحمانيه**

هذا الكتاب في ترجمة الشيخ عبد الرحمٰن- نشر سنة ١٨٩٧م ونشر في مجلة ''نقوش'' رقم

ذي السنوات الخمس سنة ۱۹۵۳م مرة ثانية- (۹)

**۶-ترياق مسموم**

والكتاب ذب عن الملة الإسلامية ورد على كتابى المسيحيين المسَمّين ب''تحقيق الإيمان'' و''هداية المسلمين'' للأسقف عماد الدين الذي كان تنصرّ- ونشر في مجلة ''خير المواعظ'' فى عدة أقساط وهي مجلة شهرية كانت تصدر من دهلي-(۱۰)

**۷-مولود شريف**

هذا الكتاب من باكورة مؤلفاته في النثر، ألّفه خلال ۱۸۶۴م و ۱۸۷۰م ولكن لم يكتب له النشر في حياة المصنف- نشره خواجه سجاد حسين سنة ۱۹۲۳م(۱۱)-

يشتمل هذا الكتاب علي حمد اللّٰه تعالى ومدح رسوله وأسوته الحسنة وأوصافه المتنوعة، وفيه ذكر معجزاته ايضا(۱۲) -

**۸-تاريخ محمدى'' پر منصفانه رائے (الرأي العادل علي التأريخ المحمدي)**

كتب الأسقف عماد الدين الكتاب ''تاريخ محمدى'' فكتب حالى مقالة نقدية في الرد عليه- التي نشرت سنة ۱۸۷۱م أو ۱۸۷۲م باسم ''تاريخ محمدى'' پر منصفانه رائے- هٰذا الكتاب عديم الوجود الآن-(۱۳)

**۹-شواهد الإلهام**

كتبت هذه الرسالة سنة ۱۸۷۵م ولم تطبع (۱۴)

وألّف هذه الرسالة راعيًا الفصاحة مع محاولة الاستيعاب مع أنها وجيزة (۱۵)

أثبت فيها ضرورة النبوة والإلهام بالأدلة المنطقية-(۱۶)

**۱۰-مجالس النساء**

هذا الكتاب يتالف من مجلدين- كتبه سنة ۱۸۷۴م في لاهور وفى الوقت نفسه نشره من لاهور- فمنحته الحكومة أربع مئة روبية جائزة على تأليف هذا الكتاب (۱۷)

هذا الكتاب مفيد جدا للنساء- ظل مقررا في مدارس البنات ككتاب مدرسي(۱۸)-

**۱۱-اصول فارسي (أصول اللغة الفارسية**

هذا الكتاب ناقص وغير مطبوع- كتبه سنة ۱۸۶۸م- طبع تمهيده في مجلة ''نقوش'' سنة ۱۹۵۳م (أكتوبر نوفمبر) (۱۹)

كتابه هذا في قواعد اللغة الفارسية-

**۱۲-مكتوبات حالى ومكاتيب حالى**

رتب خواجه سجاد حسین مجموعة ''مكتوبات''- كتب الشيخ عبد الحقؒ المقدمة عليها-
نشرت هذه المجموعة من ''باني بت'' سنة ١٩٢٥م ،وبعد ذلک جمع شيخ محمد إسماعيل باني بتی
مكاتيبه الأخرى وطبعها باسم ''مكاتيب حالي''(٢٠)-

**١٣-مقالات حالی**

هذا الكتاب مجموعة لمقالاته المختلفة- جمعت فيه اثنين وثلاثين مقالة في الأخلاق والتعليم
والأدب والفلسفة والسياسة- جمعها خواجه سجاد حسين ونشرتها ''انجمن ترقي اردو'' (لجنةتطويراللغة
الأردية) في مجلدين(٢١)-

طبع مجلس ترقي أدب بلاهور بعض خطباته الهامة باسم ''كليات نثرحالی''(٢٢)

**١٤-جواهرات حالی**

رتب هذا الكتاب سنة ١٩٢٢م ونشر سنة ١٩٨٦م- جمع فيه شعره المطبوع وغيرالمطبوع-(٢٣)

**١٥-طبقات الأرض**

هذا الكتاب ترجمة لكتاب عربي (طبقات الأرض)- هذه الترجمة نفسها كانت قد نقلت من
اللغة الفرنسوية- نشر هذا الكتاب من قبل جامعة بنجاب بلاهور(باكستان)(٢٤)

**١٦-تدبير**

ذكر فيه معنى القدر لغة واصطلاحا وذكر تفسير الأية القرأنية: ''وتعز من تشاء وتذل من
تشاء ومع ذلک شرح لحديث: ''جف القلم بما هو كائن''ا نشر هذ الكتاب عام ١٩٠٩م-(٢٥)

**١٧-الدين يسر**

بين فيه أن الدين سهل جدا لكن أعسره الفقهاء الكرام-(٢٦) نشر فی سنة ١٩١٥م-

**١٨-ضميمه اردو كليات حالي**

يشتمل هذا الكتاب على مقالاته المنظومة والمنثورة بالعربية والفارسية، نشر سنة
١٣٣٢هـ(٢٧)

**١٩-مقدمه شعر و شاعري**

هذا الكتاب أولى محاولة للنقد الفني- هذا التأليف في الحقيقة كان مقدمة لـ ''ديوان حالي''
في الطبع الأول ثم أفرد بالطباعة نظرا لفائدتها (٢٨) نشرت مع ''ديوان حالي'' سنة ١٨٩٣م، وسنة
١٩٢٠م- نشرت على حدة-(٢٩)

**٢٠-شكوه هند**

تحدث فيه عن مصائب الأمة المسلمة نظما، سنة الطبع ١٨٨٦م-(٣٠)

**۲۱-مدوجزر اسلام(مسدس حالی)**

مد الإسلام وجزره اشتهر باسم ''مسدس* حالي''- طبع مرة أولى سنة ۱۹۶هـ (۳۱)

يقول سرسيد عن مسدس: إذا سئلت يوم الحشر بماذا جئت من الدنيا؟ أجيب:

''حالی سی مسدس لکھوا لایا ہوں'' (۳۲)

استكتبت حالياً مسدسا فجئت به-

طبع مئات من طبعاته باللغة الأردية، وترجم إلى اللغة العربية و معظم لغات الهند نحو البنجابية والبنكالية والسندهية واللغات الأخرى (۳۳)

**۲۲-ديوان حالي**

جمع في الديوان الغزل القديم والجديد والرباعيات القديمة والجديدة والقصائد وغيرها-

**۲۳-مجموعه نظم حالی**

هذا الكتاب مجموعة لأشعاره المتفرقة (۳۴) عدد قصائد هذه المجموعة أربع عشرة قصيدة-

نشر هذا الكتاب سنة ۱۸۹۳م-

**۲۴-چپ کی داد (الجائزة بالصبر)**

ذكر فيه الخلال الحميدة للنسوة ومهام المنصب لهن- أنشد هذا الكتيب في الجلسة التي أنعقدت تحت رئاسة مهاراجه سرکشن برشاد-(۳۵)

حسن هذه القصائد الخاص هو أن الشاعر مبرّء من الخلافات الطائفية-(۳۶)

**۲۵-مناجات بیوه**

هذا الكتاب قصة أجراها الشاعر على لسان أرملة تحدث عن ألامها-(۳۷)

وقد ترجمت هذه القصة إلى معظم لغات الهند-(۳۸)

**۲۶-مرثيه مرزا غالب**

مفهومه علمي وأدبي-(۳۹)

هذه المرثية تنثر الآلام نثرا كثيرا، وهي مليئة بالعواطف الصادقة والمشاعر الحقيقة وهي تفسير صادق لقلب محزون-(۴۰)

**۲۷-مرثيه حکیم محمود خان**

أسلوب مرثية حكيم محمود خان أسلوب ''مسدس'' و ''شكوه'' (۴۱) وهي مليئة بالأحزان لكونها شخصية وهي عكاس للأحاسيس الصادقة-(۴۲)

**۲۸-تحفة الإخوان**

نشرت هذه القصيدة سنة ١٩٠٣م۔
هي قصيدة أنشدها حالي في المؤتمر المحمدي التعليمي (Muhammadan Education Confrence) (٤٣)

**٢٩۔كليات حالى**

هذا الكتاب يتالف من مجلدين۔ جمع كل ما نظم من قصائد ومنظومات وقطعات ورباعيات ورتب كل أصناف الشعر على حدة۔نشر هذا الكتاب سنة ١٩٢٤م۔

**٣٠۔رباعيات حالى**

جمع فيه رباعياته القديمة والجديدة سواء أكانت مطبوعة أو غير مطبوعة۔ (٤٤)

**٣١۔مثنوى حقوق أولاد**

ذكر فيه حقوق الوالدين وفرائضهما نظما۔ سنة الطبع ١٨٨٦م۔

خلاصةالقول:من خلال هذا البحث عرفنا ان ألطاف حين حالى حرک قلمه فی كل أنواع الأدب الأردى،سواء كان شعرا أو نثرا و كانت له باكورة فی بعض المجالات العلمية و الأدبية۔

## المصادر و المراجع

(١) دائره معارف اسلاميه،جامعة بنجاب،لاهور،باكستان،ط:١، ٨٣٧/٧

(٢) نفس المرجع

(٣) حالى،الطاف حسين،مولانا،: ترجمة حالى،مجلس ترقى ادب،لاهور، ص:١٤

(٤) رام بابو سكسينه،: تاريخ أدب أردو، مرزا محمد عسكري(مترجم)،مكتبه عاليه،السوق أناركلى،لاهور،ص: ٤٧٥

(٥) دائره معارف اسلاميه ٨٣٧/٧

* سرسيد أحمد خان (١٨١٧م- ١٨٩٧م) ولد في دهلي۔كان مصلحا وعالما دينيا وزعيما سياسيا وأديبا۔ أثر على كل صنف الأدب الأردي، قليلا كان أو كثيرا– حالي كان متاثرا بأفكاره حتى كتب الكتاب الذي نحن بصدده في حياة سرسيد دفاعا عنه، حالي كان لحركة على كره (حركة سرسيد أحمد خان) سنة ١٨٣٨م، اشتغل بالوظيفة الحكومية حتى صار القاضي المساعد بعد أن تقلد المناصب المختلفة۔ أسس كلية على كره (Aligarh College) سنة ١٨٧٧م التي صارت جامعة في مابعد۔ ومن أعماله إصدار مجلة ''تهذيب الأخلاق''، ومن تأليفاته تفسير القرآن باللغة الأردية، أثارالصناديد، وخطبات أحمدية وأسباب ثورة الهند و غيرها۔ رسائله وخطبه ومقالات تهذيب الأخلاق أيضا طبعت كمجموعات۔

(٦) تاريخ ادب أردو(تأريخ الادب الأردى)، ص: ٤٧٥

(٧)دائره معارف اسلاميه ٨٣٧/٧

حالى،ألطاف حسين،مولانا،: مثنويات حالي، المقدمة: لمرتضى حسين فاضل،الناشر أحمد على شيخ،لاهور،ص: ٣٣

(۸)

★ هو من أجداد أم ''حالي'' – أمت الرسول بنت محمد شفیع بن محمد أمین بن عبد الرحمٰن---

(۹) المرجع المذکور-

★ وهو مواطن ''حالي''-

(۱۰) محمد إسماعیل،شیخ: تذکره حالي،مجلس ترقی أدب،لاهور، ص: ۱۱۹

(۱۱) نفس المرجع، ص: ۳۴

جمیل أحمد بال،الأستاذ: حالي وأکبر کا خصوصی مطالعه(دراسة تخصصیّة عن حالي وأکبر)،نیوبک بیلس،السوق

(۱۲) الأردی،لاهور، ص:۱۲۹-

(۱۳) تذکره حالی ص: ۱۲۰-

(۱۴) مثنویات حالي،ص: ۳۲-

(۱۵) تذکره حالي ،ص: ۱۳۰-

(۱۶) نفس المرجع-

(۱۷) حالي: مثنویات حالي ص: ۳۴-

(۱۸) تاریخ ادب أردو ص: ۴۷۳

(۱۹) مثنویات حالي ص: ۳۱-

★ مولوي عبد الحق (۱۸۶۹م– ۱۹۶۱م) اشتهر بلقب ''بابائے اردو'' (منشیء حرکة تطویر اللغة الأردیة)- ولد في بلدة ''هابور'' (مدیریة: میرته– الهند) وهو من الناثرین الکبار للأردیة- أصدر مجلات لترویج الأدب الأردي- تأثر من سرسید وحالي وسلک مسلکهما في النثر- تألیفاته الشهیرة: چند هم عصر (بعض المعاصرین) ،وخطبات عبد الحق،و قواعد أردو (قواعد اللغة الاردیة)،وسرسید أحمد خان: حالات وأفکار،و مقدمات عبد الحق-

(۲۰) مثنویات حالي ،ص: ۳۱-

(۲۱) نفس المرجع

(۲۲) دائره معارف اسلامیه ۸۳۷/۷

(۲۳) أهل حدیث'' الأسبوعیة،یولیو ۱۹۹۷م (مجلة أسبوعیة تصدر من لاهور)

(۲۴)تاریخ ادب أردو، ص: ۴۷۳-

★ آل عمرٰن :۲۶/۳

★[۱] وردت بهذا المعنی (بالألفاظ المتخلفة) أحادیث کثیرة – انظر الصحیح لمسلم ،کتاب القدر، رقم (۲۶۴۸)جامع الترمذي، أبواب القدر، رقم (۲۱۵۵)، وصفة القیامة، رقم (۲۵۱۶) وقال الترمذي: ''حدیث حسن صحیح'' مسند أحمد، رقم (۲۵۳۷) ؛سنن أبي داؤد، کتاب القدر، رقم (۴۷۰۰)

(۲۵) مجلة ''أهل حدیث'' یولیو ۱۹۹۷م-

(۲۶)نفس المرجع

(۲۷) نفس المرجع-

(۲۸)مثنویات حالي ص: ۳۴۰-

(٢٩) مجلة ''أهل حديث'' الأسبوعية،المجلد:٢٨، عدد:٢٦-

(٣٠) المرجع نفسه

* مسدس هي منظومة لها ستة مصاريع- في كل جزء أربعة أشطر- الأولى تكون متحدة قافية- الشطر الخامس والسادس يكونان مختلفان عنها لكن متحدان بأنفسهما قافية-

(٣١) حالى،ألطاف حسين،مولانا،: مسدس حالى، مكتبه أدب اسلامى- لاهور، ص: ٩-

(٣٢) حالي وأكبر كا خصوصى مطالعه ، ص:٤١-

(٣٣) نفس المرجع،ص:٤٧-

(٣٤) مثنويات حالي ص: ٣٥-

(٤٣) أهل حديث 'الأسبوعية، ج: ٢٨، عدد: ٢٦'

(٤٤) نفس المرجع-

* مثنوى: هو منظومة في القافية المزدوجة يتفق كل شطر منها في الروى-

# ميراث المراة في الشريعة الاسلامية

## INHERITANCE OF WOMEN IN ISLAMIC LAW

د. الحافظ زين العابدين سودهر *

د. ناهيد آرائين**

**ABSTRACT**:

*Islam is a complete code of life. One of its many outstanding characteristics is the distinguished economic system it has outlined for humanity. Islamic economic system has many attributes, features and perspectives. Distribution of inheritance is one of the important pillars of this system which is full of wisdom and consideration towards the needs of society. Women are also entitled to inheritance in addition to men. However, as the enemies of Islam, from within and outside, have engaged themselves in futile efforts to damage the cause of Islam, they have also tried to misguide others and themselves with regards to the Islamic economic system. One of the propagandas they do is based on the share of women in inheritance which they object to be less than that of men. However, those who understand the fiqh of inheritance know that women sometimes get the inheritance equivalent to that of men and sometimes higher than that. Even in some circumstances, women get the share and men do not. There are only four scenarios or situations in which women get less share then men. It is accordingly proven in this paper that the propaganda of atheists and the ill-informed is completely unjustified and base-less .*

**KEYWORDS:** Inheritance, Women, Islam, Jewish, Fiqh

**الكلمات المفتاحية**: ألميراث ، المراة ، اسلام ، اليهودية،الفقه

ومن قضايا المراة التي نجدها تتباين تباينا شديدا بين الشريعة الاسلامية والنظم اليهودية مسالة اللمكية والميراث. لقد اعطمي الاسلام المراة كيانا خاصا مستقلا اصبحت بموجبه تملک وتتصرف وتنتفع بشخصها مباشرة، دون وكالة او وصاية، وتتعامل مع المجتمع بلاوسيط: فهي بالاضافة الي انها تمنع

* أستاذ مساعد معهدالألسنة قسم اللغة العربية كلية الاداب ،جامعة السند جامشورو

** أستاذة مساعدة قسم مقارنة الأديان والثقافة الإسلامية، جامعة السند جامشورو

باموالها الخاصة وحقها في مهرها، لا يطلب منها وهي زوجة ان تشترك في الاتفاق علي البيت اول الاهل، مما ينفق علي متطلبات الزوجية، فان كان لها مال قبل الزواج ولم تكن اهليتها تسمح لها بالتصرف حتي انتقلت الي زوجها فان ذمتها تكون منفصلة عنه ماليا، واموالها عند زوجها لاتعد شركة مالية بينهما، فكل حر التصرف، يقول ابن حزم: ولا يجوز ان تجر المراة علي ان تتجهز الي الزوج بشيء اصلا، لامن مالها ولا من صداقها، فهو كله لها، لا اذن للزوج في ذلک ولا اعتراض، ولها ان تملک الضياع والدور وسائر اصناف المال بكافة اسباب التملک، ولها ان تمارس التجارة وسائر تصرفات الكسب الحلال المباح، ولها ان تضمن غيرها، وان يضمنها غيرها وان تهب وتوصي دون وصاية من احد، وتستطيع ان تخاصم الي القضاء (١).

واما المراة اليهودية فقد كانت قبل الزواج تحت وصاية ابيها مهما بلغ سنها، ثم صارت تحت وصاية زوجها بعد الزواج، ولقد كانت الملكية محدودة، وهي تبع للقبيلة، ثم تطور الحال وعرفت المليكة الفردية، وبلغت ذروتها حيث تمثلت في ملكية٤.

الاراضي، والضياع والانعام، والنقود، والمنقولات، وكانت المراة لا تمتلک من ذلک شيئا، فميراث ابيها الذي تاخذه يصبح لزوجها، ومنقولتها وانعامها توول اليه، فملكيتها من نقد وما تكتسبه من عملها خارج بيتها يحب ان يصرف علي بيتها ٥ وقد منع الربانيون المراة من التصرف في مالها بينما اباح القراون لها ذلک، وعلي الرغم من ان القانون الاسرائيلي الحديث قد اعطي المراة حرية التصرف في متملكاتها وادرتها كيفما تشاء، اذ حدد القانون مسوولية كل شخص متملكاتها، وليس له ان يفرض حقوقا علي الاخر، الا ان هذا القانون يعتبر تعديلا للشريعة اليهودية التي فرضت علي المراة الخضوع لارادة زوجها في ادارة شوونها الالية، متملكاتها ، ومتملكات الزوجة التي ينص عليها عقد الزواج للزوج الحق في الانتفاع بها دون التصرف في الاصول، كما انه لا يحق للزوجة التصرف بممتلكاتها الا بعد موافقة زوجها، لان نتاج هذه المتملكات من حق الزوج حسب الشريعة، بل ان من حق الزوج التصرف بالهدايا التي تقدم للزوجة بعد الزواج، الا اذا نص صاحب الهدية علي انها للزوجة فقط، حتي مهرها ليس لها، وقال بعض فقهاء اليهود: ليس للمراة الا متاعها ولباسها، وقد حددوا ذلک ببعض القطع البسيطة (٦)

ميراث المراة في الشريعة الاسلامية:

لقد حرص الاسلام كل الحرص — خلافا لا سبق في الجاهلية، علي توريث المراة من تركة زوجها او ابيها او ابنها او اخيها، وفرض لها حقا لا يستطيع احد. انكاره لقوله تعالي: للنساء نصيب مما ترک الوالدان

والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا (٦).

يقول جو ستاف لوبون: ان مبادي الميراث في الشريعة الاسلامية علي جانب عظيم من العدالة والانصاف وبمقا بلتها مع كافة القوانين الاخري نجد الاسلام قد منح المراة حقوقا لا نجد مثلها في قوانيننا .(٨)

لقد اعطي الاسلام المراة ميراثا علي النصف من ميراث الرجل لقوله تعاليٰ: للذكر مثل حظ الانثين (٧) ولقد ورث الاسلام المراة زوجت فقال تعالي: ولهن الرابع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد، فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين. (٨) والاصل في الميراث ان يقضي الدين والصية، ثم يقسم الميراث بعد ذلک بين الورثة، فالزوجة لها ربع التركة ان لم يعقب، اما ان كان له ولد فلها الثمن وان كن اكثر من زوجة اشتركن في الربع او الثمن، وقد ورثها الاسلام اما فقال: ولا بويه لک واحد منهما السدس مما ترک ان كان له ولد، فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث (٩) فلقد ورثها الاسلام وجعل لها الثلث من تركة ابنها ان لم يكن له ولد، فان كان له ولد فلها السدس، وان لم يكن له اولاد وكان له اخوة، فان اخوته واباه يرثونه ويكون لامه السدس. (١٠)

اما في الكلالة فقد ساوي الاسلام الذكر بالانثي فقال تعالي: وان كان رجل يورث كلالة او امراة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس، فان كانو اكبر من ذلک فهم شركاء في الثلث (١١) وبذا يكون قد اعطي الاخت من ميراث اخيها.

وقد حرص الاسلام علي توريث المراة بنتا فقال تعالي: فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترک، وان كانت واحدة فلها النصف . . . الاية (١٢) وهنا نجد ان الاسلام قد منح البنت نصف التركته ان لم يكن لها اخوة فان كانتا اثنتين فلكل واحدة منهما الثلث وورثها بحسب رابطتها، وقد اشترط السلام علي المورث ان لا يوصي باكثر من الثلث ، لحديث سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال: يا رسول الله ان لي بنتا ولي مال كثير فهل اوصي به؟ قال: لا قال بثلثيه؟ قال: لا قال بنصفه؟ قال: لا قال بثلثه؟ قال: والثلث كثير، انک ان تذر ورثنک اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتفكون الناس(١٤) اوكما قال صلي الله عليه وسلم والتركة تشمل الاموال والعقارات والاعيان والاراضي منقولة وغير منقولة.

ميراث المراة عند بني اسرائيل:

لقد كان بنو اسرائيل يورثون الذكور دون الاناث، ويفصلون الذكر علي الانثي علي الدوام فادي ذلک

الي مضم حقوق البنات، فاذا مات الرجل وترک اولادا ذكورا واناثا فان ميراث الاب يوزع علي الذكور دون الاناث وقد ميزت الشريعة اليهودية بين الابن البكر والذي دونه، فاعطت الكبر ضعف اخوته فلو كان لرجل امراتان، احداهما محبوبة والاخري مكورهة، وولدت الكروهة ذكرا قبل المكروهة ذكرا قبل المحبوية، فان ابن المكروهة يعطي ضعف ابن المحبوبة، ورغم انه ابن المكروهة له حق البكورية(١٥) . وقد بقي الحال علي ذلک، فان لم يكن للميت اولاد ذكور، ورثه اخوته دون بناته، وقد. قامت بنات صلفحاد بن حافر بتغيير الشريعة اليهودية الخاصة بميراث البنات، عندما طلبن من موسي عليه السلام ان يورثهن فورثهن ... فقال الرّب لموسي: تعطيهن ملک نصيب بين اخوة ابيهن وتنقل نصيب ابيهن، وقال بنو اسرائيل ايما رجل مات وليس له ابن، تنقلون ملكه لابنته، وان لم تكن له ابنه تعطون ملكه لاخوته وان لم يكن له اخوة تعطون ملكه لاخوة ابيه وان لم يكن لابيه اخوة تعطون ملكه لنسيبه الاقرب من عشيرته فيرثه، (١٧) ولكن اليهود قيدو ذلک فصارت البنت لا تعدو كونها وسطا ناقلا لهذا الميراث، فقد جاء في سفر العدد: اذا تزوجت البنت من منفس السبط فان نصيب البنات يوخذ من نصيب اعمامهن، ويعطي نصيبهن للسبط، لا يخرج الي سبط آخر، وكل بنت ورثت نصيبا من اسباط بني اسرائيل تكون امراة لواحد من عشيرة سبط ابيها لكي يرث بنو اسرائيل كل واحد نصيب ابائه فلا يتحول نصيب من سبط الي سبط الي سبط اخر بل يلازم بني اسرائيل كل واحد نصيبُه (٢) فاذا مات رجل وليس له ولد فان ميراثه يتحول الي بنته بناء علي القاعدة السابقة، ولكن اليهود ، يحولون الميراث الي ابن ابنه ذكرا كان ام انثي، فان لم يكن له ابن ابن فميراثه لبنته، فان لم يكن له بنت فلابن البنت وعليه فان بنت الابن تحجب عمتها من الميراث لان الميراث، عندهم ، يمشي في الفروع راسا والعكس هوالذي يحصل في الاسلام فنجد العم يحجب ابن اخيه، ولكن الصدوقين يرون ان ابنته ترث لانها اقرب من بنت ابنه وفي هذا وقع خلافهم مع القرائين والربانين، لان الميراث عندهم يوول الي فرع الفرع راسا. ولكن طافة.

الصدوقين التي سمحت للبنت ان ترث وتشارک اخاها اندثرت ولم يعد لها وجود، ولكن اليهود اختلفوا فيما بعد حول مقدار ميراث العزباء ، فقال البعض: هو عشر التركة وقال اخرون: هو عُشر الاموال المنقولة، اما بعض الفقهاء فقالو: ان ميراثها هو عشر العقار فقط وقد اوردت دائرة المعارف اليهودية تقسيما لتوزيع الميراث جعلت البنت فيه تالية لاخيها وفروعه، فهي ترث بشرط زواجها من اهل عشيرتها. (١٩)

يقول كتاب الاحكام الشرعية: حق البنت في العشر اذا ترک الوالد ميراثا وله اولاد ذكور، فانه

بحسب الشريعة يرث الا ولاد كامل التركة اما البنات فلا يرثن، ولكن اذا لكم يكن قد بلغن الرشد اول لم يتزوجن بعد فانه يجب علي الاولاد الذكور اعالة البنات حتي بلوغهن سن الرشد وهو ثلاثة عشر عاما، او حتي زواجهن (٢٠) وحفظا لحقهن فان الشريعة قد حددت لهن بما يوازي عشر التركة، ينفق عليهن او يدفع لهن كصداق عند زواجهن، وقد جاء في كتاب الاحكام الشرعية للاسرائيلين:

علي تركة الاب نفقة البنات الي ان يتزوجن او يبلغن (٣) وذكر الكتاب ايضا: التركة للذكور دون الاناث وانما عليهم نقطة غير المتزوجة حتي تتزوج او تبلغ واذا شاء الذكور ادارة التركة حق للاناث شرعا استقلالهن بنصيبهن، فان كن قاصرات، نابت السلطة عنهن في ذلک، وحقهن عشر التركة (٤) ولكن الكهنة اضافو شرطا لاندري من اي شرع اخذوه، فجعلو حق البنات في النفقة او الصداق قاصرا علي التركة التي فيها العقار لان العقار لا يباع الا قليلا بسبب. ٢١

اليوبيل (٢٢) وقد جاء في التوارة: لقد امر سيد من الرب ان يعطي نصيب بنات اخينا صلفحا دلبناته ، ولم يقل عُشره فان صرن نساء لاحد من بني اسباط بني اسرائيل، يوخذ نصيبهن من نصيب ابائنا ويضاف الي نصيب السبط الذي صرن اليه. فمن فرعه نصيبا يوخذ؟ ومتي كان اليوبيل لبني اسرائيل يضاف نصيبهن الي نصيب السبط الذي صرن له، ومن نصيب سبط ابائنا يوخذ نصيبهن. (٢٣)

ثم تحول الامر بيني اسرائيل فاخذو يمنحون البنت جزءا من جزء من ريع الاملاک، لاعلم قدره، ان لم يترک الوالد لها، مهرا، حيث يترک امرها لاخوتها.

وقال بعض علماء التلمود ان البنت لها حق الميراث مع اخيها من امها وليس من ابيها ورغم النتف التي اعطيت للبنت بمنه الا ان الشريعة سمحت للاب ان يمنع ويحرم الاناث من الميراث ولا يستطيع فعل ذلک مع الذكور، فقد جاء في كتاب الاحكام الشرعية: لا يحق للاب ان يوصي او يهب نصف ماله اذا كان له اولادا ذكورا، وله ان يهب جميع ماله ان كان نسله من البنات (٣)

فاين الاسلام من هذا؟ ان الاسلام يعطي كل ذي حق حقه حسب فرضه وحصته في الميراث وهنا ينبغي ان نتذكر ما سبق وان رويناه عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه فا آراد ان يوصي بماله، فنهاه رسول الله صلي الله عليه وسلم عن ذلک، رغم نسله حيذاک كان بنتا واحدة (٢٦).

ولا يفرق الاسلام في الميراث بين البكر وغيره، ومع ان الدين يفرقون بين الذكور في البكورة الا انهم لا يفرقون بين اناث وهذ اجحاف يبقي باطل

وكذلک فاننا نجد ان النصوص التي وردت تلزم الاخوة باعالة اختهم حتي الثالثة عشرة، او الزواج، ان كان قبل بلوغها هذا السن، فماذا لولم تتزوج البنت؟ هل تُرمي في الشارع ام ماذا يحدث لها؟ لقد تركت النصوص البنت ؟ هل تُرمي في الشارع ام ماذا يحدث لها؟ لقد تركت النصوص البنت ضائية واحكمت عليها الخناق، فلا هي سمحت لها بالميراث كباقي اخوتها، ولا هي تركتها في وضاية ثابتة حتي لو لم تتزوج. والمادة السابقة جعلتها صفرا لا حق لها في الميراث مع ان التوراة ورثت بنات صلفحاد.

وكذلک فان الشريعة اليهودية لم تحمل الورثة ديون المورث الا اذا كان في التركة عقار بياع ويقضي عنه الدين، والمعروف انهم لا يورثون البنت الا اذا كان في التركة عقار، فمعني ذلک ان البنت قد لا ترث حتي مع وجود العقار.

اولا: اذابيع العقار وقضي الدين. وثانيا: لان العقار اذا بيع فانه يعود في اليوبيل الي اصحابه

فقلت رغبة الناس في شرائه وفي الاسلام نجد عكس هذا المبدا اليهودي فقبل تقسيم التركة تقضي ديون الميت ثم تنفذ وصيته، وبعدهايعطي كل ذي حق حقه دون فرق بين منقول وعقار، وتبقي البنت علي نفقة ابيها فاذا تزوجت لحقت بزوجها فان طلقت اولم تتزوج بقيت علي نفقة ابيها حتي الو موت.

ولقد نصت مجموعة الاحكام الشرعية علي حق المراة في الميراث فقالت: ان البنت ترث اباها ان لم يكن له ولد من الذكور، ولا يحق للام ان ترث ابنها او ابنتها فاذا ترک الميت بنتا او خنثي تساويا في النصيب، وللاخوة ان يدفعوا لا ختهم قيمة الدوطة وهي العشر وكل ما تملكه المراة يوول الي زوجها بعد وفاتها ميراثا سرعيا، لا يرث معه احد غيره ابدا، وتعيش البنات من مال ابيهن حتي.

يرشدن او يتزوجن، وادا عثرت الزوجة علي ا لبقية فهي من حق زوجها مادام ينفق عليها(٢٧).

وتمنع اليهودية الام من ان ترث ابنها او ابنتها بينما نصت النصوص علي حقها في الاسلام وفرضت لها نسبا تتناسب مع وضعها، ووضع الورثة، وكذلک فان الاسلام قد ورث الزوج نصف تركة زوجة، ان لم يكن لها ولد، وربعها ان كان لها ولد بينما حرمت اليهودية ابناء المراة ان يرثوا امهم وجعلت التركة كلها للزوج.

لكن القرائين في احكام المواريث يقولون: ان الزوج لا يرث زوجته لانه لا اثر لها في المادة (٢٨) والتي تنص علي انه: اذا مات انسان ولا ولد له فالتركة لبنته، فان لم يكن له بنت فلاخوته، فان لم يكن له، اخوة فلا خوة ابيه، ثم لقربيه، والاقرب من عشيرته، ولا اثر في هذه المادة يعطي الحق للزوج بميراث

زوجته (٢) وقال النهاوندي: يجوز للزوج ان يرث زوجته (٢٩)

ونستطيع القول: ان ميراث المراة بمعني الميراث الحقيقي لم يكن معروفا عند بني اسرائيل حيث كانت المراة ترث رمزا لا حقيقة وتملكا، لان التوراة اوجبت ميراث الزوج لزجته فقد جاء في التوراة: وكل بنت ورثت نصيبا من اسباط بني اسرائيل تكون امراة لواحد من عشيرة سبط ابيها لكي يرث بنو اسرائيل كن واحد نصيب ابانه...(٣٠)

والمراة ترث اباها فقط ولا ترث ابنها ولا اخاها ولا عمها ولا جدها ولا اقرب الناس اليها، زوجها! والسبب في عدم ميراثها لذوجها ان اخوة زوجها يلزمون. بالزواج منها ان لم تعقب منه وحينئذ تلزمهم نفقتها (٣١)

التراث اليهودي والصيهوني والفكر الفرويدي صبري جرجس مركز الابحاث الفلسطيني بيروت ١٩٧٦ م

يقول التلمود: والذي يثبت للزوجة من التركة هو موخر صداقها، لانه حقها فان كن اكثر من واحدة فان الحق يعود اليهن حسب الا مدمية، فالاولي مقدمة علي الثانية والثانية علي الثالثة، فاذا استوين في العقد فانهن يتزا حمن علي التركة قسمة غُرَماء(٣٣).

ولكن الاسلام جعلهن شركاء في الثمن او الربع دون فرق بين الاولي والثانية ولا داعي للگھرامة بينهن وانما حل الامر سلميا.

وفي الشناة: من كتب لزوجته الخطوبة اليه ولم يدخل بها صكا قال فيه: لا حق ولا مطالبة لي باموالک بعد زواجي بک، فانه ياكل الثمار ابان حياتها واذا ماتت ورثها، والخرج من كتابته صكا، انه كتبه حتي يكون عملها نافذا لو باعت الاموال او وهبتها، وهذا يثبت ان المرا ة كان باستطاعتها التملک ولكن في حدود معينة وزمن معين، فان كتب لاحق ولا مطالبة لي باموالک وبثمارها، فلا ياكل الثمار في حياتها، واذا ماتت فانه يرثها، ولكن الربي يهوذا (٢) يقول: ان لم يكتب وثمار ثمارها.. الخ فانه ياكل مالم يكتب لها صكا، لا حق ولا مطالبة لي باموالک، وبثمارها وثمار ثمارها في حياتک وفي مماتک، فلا ياكل في حياتها ولا يرثها اذا ماتت. ويقول الرابي شمعون (٣) بن جمليل: بل يرثها اذا ماتت لانه اشترط شرطا مخالفا لا في التوراة، وكلمخالف باطل، ومن كان متزوجا بامراتين، ثم مات فللاولي منهما اولوية المطالبة بصداقها علي الثانية، ولورثة الاولي الافضلية علي ورثة الثانية، فاذا تزوج الاولي ثم ماتت وعاد وتزوج الثانية فمات هو فللثانية.

وورثتها الاولوية علي ورثة الاولي، فان كن اكثر من واحدة من واحدة، فانهن يرثن من زوجهن صداقهن بالتساوي، فاذا زادت القيمة او نقصت اخذت الاويل صداقها بالكامل او نصفه، وكذلک الثانية حسب قيمة الصداق، واذا تزوج يهودي بغير يهودية ثم ماتت ورثها، اما اذا مات قبلها فانها لا ترثه (٣٦) وفي قضية ميراث الزوجة التي تخالف دين زوجها فان الاسلام يمنع التوارث بين المسلم وزوجته في حال موت احدهما او كليهما.

وقد ادعت التوراة واحبارها بان ايوب من بني اسرائيل رغم ان ايوب لم يكن يهوديا، وقد وضعوا له سفرا في توراتهم، نصوا علي ان ايوب اعطي لبناته ميراثا بين ابنائه الذكور، فيقول السفر: كان رجل في ارض عوِض اسمه ايوب وكان هذا اكرجل كاملا ومستقيما يتقي الله ويحيد عن الشر وولد له سبعة بنين، وثلاث بنات، وكانت مواشيه سبعة الاف من الغنم وثلاثة الاف جمل، وخمسمائة فدان، فكان اعظم بني المشرق وكان له سبعة بنين وثلاث بنات لم توجد نساء جميلات كبنات ايوب في كل الارض، اعطا من ابوهن ميراثا بين اخوتهن. (٣٧)...

وقد اتضح من الادلة القاطعة (٣٨) ان ايوب لم يكن يهوديا وانه سار علي طريقة توريث البنت مع البنين وهو نظام لم يعرفه اليهود، اذ لا ترث البنت الا مع عدم الذكور، ولو كان ايوب منهم لعملو بنظام توريث البنت مع اخيها، ولكنهم قيدوا ميرث البنت، فلا توراتهم ولا تلمودهم يخبرنا عن النظام الذي اتبعه سيدنا ايوب في احقية البنت في الميراث، وقد وصفت التوراة ايوب بصفات بذيئة، ونالت منه، فكيف يكون منهم؟ وانما الصقوا سفره بتوراتهم ليظهروا بمظهر المقدم التحضر.

لمعرفة هذه الادلة انظر السيد عاشور مركز المراة في الشريعة اليهودية ص٧٩ التلمود تاريخه وتعاليمه ظفر الاسلام خان دار النفائس — بيروت ط ١٩٨٠/٢م.

وما يزال المجال واسعا للخوض في قضية الميراث عند بني اسرائيل، ويستطيع الباحث ان يفرد له مولفا خاصا لما فيه من التقديم والتاخير والتحريف، فقد حيرتني نصوصهم بين مثبت وناف وبين مقيد ومطلق الانثي في الميراث وقد رايت ان اختصر دون الاضرار بالمعني العام

لمزيد من الاطلاع والبحث انثر: كتاب الاحكام الشرعية للاسرانليين لابن شمعون المادة ٥٢٠–٥٣٩ المراة في الشريعة اليهودية سوزان السعيد ص ٩٧–١٠٠ مركز المراة في الشريعة اليهودية / عاشور ص ٥٣–٧٠–٧١–٧٩–٨٠–٩٣–١٠٨٠–٤٩ دائرة المعارف اليهودية المجلد الخامس مادة نساء. ص. ٣٩٠ وما بعدها القاموس العبري المكنف لابن شوشان ص ١٨٠. دائرة المعارف العبرية العامة اوتسار

عثريت تل ابيب — بدون تاريخ القاموس العبري المكثف ابن شوشان القدس ١٩٨١م.

## المراجع والحواشي


١. احكام الاسرة بين الشرع والقانون. علي عبدالله ضناوي دار الانصار — القاهرة ١٩٨٠ م.
٢. الاسلام والمراة المعاصرة البهي الخولي دار القلم — الكويت ط ١٩٧٤/٤ م.
٣. المراة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع حسن الترابي دارالشروق — جدة ط ١٩٧٩/١ م.
٤. المراة بين الشريعة الاسلامية والنظم اليهودية امال ربيع القاهرة ١٩٧٧ م.
٥. مركز المراة في الشريعة اليهودية السيد محمد عاشور القاهرة ١٩٧٦م
٦. سورة النساء الاية ١١
٧. النساء الاية ١١
٨. حضارة العرب ص ٣٢ جو ستاف لوبون بيروت ١٩٧٥ م ترجمه عادل زعتير
٩. النساء الاية ١١
١٠. النساء الاية ١٢
١١. النساء الاية ١٢
١٢. النساء الاية
١٣. النساء الاية ١١.
١٤. رواه الجماعة انظر نيل الاوطار ٣٧/٦طبع بيروت
١٥. نيل الاوطار شرح منتقي الاخبار الامام محمد بن علي الشوكاني
١٦. مكتبة الدعوة الاسلامية، شباب الازهر، بدون تاريخ طبع بيروت
١٧. سفر العدد (٢٧:١:١٠)التوراة الهيرو عليفية دارالكتاب العربي للطباعة النشر، القاهرة، بدون تاريخ جمع واعدادد، فواد حسنين علي.
١٨. سفر العدد (١٣:٤:٣٤)التوراة الهيرو عليفية دارالكتاب العربي للطباعة النشر، القاهرة، بدون تاريخ جمع واعدادد، فواد حسنين علي.
١٩. دائرة المعارف اليهودية: الجلد الخامس، مادة، نساء ص كتاب الاحكام الشرعية للاسرائيلين المادة (٥٢٩) ص٣٤٠ دارة المعارف الاسرائيلة اوتسار يسرائيل مطبعة. الجامعة العبربيه تل ابيب ١٩٨٧م .
٢٠. المصدر السابق المادة (٥٣٠)
٢١. المصدر السابق المادة (٥٣١)
٢٢. اليوبيل هو: مرور خمسين سنة علي بيع الارض، تعود بعد ذلک الي
٢٣. سفر العدد ايضا(٣٦:٤:٧)
٢٤. الاحكام الشرعية للاسر انليين المادة رقم ٣٢٥ ايضا
٢٥. التاريخ الاجتماعي والد يني بشعب اسرائيل شالوم هارون لمات جان تل ابيب ١٩٦٨ ص ١٠٢
٢٦. البخاري جامع الصحيح البخاري قديمي کتب خانه کراچي ص ٢٦٥

٢٧. الاحكام الشرعية للاسرانليين المادة ٥٣٧.
٢٨. احكام المواريث، السفر الرابع، الفصل السابع والعشرون.
٢٩. لعله يقصد يجوز له الشاركة في ميراثها لانه من القرائين.
٣٠. سفر العدد (٣٦:٧:٩)
٣١. التكوين (٣٧:٦:١١)
٣٢. التراث اليهودي والصيهوني والفكر الفرويدي صبري جرجس مركز الابحاث الفلسطيني بيروت ١٩٧٦ م
٣٣. تلمود بابل ص ١١٨.
٣٤. الرابي الاكبر اي الكاهن الاعظم وكان يعيش فيما يسمعي حاليا بالمانيا الاتحادية عام ١٠٠٠ م.
٣٥. الرابي شمعون: الكاهن الاعظم ليهود الشرق في الفترة ما بين ١٠٤٠-١١٠٠م. اتلمود شريعة بني اسرائيل مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٧٩م. ترجمة محمد صبدري.
٣٦. الشناتركن التلمود الثالث نظام النساء ص ١٣٥-١٣٧
٣٧. سفر ايوب (٣٢:١٣:١٤) ايضا

# مقاومة بيئية في شعر محمود درويش

## ECO RESISTANCE IN THE POETRY OF MAHMOUD DARWISH

د. ضياء الرحمن [*]

**ABSTRACT:**

*Eco criticism is a new and growing field and quite a recent phenomenon in the world of literature. This study stamps to analyses three poems of the Arab poet Mahmoud Darwish using selected concepts from eco-criticism as a way of opening up this field to Arab world academics. The premise of the research was impelled by the generally agreed view that every society and culture has their own way of interacting with nature, which in turn can illustrate a culture's worldviews, norms and values. It can also provide insights as to how nature has been used by certain poets to further their agendas. This paper mainly dwells on selected poems that have natural objects as their main focus and which show how Darwish utilized nature as a form of resistance to colonialism. Such poems of Darwish could be used to illustrate how eco-criticism might contribute to an understanding of Arab resistance during the colonialist period. The research shows that the Arab poet, Mahmoud Darwish had a special way of educating Arab people to resist through "green" poems that were engineered on natural environment.*

KEYWORDS: Eco-Criticism, Nature, Poetry Resistance, Mahmoud Darwish

**الكلمات المفتاحية:** مقاومة بيئية ، الطبيعة، شعر, محمود درويش

## الملخص

في إطار الوعي المتنامي بقضايا البيئة، نشأ حديثا اتجاه جديد يطلق عليه النقد البيئ في عالم الأدب والفن وترعرع في محيط الأدب العربي بعد تعاظم نفوذه في الولايات المتحدة وبريطانيا وأفريقيا والهند. فتح هذا الاتجاه النقدي أفقا جديدا من الحوار في أواسط أكاديمية من العالم العربي بمن فيهم الشاعر العربي

[*] مدرس ضيف، مركز دراسات غرب آسيا، كلية الدراسات الدولية، جامعة جواهر لعل نهرو، نيو دلهي

محمود درويش وأثر في تكوينه الفني والفكري كما نجده خاصة في قصائده "عاشق من فلسطين" (١٩٦٦)،" يوميات جرح فلسطيني" (١٩٧١) والمزامير (١٩٨٢). هذه الدراسة عبارة عما يتفق على أن كل مجتمع وثقافة لديه طريقة خاصة للتفاعل مع الطبيعة والتي بدورها يمكن أن تضيء وجهات النظر العالمية عن الثقافة ومبادئها وقيمها. كيف استخدم محمود درويش مظاهر الطبيعة في شعره من أجل تعزيز أجندته؟ وكيف إنه قاوم عدوه بقلمه وقصائده من خلال الأشجار والجبال والتلال والصخور والطيور وغيرها من الطبيعة الأخرى؟ وكيف يمكن أن يسهم النقد الإيكولوجي في مجال إدراك خطورة المقاومة العربية خلال فترة الاستعمار؟ كل ذلك يتمحور حول هذه الدراسة الشاملة.

كلمات مفتاحية: النقد البيئ، الطبيعة، الشعر، المقاومة، محمود درويش.

مقدمة

النقد البيئي هو ظاهرة حديثة في الإطار الأدبي و يعود إلى مقال بقلم ويليام روكيرت في عام ١٩٧٨م على الأقل. وهو بعنوان "الأدب وعلم البيئة: تجربة في النقد البيئي". يجادل ويليام روكيرت في مقاله بأن المشروع الإيكولوجي، مهما كان هو، يحدد دور الطبيعة في مجال إثراء الشعر بالصور والرموز والإيحاءات و يعتني بكيفية استخدام مبادئ إيكولوجية كنموذج للتفكير في العمل الأدبي. على الرغم من ذلك، ظل النقد البيئ غير فعال في مفردات النقد حتى تم عقد اجتماع رابطة الأدب العربي في أميركا عام ١٩٨٩ حيث سلط تشيرليي غلوتفيلي وغلين ألوف الصوء على مصطلح النقد البيئ مؤكدين على ضرورة تطوير أبعاد النقد ذات التوجه البيئ. من هذا المنطلق، ظهر النقد البيئ كمجال أدبي جديد في أواخر سنوات السبعين من القرن العشرين وبدأ يتعاظم نفوذه في أمريكا الشمالية وبالضبط في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وذلك ضمن مؤسساتهما الأكاديمة ومعاهدهما الجامعية كجامعة "أريغون".

على مدى العقود الثلاثة الماضية، بدا النقد البيئ على سطح الأرض كنظرية أدبية تدرس حركة التفاعلات بين الإنسان والطبيعة أو البيئة في النص الأدبي وتجاوز حدود أمريكا وبريطانيا للوصول إلى أفريقيا والهند. وفقا لميوانغي، قلما يوجد النقد البيئ في المجمع الأكاديمي مع أن التعبير مثل "صراع الرجل مع البيئة" تسمعه أذاننا في أغلب الأحيان في مقالات أدبية. وأما في الهند، فهناك عدد هائل مما يرافق مرحلة مابعد الحداثة والنقد البيئ بتحليل ما يعقد ترابطات نصية وخطابية بين الأدب والطبيعة والأرض والمكان.

في نصوص الأدب العربي، لايزال النقد البيئ في مراحله الأولى من النمو والتطور. نحن نأمل بإمكانية ارتقاءه إلى درجة عالية من النضج لأن معظم الأدب العربي ازدهر في محيط ريفي. من وجهة نظري، إنما تبلور خلال فترة مابعد الاستعمار يترجم عن علاقة وطيدة بين أعلام الأدب العربي ووطنهم الذي ألهمهم على مقاومة الاستعمار. من بينه ، لعب الشعر والشعراء دورا حيويا في مقاومة الاستعمار خلال الاستعمار الغربي للعالم العربي. تمثلت مثل هذه المقاومة في كثير من القصائد حيث يؤظف الشعراء ما يستمد من الطبيعة ومكوناتها أمثال الصخور والأحجار والشمس والبحر والطيور والتلال لصب جام غضبهم على الظالمين. اندفعت هذه الدراسة بمقاومة انعكست في مرآة الشعر العربي في أواخر القرن العشرين و على وجه الخصوص بشعر محمود درويش ينظر إليه أعلام الأدب بعين التقدير والاحترام البالغين واصفين إياه أبا لشعراء المقاومة العرب. وأما هدف هذه الدراسة فهو تطبيق مبدأ النقد البيئ في إطار قصائد مقاومته.

محمود درويش هو صوت المقاومة العربية و المتحدث بلسان الشعب الفلسطيني اليائس والمنفي وهو شاعر فلسطيني يرتسم شعره في أذهان الملايين من العرب حتى هتف المتظاهرون المناهضون للاحتلال كلماته على شوارع رام الله ودمشق والقاهرة. له أكثر من عشرين مجموعة شعرية تحددت موسيقاها على لسان مارسيل خليفة. من أشهرها قصيدة "أمي" يستهلها الشاعر بسطر "أحن إلى خبز أمي".

ولد محمود درويش في قرية فلسطينية "البروة" بمنطقة عكا وأصبحت جزءا من "إسرائيل" عام ١٩٤٨. على إثر ذلك، هربت عائلته إلى لبنان وعادت إلى قريتها بعد عام واحد . كسب محمود درويش سمعة عالمية كشاعر المقاومة في أوج شبابه بديوانه الأول "عصافير بلا أجنحة". من أشهر قصائده "بطاقة هوية" يستهلها الشاعر بلهجة خطابية:

"سجل! أنا عربي!

ورقم بطاقتي خمسون ألف"

وأطفالي ثمانية!

وتاسعهم... سيأتي بعد صيف!

فهل تغضب!١

وضع محمود درويش في قفص الاتهام بقراءة قصائد تحريضية وسُجن ثلاث مرات خلال سنوات الستين. في فترة السبعينات، إنه غادر إلى القاهرة للإنضمام إلى منظمة التحرير الفلسطينية حيث توثقت عروته مع ياسر عرفات. في عام ١٩٨٧، كما تم انتخابه للجنة تنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية كتب تصريح الإستقلال عام ١٩٨٨ وتلاه ياسر عرفات عند إعلان دولة فلسطين. عام ١٩٩٣، إنه استقال عن منظمة التحرير الفلسطينية احتجاجا على اتفاق أوسلو واستقر في رام الله. وجه كثير من أبناء البلاد هجوما لاذعا عليه لترك وطنه إلا إنه دافع عنه بقوله إنه خدم وطنه خارج وطنه أفضل مما فعله داخل وطنه. إنه لفظ أنفاسه الأخيرة في مستشفى تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية في أغسطس عام ٢٠٠٨.

تاريخ موجز المقاومة العربية

كيف استمدت حركة المقاومة العربية أصولها؟ وكيف رسخت جذورها في عمق أرض فلسطين؟ وكيف انطلقت حركة المقاومة الأدبية على المسار الفلسطيني؟ هذا هو ما يدور حوله الباحث . يرى رجال الفن والأدب العربي أن حركة المقاومة الفلسطينية انطلقت مما شهده العالم العربي بأسره على مدار عقود القرن العشرين. يعتقد رئيس أركان القوات المسلحة الليبية ريادي منقوش بأن "توظيف ا لتاريخ المختلف يكشف عن تنافس وجهات النظر العالمية الدالة على الاشتباكات الآئيديولوجية بين الشرق والغرب"٢. ومما لايزال يشغل بال الإنسان العربي هو استعمار فلسطين على يد إسرائيل بمساعدة الإمبراطور البريطاني عام ١٩٤٨. منذ ذلك الحين، لايزال عرب فلسطين يكافحون للتحرر من قبضة الاستعمار.

بدأ عرب فلسطين حركتين مقاومتين: مقاومة مسلحة ومقاومة أدبية. في طليعة حركات المقاومة المسلحة، حركة مقاومة لعام ١٩٣٦ يرجع إليه تاريخ المقاومة العربية لفترة تتراوح ما بين عام ١٩٤٨ و ١٩٧٣م إذ أنها ثورة مسلحة ثارت في أنحاء كثيرة من فلسطين و هي أول معركة بين الشعب العربي المقاوم والإمبراطور البريطاني بمساعدة المستعمرين اليهود. حال المستعمرون البريطانيون دون المقاومة الأولى من خلال شبكة سياسية مع القادة العرب كإطار خطة نحو إنشاء إسرائيل كدولة مستقلة في ربوع فلسطين المحتلة. من أبرز مزايا المقاومة المسلحة الأولى هو أنها حرضت العرب على مقاومة اليهود بشق الطريق إلى ظهور جيل جديد من الشعراء الملهمين في الوطن المحتل وفي الشتات.

شهد العام ١٩٤٨ حدثا تاريخيا مأساويا في تباشير التاريخ الفلسطيني عقب إنشاء إسرائيل خضع لها الجيش العربي وانخفض صوته لعدة سنوات عانى خلالها الشعب الفلسطيني من مصاعب جمة٣.

على الرغم من اضمحلال فتيل المقاومة المسلحة ، رفعت حركة المقاومة الأدبية صوتها على الظلم والاستغلال ونبضت قلوب الشعراء أمثال محمود دريش، سميح القاسم، توفيق زياد وسالم جبران وغيرهم. من بينهم ، محمود درويش يأتي في المرتبة الأولى من شعراء المقاومة. يرى الأديب المصري فيصل دراج أن المصطلح "شاعر المقاومة" له أثران. أولهما على الأرض المحتلة التي ترتقب إلى التحرير وآخرهما الآئيديولوجيا القومي الذي يحتفل بشعر الالتزام بتحرير فلسطين. ٤

حركة المقاومة في الأدب العربي

في كتابها أدب المقاومة لاحظت باربرا هارلو بأن مصطلح "المقاومة" جاء لأول مرة في سياق توصيف الأدب الفلسطيني عام ١٩٦٦في دراسة الكاتب والناقد الفلسطيني غسان كنفاني بعنوان: أدب المقاومة في فلسطين المحتلة وذلك بزعم بأن أدب المقاومة يميز بين الشعب المحتل والشعب المنفي و يواكب مشوار الكفاح السياسي والعسكري والاجتماعي من أجل الحرية. يقول المؤلف في دراسته حول المقاومة الفلسطينية إن أي نوع من البحث لايأتي في إطار أدب المقاومة إلا يصبح الباحث جزءا من الحركة الجارية داخل فلسطين المحتلة٥. وهكذا، إنه اقتصر حدود دراسة المقاومة الثقافية على المواطن الفلسطيني. تفتح دراسته: أدب المقاومة في فلسطين المحتلة أمامه آفاقا واسعة يطل منها على المقاومة لكنها تجاهلت عما لعبته الطبيعة في دعم معنى المقاومة للخلاص من قيود الاستعمار. في رأي الشاعرين الفلسطينبين يحي حسن و نورتيا عمر لم يكن غسان كنفاني نفسه كاتبا أو روائيا بل هو ناشط سياسي استعمل مصطلح "أدب المقاومة" في مرآة أدب المقاومة.

منحت الطبيعة فلسطين جمالا ران على قلوب الشعراء العرب وأقلامهم وهناك بيت مشهور للشاعر على محمود طه لعله لاينطبق على بيئة طبيعة كما ينطبق على البيئة الفلسطينية. في هذا البيت يقول الشاعر:

لاتقل أخصب الثرى

فهنا أورق الحجر...٦

فالحجر في فلسطين ليس حجرا عقيما لاينبت ولاينجب بل هو حجر أخضر مثمر، تنمو فيه أشجار الزيتون والبرتقال والليمون وتورق على قمم جباله أشجار أخرى تتلألأ باللون الأخضر الساحر ويمتلئ الهواء الفلسطيني بعطر رائع يملأ القرى ويتسلل إلى المدن. كل ذلك أثر في نفس الشاعر وجعله يغوص في طيات الطبيعة من أجل تعزيز حملته. بهذا الشأن، علقت مؤلفة أميركية جيني فاناسكو في كتابها الإنجليزي بعنوان شاعر المقاومة: محمود درويش على أن "الشعر لمحمود درويش كان في المقام الأول ممارسة المقاومة. إنه يستخدم الاستعارة وصور الطبيعة وما هو مألوف للقرى الفلسطينية: القمح والثوم والبصل وبساتين الزيتون"٧.

يلاحظ الناقد الأدبي الفلسطيني فيصل دراج بأن محمود درويش قرض قصيدة في وصف الشاعر الإسباني لوركا قائلا إن كل شاعر مثالي مقاوم زلزال وإعصار كما نراه فيما يلي:

هكذا الشاعر، زلزال وإعصار مياه

ورياح، إن زأر

يهمس الشارع للشارع، قد مرت خطاه

فتطاير يا حجر!

هكذا الشاعر، موسيقي وترتيل وصلاة٨

يمضى فيصل دراج في قوله "لافرق هناك بين الأرض والشاعر لأنه أصلها وكل شيء فيه منذ إنه رسخ نفسه كأصل وحامي صادق عما يخلقه: الإنسان والأزهار والطيور والفواكه". في جوهره، يتمتع الشاعر بعلاقة وثيقة وشخصية مع مفردات الطبيعة.

بهذا الخصوص، أستاذة مساعدة فلسطينية في قسم الثقافة العربية الحديثة والأدب بجامعة يالي (Yale) هاله خميس نصار اعتبرت محمود درويش رائدا لحركة مقاومة عربية وبطلا شعريا باسلا تجاوزت مقاومته كل حدود الزمان والمكان ولاحظت بأن درويش في أعماله المبكرة يستخدم الأرض ومناظر الطبيعة، الجندي، اللاجئ، الشهيد، آلام المنفى، دماء الجرحى، بندقية، دبابات، النار وغيرها لإدراك خطورة المقاومة المسلحة للنضال الفلسطيني المستمر. في عين هاله خميس نصار، محمود درويش حلقة وسط بين

مقاومته ومقاومة الربيع العربي لأن الربيع العربي هو عصر جديد تحدث عنه محمود درويش عام ١٩٩٣ في قصيدته "لماذا تركت الحصان وحيدا؟ بأنشودة "هل هناك نبي جديد لهذا العصر الجديد؟. ترى هاله خميس نصار أن قصائد مقاومته تبلورت خلال ١٩٦٠-١٩٩٠. على الرغم من ذلك، لها صلة وثيقة بمن خرجوا على شوارع القاهرة والمدن العربية الأخرى عقب انتفاضة الربيع العربي. في رأيها، تجاوز شعر مقاومته كل حدود الزمان والمكان بإلهام المواطنين من العالم العربي على مواصلة مسيرة كفاحهم من أجل الديمقراطية والحرية من قيود الظلم والطغيان.

في الآونة السابقة، كثر الحديث عن شعر مقاومته. وأما البحث عن اتجاهات النقد البيئ من شعره فهو قلما يوجد. فمن المأمول أن يكون هذا البحث بعدا جديدا من اتجاهات الأدب العربي المعاصر.

يتضمن النقد البيئ كالمعتاد مجموعة من المفاهيم.. وفيما يتعلق بما يتطرق إليه هذا المقال فهي ثلاثة: الترابط، مركزية إيكولوجية ومقاومة بيئية. وكل ذلك يتضح كل الوضوح في شعر محمود درويش.

الإطار النظري

منذ أواخر السبعينات، انتشرت ظاهرة النقد البيئوي في النص الأدبي ولاتزال تخطو خطوة حثيثة نحو الأمام مركزة على دراسة العلاقة بين الإنسان والطبيعة ومستمدة أصولها من الطبيعة ذات التوجهات المتخصصة. يبحث النقد البيئ مكانة البيئة أو الطبيعة أو المكان أو الأرض داخل الإبداع الأدبي والفني بغية رصد رؤى الكتاب والمبدعين والمثقفين تجاه البيئة.

النقد البيئي هو مصطلح جديد تداوله ويليام روكيرت لأول مرة و نشره غلين لوف وتشيرلي غلوتفيلي و هارولد فروم في كل حدب وصوب من العالم لتوعية النقاد الآخرين تجاهه. من أهمهم جريغوري جرارد بحيث يلقي كتابه الإنجليزي (النقد البيئ) الضوء على حركات الطبيعة. من بينها التلوث الذي انتشر عالميا، برا، بحرا وجوا. ترجع جذو ر النقد البيئ إلى المجالين الآخرين. وهما نظرة إيكولوجية وفلسفلة بيئية لهما ارتباط مباشر مع الأدب تحت مظلة النقد البيئ. تعرف هذه المفاهيم بالترابط والمركزية الإيكولوجية والمقاومة البيئية.

حركة الترابط

يعتمد النقد البيئ على ثلاث مبادئ جوهرية . من أهمها حركة ترابطية تهتم بدراسة العلاقة بين الإنسان والطبيعة كما عرف عالمان يدعيان تشيرلي غلوتفيلي وهارولد فروم بأن "النقد البيئ يتناول موضوع الترابط بين الطبيعة والثقافة". لذا، سيكون هذا المفهوم أداة تحليلية من حركة التفاعلات بين الإنسان والبيئة والعلاقة الموجودة بينهما في النصوص الأدبية. في سياق هذه الدراسة، سيتم استخدامه لتحليل الارتباط العضوي بين الشاعر وطبيعته.

مركزية إيكولوجية

المركزية الإيكولوجية هي فكرة أصلت جذورها في عمق الطبيعة للتعبير عن القيم البيئية. وفقا لاستراتجية تستلزم بمراقبة الأعمال والنتائج (Rowe) إن الجدال الإيكولوجي يقوم أساسه على مدى الاعتقاد بأن المحيط الحيوي بكامله يفوق الإنسان قدرا وقيمة ويترتب على ذلك: أكثر شمولا، أكثر تعقيدا، أكثر انسجاما، أكثر إبداعا، أكثر جمالا، أكثر غموضا وأكثر قدما من الزمن. نظرا لانطلاق مفهوم النقد البيئ من النظرة الإيكولوجية إلى الأفق الأدبي استعارت هذه الدراسة مفهوم المركزية الإيكولوجية لتحليل مدى استخدام الطبيعة على لسان الشاعر كقوة مركزية لمقاومة أرباب السياسة الإسرائيلية.

مقاومة خضراء

المقاومة الخضراء هي معنى ينبثق عما يهتم بدراسات البيئة على إثر عدم تأثير النشاط البيئ النموذجي على النص الأدبي و يعتمد بشكل كبير على ما يستمد من الفلسفة الإيكولوجية المعاصرة. من جانب، يؤكد معنى المقاومة على اعتماد كل واحد من النظم البيئية و الجو الحيوي على الآخر. فمن آخر، إنه يعترف بقيمة أشكال الحياة الأخرى وصفات العالم الطبيعي بصرف النظر عما ينفع الإنسان. من هذه الناحية، سيكون هذا المعنى بمثابة تحليل التكامل والتلاحم بين الشاعر والطبيعة.

هذه هي ثلاث مفاهيم محورية عما اخترته لهذه الدراسة بعناوين: عاشق من فلسطين، يوميات جرح فلسطيني وشجرة المزامير. وكل ذلك يعتز بأقدار طبيعية وصفها الشاعر بعبارة مطولة ويخص بدراسة علاقة وثيقة بين الرحل المستعمر والأرض المحتلة.

التحليل

حركة الترابط

تغلب حركة الترابط بين الشعب الفلسطيني وطبيعته على ما اخترته من شعره بصفة خاصة كما نجدها في كامل القصيدة "عاشق من فلسطين" يقترح عنوانها بحبيب يحب وطنه "فلسطين" حبا قاسيا ويحظى بعلاقة حميمة معه كما يتلذذ بها القارئ فيما يلي:

عيونك شوكة في القلب

توجعني.. وأغبدها

وأحميها من الريح

وأغمدها وراء الليل والأوجاع.. أغمدها

فيشعل جرحها ضوء المصابيح

ويحمل حاضري غدها٩

ولعل الشاعر والأرض ينخرطان معا في السلك الفني "بأنا مرة كنا وراء الباب.. إثنين!!" وضمير الجمع "كنا" لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي.

نرى في قصيدته الثانية "يوميات جرح فلسطيني" أن حركة الترابط بين الشاعر والطبيعة تتميز بمعنى عاطفي يتبادله الجانبان في " نحن في لحم بلادي". يمثل هذا التصور نوعا من الارتباط العضوي بين الشعب ووطنه و يثير حدة الألم الذي يحسه الشاعر عند نزع اللحم من العظم. في نفس السياق، يملأ " إنني العاشق والأرض الحبيبة" قلب الشاعر بوجدان عاطفي و دواعي الحب المدفوع بمقاومة المستعمرين ولا يعبر عن الجو الرومانسي كما يشير إليه قوله "نحن في أحشائها ملح وماء" تحمي عنه الطبيعة وتوفر له القيم الأساسية الحياتية كما يقول الشاعر:

هذه الأرض التي تمتص جلد الشهداء

و تعد الأرض بقمح و كواكب.١٠

يأتي ذلك في سياق مقاومة الاستعمار عندما تمتص الأرض جلد الشهداء وتعد بقمح وكواكب بمن مازالو على قيد الحياة مع الغذاء والضوء.

في القصيدة الثالثة " شجرة المزامير" يتفاعل الشاعر بشكل وثيق مع الطبيعة في البيت التالي:

يوم كانت كلماتي

تربة...

كنت صديقا للسنابل

يوم كانت كلماتي

غضبا...

كنت صديقا للسلاسل

يوم كانت كلماتي

حجرا...

كنت صديقا للجداول ١١

في هذه الأبيات يتمتع الشاعر بعلاقة ودية مع بيئة ترافقه دوما و يتناغم معها في كلماته "كنت صديقا للسنابل" '' كنت صديقا للسلاسل" و"كنت صديقا للجداول" يدل عنوانها على امتزاج الشاعر وقوة طبيعته معا كما هو يتجسد في الأرض، القمح، الحجر والجداول.

مركزية إيكولوجية

يذكر البروفيسور بجامعة ماليزية رفيتشاندرن فينغاسوامي أن " التحليل المجازي يفتح لنا نافذة على آراء الكاتب وأفكاره". على نفس المنوال، يوحي التعبير المجازي في قصائد درويش أن الطبيعة هي قوة مركزية وراء تدفق آراءه و ترسيم صوره ورموزه وركيزة الكفاح المسلح وسلاح العنف الاستعماري. وأما إخترته من ديوانه فهو عجلة مركزية تسير مع حركتين: حركة انسانية وحركة طبيعية مظاهرها محورية. ترتكز "عاشق من فلسطين" على الجو البيئ لتمثيل الصور والرموز رمزا لمقاومته. في هذه القصيدة، تتحول

الأرض المحتلة إلى وتيرة الحب الذي يدعو الشاعر إلى مقاومة محتلها من خلال الأزهار والطيور والحيوانات والماء والأرياح والعواصف والأشجار كما نجده فيما يلي:

عيونك شوكة في القلب

كلامك.. كان أغنية

رأيتك أمس في الميناء

رأيتك في خوابي الماء والقمح

أنت الصوت في شفتي

أنت الماء وأنت النار! فلسطينية الميلاد والموت.١٢

هذه الصور المتجذرة في الجو الفلسطيني تتوقف طويلا أمام أحوال العاشق المعذب لرفع حدة ألم أبناء الشعب العربي باستعمار وطنه. لا يخاطب الشاعر هنا أرضه بصيغة الجمع "أنت" و"ك" فحسب بل يرسم لنا تصويرا طبيعيا يدفع حركة مقاومته نحو الأمام.

في القصيدة الثانية "يوميات جرح فلسطيني" تبدو الطبيعة الفلسطينية جسما جريحا لا ينفك منه الشاعر والشعب فحسب بل إنهما يرتبطان كل الارتباط بما يستولد جرحهم وإنكسارهم ركيزة لمقاومتهم ودفاعا عن الأرض المقدسة كما يتغنى به المقطع التالي:

وعلى أهدابنا عشب الجليل

هذه الأرض التي تمتص جلد الشهداء

وتعد الصيف بقمح وكواكب١٣

إنما ينصهر في هذا البيت يشعل شرارة المقاومة الفلسطينية في قلب الشاعر والشعب العربي.

يوم كانت كلماتي..

تربة...

كنت صديقا للسنابل

يوم كانت كلماتي

حجرا...

كنت صديقا للجداول١٤

في هذه السطور لا يلجأ الشاعر إلى الطبيعة من أجل ترسيخ جذور القيم الأساسية في نسيج دماغ الشعب فحسب بل يركن إلى أركانها كمصدر الوحي والإلهام بالنسبة له. في هذا المقطع، تلعب الطبيعة دورا جوهريا في مجال توثيق أواصر الصداقة مع مظاهرها لدعم معركة كفاحية ساعية إلى تحرير الوطن المسلوب من سلاسل الاستعمار.

مقاومة خضراء

المقاومة الخضراء هي حركة يسود تيارها على مدار"عاشق من فلسطين"، "يوميات جرح فلسطيني" و"شجرة المزامير" خاصة حيث يواجه الشاعر عدوه. في ظل الطبيعة. في القصيدة الأولى، إنه قاوم عدوه بثلاث طرق:

مقاومة المستعمر من خلال الحيوانات

تمثلت مثل هذه المقاومة في البيت الآتي:

وما جزت ضفائرها

وحوش الباب والغاب

ولكنني أنا المنفي خلف السور والباب١٥

يهدد الشاعر المستعمرين من خلال هذه الكلمات بشن حملة نضالية مناهضة لهم من خلال الطيور والحيوانات الأخرى.

صارت العصافير

درب الرجوع.. لغش انتظارك١٦

هذا العصفور الصغير الذي يغادر مكانه في فلسطين لوقت قليل ويرجع إليه مرة أخرى يرمز إلى مقاومة الشعب الفلسطيني المنفي وعودته إلى وطنه كطائر صغير يخرج من بيته صباحا ويعود إليه مساء.

مقاومة المستعمر من خلال النباتات

كيف تسير حركة المقاومة من خلال الأشجار والأزهار والبساتين وغيرها؟ ينسكب في السطر الآتي:

وأنت كنخلة في الذهن

ماانكسرت لعاصفة وحطاب١٧

ترمز أغصان "النخلة" إلى قوة مقاومة الشاعر كما تلمح "العاصفة" إلى أرباب الاستعمار الصهيوني.

وأنت حديقتي العذراء... ما دامت أغانينا

سوف حين نشرعها

وأنت وفية.. كالقمح.. ما دامت أغانينا١٨

ترسخ صورة "العديقة العذراء" و "أنت وفية.. كالقمح" جذور ثقة الطبيعة الفلسطينية على دوامها كحديقة عذراء لاترحب أبدا بضيف استعماري في ربوعها وتوطد أركان المقاومة الفلسطينية المستمرة عبر توفير موارد غذائية للشعب لكي يواصلوا مشوار كفاحهم بقوة ونشاط.

مقاومة المستعر من خلال قوات الطبيعة الأخرى

رأيتك في المواقد... والشوارع

في الزرائب... في دم الشمس

رأيتك في أغاني اليتم والبؤس

رأيتك ملء ملح البحر والرمل١٩

في هذا المقطع يرسم لنا الشاعر صورا رائعة مشحونة بما يحرضه على مقاومة القوات الطاغية وبما يحسه كل رجل فلسطيني من جراء مناورات استعمارية تعرضت لها أرضه وشعبه طول حياته.

مقاومة المستعمر من خلال البيئة الإنسانية

ينطلق خيال الشاعر إلى عالم من الشعر الصافي مما يحيط به من كل جانب ومما يصنعه الإنسان أمثال الأبواب، والشباك والإسمنت والأحجار كما نجد عنده في المقطع الآتي:

رأيتك في جبال الشوك

راعية بلا أغنام

مطاردة، وفي الأطلال

وكنت حديقتي، وأنا غريب الدار

يدق الباب يا قلبي...

على قلبي

يقوم الباب والشباك والإسمنت والأحجار!٢٠

يؤكد جموح الخيال مثل "جبال الشوك" "راعية بلا أغنام" و"الأطلال" على عقم وطن الشاعر من جراء تداعيات النظام القمعي على أرضه وكذلك توحي الأبواب والإسمنت والأحجار إليه بإرهاف إحساسه بأن الطبيعة تهدد بمقاومة تهز العالم العربي بأسره عندما يستشاط الشعب المستعمر غضبا على المستغلين.

في القصيدة الثالثة، يصف الشاعر معركة الشعب الفلسطيني و قسوة الظلم والاضطهاد والتمرد الإسرائيلي على أبناء شعبه بتجسيم أرضه كجسم جريح لايتجزأ منه الشاعر على مدار حياته. من

جانب، يرفع مثل هذا الارتباط العضوي نبرة الآلام، فمن آخر، إنه يدفع حركة المقاومة نحو الأمام. يمكن اقتفاء آثار ها في مطلع القصيدة.

وعلى أهدابنا عشب الجليل

لاتقولي! ليتنا نركض كالنهر إليها

لاتقولي!

نحن في لحم بلادي... وهي فينا. ٢١

تتحرك هذه الصور في ظل الطبيعة الفلسطينية مؤكدة على توحيد الصف العربي وتحصين قلعة مقاومته كما يعلن الشاعر بصوت صارخ:

وعلى أحضانها.. جرح.. يحارب٢٢

(نفس المصدر، ص ٣٨٩) خرجت معاني المركزية الإيكولوجية وحركة الترابط والمقاومة الخضراء من أحضان الطبيعة الفلسطينية فمعناها الطبيعي يمثل جسما جريحا لايتجزء منه الشعب والشاعر لمقاومة المهاجمين عليهم بما تكونوا من أجزاء الطبيعة.

أخيرا، يمكن القول إن محمود درويش لجأ إلى مفردات الطبيعة رمزا للحب والسلام والمقاومة بوصفها عنصرا مثاليا يساعد الشعب العربي في مكافحة القمع الاستعماري ولا تنتمي قواته الخاصة إلى المكان الغربي أو الاستعماري.

كلمة أخيرة

حاولت هذه الدراسة لتحليل كافة أنواع المقاومة الخضراء على وجه التحديد في ثلاث قصائد مختارة كرسها أب المقاومة العربية محموددرويش لأبناء الشعب العربي متسللا إلى عمق الطبيعة والبيئة الفلسطينية. في الواقع، كما وجدت أن الطبيعة والشعب لاينفصلان عنه على مدار مشوار شعره تتواجد

علاقة تكافلية بينهما بصدد مقاومة المستعمر. تقول دراسة مختصة بهذا المجال إن فقدان الأرض يتسبب إلى شعر مقاومة الظلم والطغيان. وأما دراستي في هذا السياق فهي مرتكزة على مكونات الطبيعة.

تترتب هذه الدراسة على أن مجال النقد البيئ الذي لايزال يمر بمرحلة طفولته في العالم العربي هو طريق حيوي إلى تحليل شعر المقاومة العربي. إضافة إلى ذلك، إنه يتحدى المجالات الأخرى بالنسبة لانتهاج طريقة متعددة التخصصات لحل قضايا حاسمة تواجه حياتنا وبيئتنا. يقف كل شعب عربي جنبا إلى جنب مع الأدب في العالم من أجل الحفاظ على البيئة ومستودعاتها. على نفس الغرار، يجثم مستقبل الشعر العربي الحديث وما بعد الحداثة برطوبة التراب. فيمكن القول إن أية محاولة سواء كانت هي رسمية أو غير رسمية وأي جهد واعي أم غير واعي للحفاظ على البيئة هي خطوة نحو النقد البيئ العربي ويجب أن تكون تحديا أساسيا بالنسبة لرجال الفن والأدب من العالم العربي في القرن الواحد العشرين.

## المصادروالحواشي

١ درويش، محمود، بطاقة هوية، أوراق الزيتون، ديوان الأعمال الاولى ١، ص ٨٠
٢ريادي، منقوش، روزي سوليزا هاشم ونوراني محمد يوسف: استخدام الأسطورة التاريخية في الرواية الأمريكية والعربية الأخيرة، مجلة الدراسات اللغوية الإلكترونية، ص ٥٧-٥٨
٣النقاش، رجاء، محمود درويش: شاعر الأرض المحتلة، ص ١٤-١٦
٤ دراج، فيصل، محمود درويش: شاعر الأرض المحتلة، ص ٥٧
٥هارلو، باربرا، أدب المقاومة ،ص ٢
٦ طه، على محمود، ديوانه، ص ٦
٧فاناسكو، جيني، شاعر المقاومة: محمود درويش، أغنى جرنال، ٢٠٠٨ ص ١
٨درويش، محمود، لوركا، أوراق الزيتون، ديوانالأعمال الأولى ١، ص ٧٥
٩درويش، محمود، ديوان الأعمال الأولى، ص ١٥٣
١٠نفس المصدر.
١١درويش، محمود، أحبك أو لا أحبك، ديوانه، المجلد الثاني، ص ٥
١٢درويش، محمود، ديوان الأعمال الأولى، ص ١٥٥
١٣ درويش، محمود/ ، جرحيات يوم فلسطيني، ديوان الأعمال الأولى، ص ٣٨٥
١٤ درويش، محمود، شجرة مزامير، أحبك أو لا أحبك، ديوان الأعمال الثانية، ص ٥
١٥درويش/ محمود، عاشق من فلسطين، ديوان الأعمال الأولى، ص ٢٧٠
١٦نفس المصدر، ص ٢٧٥

١٧درويش، محمود، عاشق من فلسطين، ديوان الأعمال الأولى، المجلد الأول، ص ٢٥٩
١٨نفس المصدر.
١٩ درويش، محمود، عاشق من فلسطين، الأعمال الأولى، المجلد الأول، ص ٩٠
٢٠ نفس المصدر، ص ٩٠-٨٩
٢١درويش، محمود، يوميات جرح فلسطيني، ديوانه، المجلد الأول، ص ٣٨٣
٢٢نفس المصدر، ص ٣٨٩

## المصادر والمراجع (الكتب العربية)


١. محمود درويش، ديوان الأعمال الأولى، المجلد الأول، دار العودة، بيروت، لبنان، ١٩٧١
٢. محمود درويش، ديوان الأعمال الثانية، المجلد الثاني، دار العودة، بيروت، لبنان، ١٩٩٤
٣. رجاء النقاش، محمود درويش: شاعر الأرض المحتلة، مؤسسة دار الهلال، ١٩٧١
٤. غسان كنفاني، أدب المقاومة في فلسطين المحتلة: ١٩٤٨-١٩٦٦، مؤسسة البحث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٧
٥. مهي جرجور، محمود درويش: قراءة جديدة في شعره، دار العودة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩
٦. صلاح فضل، محمود درويش: حالة شعرية،كتاب دبئ الثقافية، سبتمبر ٢٠٠٩
٧. ميشال سعادة، محمود درويش: عصي على النسيان، رياض الرئيس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، يوليو، ٢٠٠٩
٨. مهند عبد الحميد، محمود درويش: سنكون يوما ما نريد، السلطة الوطنية الفلسطينية، وزارة الثقافة، ديسمبر، ٢٠٠٦
٩. عمر أحمد ربحات، الأثر التوراتي في شعر محمود درويش، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٦
١٠. هكذا تكلم محمود درويش في ذكرى رحيله، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ٢٠٠٩

English Books:
1. Harlow, Barbara, (1987), *Resistance Literature*< New York
2. Khamis, Halla Nassar, Rahman, Najat, , Mahmoud Darwish: Exile's Poet (Critical Essays) , Olive Branch Press, 2008
3. Gurrard, Grey, (2004), *Eco-criticism,* New York and London, Routledge
4. Glotfelty, Cheryll and Fromm, Harold (eds), (1996), *The Eco-criticism Reader: Landmarks in Literary Ecology*, Athens and London, University of Georgia
5. Ruckert, William, (1978), *Literature and Ecology: An Experiment in Eco-criticism*

Journals/E-Journals:
1. Vanasco, Jeannie, (2008), *The Poet of Resistance: Mahmoud Darwish,*

2. Manqoush, Riyad: Ruzy Suliza Hashim & Noraini Md. Yusof, (2011), The Use of Historical Allusion in Recent American and Arab Fiction,Gema, *Online Journal of Language Studies* 11 (1): p. 57-68
3. Nassar, Halla, (2011), Darwish and the need for a new poetry of resistance for the Arab Spring, Near East Quarterly, Issue IV, May 2011 p. 1-7
4. Metaphors as Ideological Constructs for Identity in Malaysian Short Stories, 3L:
The *Southeast Asian Journal of English Language Studies* 17 (Special Issue): p. 99-107
5. Yahya Hassan & Nortiah Omar, (2011), Narrating the Nation and its Other: The Emergence of Palestine in the Postcolonial Arabic Novel 3L: *The Southeast Asian Journal of English Language Studies,* 17 (Special Issue): p. 109-119

# قراءة في كتاب:

محمد معتصم الأعظمي[١]

**عنوان الكتاب: الموجز في قواعد اللغة الفارسية**

**الكاتب: الأستاذ شاكر عناية الله**

**المراجع: الدكتور أورنك زيب الأعظمي**

**الناشر: روزورد بوكس، نيو دلهي، الهند**

**سنة الطبع: يناير ٢٠١٦م**

**السعر: ١٠٠ روبية هندية**

إن اللغات هي وسيلة هامة لتعبير العواطف والمشاعر والخيالات وما إلى ذلك ولذا يوجد كثير من اللغات في العالم. وفي بداية الأمر حينما نقوم بدراسة اللغات فنجد لكل لغة دعامة أساسية وأداة عجيبة تتنقل بها الأشياء التي تقع عليها مشاعرنا إلى صورة اللفظ فالوسيلة أو الواسطة الهامة التي تنقل خواطرنا ومشاعرنا وأفكارنا إلى الآخرين في صورة الألفاظ ليست هي إلا لغة فقط، ومع ذلك نجد كل لغة قواعدها وأصولها التي تستقل تعبيرات اللغة ومعانيها، فلذا لم تكن أية لغة كاملة بدون قواعدها وأصولها وإذا فقدت شيئًا منها فهي تعتبر ناقصة، فمن المعروف أن اللغة تنشأ أولًا ثم تزدهر وتتطور فيتم اعترافها من مجتمع وقوم، فيقوم المجتمع بضبط القواعد والأصول عليها وهكذا تكون اللغة لغة مستقلة.

ولقد عرفنا أن قواعد اللغة تلعب دورًا بارزًا في تطوير اللغة واعترافها وقبولها عند المجتمع والقوم وإذا أمعنا النظر في اللغات التي تعتبر لغات دولية ومنها اللغة الفارسية التي —كما

[١] باحث، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند

نعتقد – وجدنا أسهل لغة تعلمًا وتكلمًا وتتصف كل لغة بقواعدها، فقد بدأت اللغة الفارسية في الهند على أيدي الملوك المؤسسين لسلطنة دلهي، الذين جاءوا إليها فنشأت هذه اللغة وازدهرت منذ نعومة أظفار حكومة "سطلنة دلهي" في الهند خلال القرن الرابع عشر، وعمت اللغة الفارسية في هذه البلاد خلال حكومة التغلقيين والمغوليين وترقت حتى صارت لغة الحاكمين والحكومة فقام عدد كبير من الناس بتعلم هذه اللغة ولم تزل اللغة الفارسية لغة رسمية في عهد الملوك المغوليين فكانت فرامين الحكومة وأحكامها تكتب باللغة الفارسية وهكذا فقد برز بعض العلماء الكبار الهنود الذين أسهموا في اللغة الفارسية ومنهم أمير خسرو بن سيف الدين الدهلوي ومحمد بن يوسف بن علي المعروف بالسيد بنده نواز غيسو (گيسو) دراز وغيرهما.

والكتاب الذي خصصناه للاستعراض عليه فهو أيضًا في قواعد اللغة الفارسية، وهذا الكتاب يتكلم عن قواعد اللغة الفارسية تمامًا. وكما ذكرنا آنفًا أن اللغة الفارسية صارت لغة رسمية في الهند خلال حكومة المغول، وكما في أيامنا هذه هي تتمتع من اهتمام بالغ في الهند خاصة في جامعاتها ومدارسها الحكومية وغير الحكومية فيعلّمها الأساتذة ويتعلمها الطلاب، فيحتاجون كلهم إلى القواعد لكي تسهل عملية التعلم والتعليم فنجد القواعد في اللغة الأردوية واللغة الإنجليزية معًا، ولكن لاحظنا مرة أولى أن قواعد اللغة الفارسية قد كتبت باللغة العربية.

فمؤلف هذا الكتاب هو الأستاذ شاكر عناية الله من مواليد ١٩٤٦م تخرّج الأستاذ المرحوم من دار العلوم بديوبند (ولاية أوترابراديش) ثم التحق بالجامعة الإسلامية (بالسعودية) وجامعة الأزهر (بمصر) وعين شمس كما نهل من المناهل العربية الأخرى. وبعد فراغه من هذه المناهل العلمية جعل يدرّس بلاغة اللغة العربية في جامعة أم القرى حتى أصابه المرض فعاد إلى وطنه حيث توفي في سنة ٢٠١٥م. لقد ترك الأستاذ المرحوم كتابات عديدة بما فيها تحقيق

"المقامات الحريرية" في أربعة مجلدات.

هذا الكتاب الذي بين أيدينا أيضًا من مؤلفات الأستاذ المرحوم وهو موجز للغاية في ٧٤ صفحة. قام الدكتور أورنك زيب الأعظمي بمراجعته ونشره من الهند كما تم نشره على شبكة الألوكة. هذا الكتاب يبتدئ بمقدمة المراجع التي ذكر فيها حياة الكاتب وأعمالها ثم تأتي صور بعض أوراق الكتاب. ثم ترجمة سورة الفاتحة مع النص العربي ومن ثم يبتدئ الكتاب (الموجز في قواعد اللغة الفارسية)، فيبدأ عاديًا بأبجدية اللغة الفارسية ثم ذكر أقسام الكلام فيكتب مؤجزًا عن أقسام الكلام؛ الاسم والفعل والحرف، ثم يتكلم بقدر من التفصيل عن أقسام الاسم ويليها المذكر والمؤنث والمشترك والمؤنث المجازي السماعي والمؤنث اللفظي ثم يتحدث عن المفرد والمثنى والجمع وطريقتها بالأمثلة، ثم يصف الكاتب نوعية النكرة والمعرفة وطريقتهما كما يذكر مفصلًا عن الضمائر بما فيها الضمير المنفصل والمتصل وأقسامهما ومفردهما وجمعها معًا، كذلك ينقل ضمائر الرفع والنصب والجر مع نقل الملاحظة في الأخير، فهو يقول: "إن كل الضمائر في اللغة الفارسية يستوي فيها المذكر والمؤنث، أما المثنى فيستعمل له ضمير الجمع".

ثم يخوض المؤلف في مبحث المضاف إلى المعرفة والنعت واسم الإشارة والاسم الموصول فهو يتكلم بقدر من التفصيل عن طريقتها وأقسامها ويبينها جميعًا بالتمارين معًا، فكذلك يكشف الكاتب القناع عن الأقسام المذكورة أعلاه في عبارة موجزة ويخبر القارئ عن كافة الجوانب.

وهكذا يبلغ المؤلف إلى بيان أقسام الفعل فهو يتكلم بالتفصيل عن الفعل الماضي ويذيلها بالماضي المطلق وإسناد الفعل الماضي إلى الضمائر والأقسام الأخرى للماضي؛ الماضي القريب والماضي البعيد والماضي الشكي والماضي الاستمراري وماضي التمني. وكذا يناقش الكاتب عن الفعل المضارع وفعل الأمر والنهي فيفصل عن صوغ المضارع والأمر والنهي

وطريقتها إبرازًا عن النقاط الهامة معًا.

وهكذا يذكر المؤلف بعض الأشياء الهامة من الجمل والأبيات والأمثال والحكم فالجزء من الجمل الفارسية مع الترجمة العربية للتدريب على الترجمة التي تشتمل على إحدى عشرة جملة تبتدئ من الصفحة ٥٢ وتنتهي على الصفحة ٥٥، كما يكتب بعض الأبيات الفارسية وترجمتها العربية معًا في الصفحات من ٥٦ إلى ٥٩، وفي الأخير يقوم الأستاذ شاكر بذكر الأمثال والحكم باللغة الفارسية وما يقابلها باللغة العربية والتي تحتوي على ١٣ صفحة تتبدئ من الصفحة ٦٠ وتنتهي على الصفحة ٧٢.

ولو أن الأستاذ يوجز الحديث عن القواعد إيجازًا تامًا إلا أنه يوضح كافة النقاط الهامة توضيحًا فيذكر فيه ما وصلت إليه يداها في العبارات الموجزة السلسة البديعة.

وبالجملة فالكتاب جامع قيّم وبديع من نوعه في الهند، ونرجو أنه سيحظى بالقبول العام لدى قرّاء اللغة الفارسية.

**Al-Debal** Bi-Annual, Peer Reviewed Academic Research Journal

**ISSN 2415-5500**

| | |
|---|---|
| Editor: | Basheer Ahmed Dars |
| Volume: | **1/1** |
| Year: | January –June 2016 |
| Published by: | Research Gateway Society |
| Address: | Office: H. NO: 588 Flor: 3 Khokhar Mohalla Opposite Al-Noor Heights Hyderabad, Sindh, Pakistan |
| Web Address: | www.siarj.com/aldebal |
| Email: | editoraldebil@gmail.com |
| Telephone No.: | +92-333-2700827 |

**<u>INDEXING :</u>**

| | |
|---|---|
| Australian Islamic Library, Perth Australia | http://www.australianislamiclibrary.org/research.html |
| Internet Archive: Digital Library | https://archive.org/details/@the_scholare |

Published in accordance with standards set by

The Higher Education Commission, Pakistan

# Al- Debal

Bi-Annual, Peer Reviewed Academic Research Journal



Published by:

# Research Gateway Society

OFFICE: H NO: 588 Flor: 3 Khokhar Mohalla Opposite Al-Noor Heights
Hyderabad, Sindh, Pakistan

ISSN 2415-5500

# AL-DEBAL

Bi-Annual , Peer Reviewed Academic Research Journal

Volume1, Issue1, January-June 2016




Research Gateway Society Hyderabad, Sindh